

حاله من حاله

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤١) المجلد (٥٩) العام [٦٣] صفر ١٤١٨ هـ / يونيو ١٩٩٧ م

معايير الإبداع

في كتابة الرواية والقصة

تكامل الفكر الاسلامي

على لسان ام عمرو

اوراق زوجية

امرأة تبحث في كلمات المذنب والمذنب
عما يؤنس وحدتها التي غالباً ما تكون
ناتجة عن المعيشة مع تمثال اسمه الزوج

قراءة جديدة لنص قديم

نور
فقه

الاقليمية
في النقد

تمص
من التاريخ
السعودي

موت الدماغ

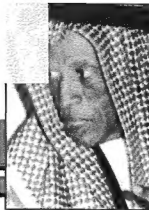
سلاماً
ملك الموت

دار عتفارة

مجلة شهرية للأداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دائرة المنهل
للحداقة والنشر المحدودة

مما قل



بمناسبة تقرير افتتاح الكليتين:

الجامعة السعودية

ستكون «الجامعة السعودية» اذا أنشئت - وهي في طريق
الانشاء إن شاء الله ستكون علم اليقظة الخفاق، وجسر الحياة
الواعية، وسلم النهضة الشامخة، وعنوان المجد الطريف، يضاف
الى سفر المجد الشديد، ومنهل الاصلاح الفياض، وأمل المستقبل
الزاهر الوضاء.

كانت هذه البلاد ، مصدراً لنور الاسلام، ونور الاسلام هو نور
الحضارة الحقّة في أكمل صيغها، وأزهى ألوانها؛ وأبهى حللها
وأشكالها، وقد حمل أبناء هذه البلاد «مشعل» الحضارة الى
أصقاع المعمورة، مُخلصين، مُخلصين، فاستضاء العالم، بعد
حلوك ورسمت الحياة خطط قويمية جديدة، سداها ولحمتهما النظر
والفكر والعلم والعمل، والتضامن البشري العام، لا فرق بين عربي
وعجمي الا بالتقوى، فاستراحت البشرية المنهكة من اغلالها،
ونهضت باعبائها على خير منوال. . . وقد أراد الله الخير لهذه
البلاد حين أذن بالعهد السعودي السعيد ان يسفر صبحه،
فانتعشت الآمال، وتفتحت النفوس واذا بالجسم المنهوك الهامد
يتحرك، واذا بالنزوح الضامدة تهبط وتنشط. . . وما هو الانبعاث
الفكري يخطو خطوة جديدة موفقة، ويتقدم لانشاء «نواة الجامعة
السعودية. . . بازمام افتتاح كليتي الشريعة واللغة العربية في «أم
القرى» في مستهل العام القادم. . . وما إنشاء الجامعة المرتقبة -
إن شاء الله - ببعيد. . . وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

«عبد القدوس الأنصاري»

جمايى الآخرة ١٣٦٨هـ / ابريل ١٩٤٩م

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م

المركز التوحيدي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ - رمز
بريدي ٢١٤٦١ برقياً: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ -
٦٤٢٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
- الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٢٣

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريال - قطر ٨ ريال -
المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشاً -
تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس -
عمان ٦٠٠ بيسة - الامارات ٨ دراهم -
البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠
أوقية - الاردن ٥٠٠ فلس.

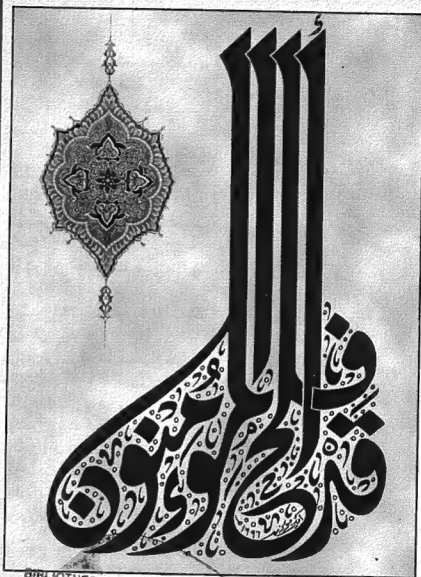
الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي
- المؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقطة الشهر



BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

الاقادير

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد اولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٦٧.٠٦٦ - فاكس: ٦٦٠.٤٦٦

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبیه بن عبدالقدوس
الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبیه الأنصاري

عزيزي القاريء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تصل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلاً عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

ALMANHAL

SAFAR, 1418 H
JUN, 1997 C

هل لنا من الأمر شيء؟!



العدد: (٥٤١)
المجلد: (٥٩)
السام: (٦٣)



وسرنا على نهجهم ..
ذلك ، لأننا نملك غير ما يملكون ،
من المثل والقيم والسلوك .
وفي هذا الحال، نصبح لا نحن ،
نحن .. ولا نحن هم .
إنن، نحن والحال هذه، مسخ
مشوه ..
ومن يرضى لنفسه أن يكون
«مسخاً مشوهاً» ١٩٠٠ !!
القوم ملكوا ناصية العلم ..
لهم من العلم ما خرقوا به حجب
السماء ..
ولهم من العلم ما صنعوا به
الراجعات ..
وما أخافوا به العالم
واسترهيوه ..
ولهم من العلم ما استسخوا به
البشر .
كل هذا ،
ونحن لا يشبنا من أمرهم إلا
السواقط ..
أو ندننا مشوّهة ظلّنا عاكفين
عليها ..
ولم يعد لنا من الأمر شيء!!!
«نبيه الانصاري»

هكذا ،
جاء سؤال الشيخ، فطرياً
وطبيعياً ..
جاء السؤال بعد حديث
طويل عن الإرسال
القضائي، والانتزعت ..
جمع من الشباب جمعتهم
ديوانية جدهم ..
بهش الجد .. بل ذهل
..
مسميات من اللور والعبث
، بل، الخلاعة .. خرقت
جدار أذنيه ..
أتشابهون كل هذا؟!
سؤال دار في داخله بكل
إلحاح ..
أين مساحة الجد إذن ١٩٠٠
ترى من سنكون غداً؟!
لا نحن .. ولا الآخرين!
الأخر، صادق مع نفسه ..
حتى في لهوه وعبثه ومجونه ..
هذه حياته .. وهذا واقع حياته .
وهذه مثله ..
أما نحن، فكانيون كل الكذب
مع أنفسنا، ما تبغنا خطاهم ..

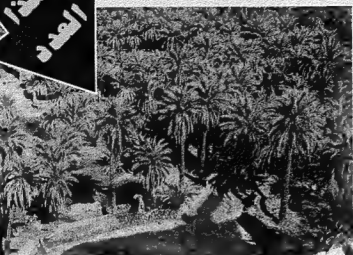
وعلاوة
التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٠٠٧ - وكالة الامارات للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة
التونسية للمحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفة للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٢ - شركة الامارات
للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ النوبة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع
الأردنية/ عمان ٣٣٠١٩١ - دار افرا للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف
والمطبوعات د.م/ الكويت ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين ٥٣٤٥٥٩

الاعلانات: يراجع بنائها الادارة ت: ٧٤٣٧١٧٤

المحتوى

- ١٢ - مكتبات تراثية - يوسف بنوي
- ٢٠ - أفكار مثيرة للجدل (٦-٨) - د. محمد عمارة
- ٢٦ - نصفه ميسر (١-٢) - د. يوسف القرضاوي
- ٣٨ - تكامل الفكر الإسلامي - أنور الجندي
- ٤٢ - سلاماً ملك الموت - شعر - د. المهدي بن عبيد
- ٤٤ - في القصص النبوي (٣٨) - د. عبد الباسط حمودة
- ٥٤ - شعراء من التراث - د. عبده بنوي
- ٥٨ - مسألة المصطلح بين الأمس واليوم - د. عباس أرحيلة
- ٦١ - الإقليمية في النقد والنسب - د. إبراهيم السامرائي
- ٦٩ - أيام العمر (شعر) - حسن منصور
- ٧٠ - موت الدماغ (١-٢) - د. محمد علي البار
- ٨٢ - الرواية والقصة تطلعات وآفاق - حوار: عقيل بن ناجي السكين
- ٨٦ - القيادة (قصة قصيرة) - محمد المنصور الشقاع
- ٨٨ - جبروت (شعر) - عبد العزيز بن محي الدين
- ٨٩ - مجلة السائح العدد (٩٨)
- ١١٠ - قصص من التاريخ السعودي - عبد الله بن ناصر الحبيب
- ١١٨ - من الكلمة إلى الفكرة (٨) - محمد العربي الخطابي
- ١٢٠ - أبو العباس المغربي - د. عمر بن قينة
- ١٢٤ - قراءة جديدة لنص قديم - د. طاهر تونسي
- ١٢٨ - سر الزجاجة (١) - د. عبد الزقاق فراج المصاعدي
- ١٣٢ - كبرياء العرمان (شعر) - يس قطب القليل
- ١٣٣ - مجلة من العدد (١٠١)
- ١٤٦ - رحلة في المكتبة (٣) - د. محمد رجب البيومي
- ١٥٠ - بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر (٣-٥) - أحمد سالم باعطب
- ١٥٤ - شارات الذهب (٢٥) - د. أيوب حسام
- ١٥٨ - ملك الختام - سعد البواردي



- الدكتور عمارة يُدحضُ أباطيل
- الدكتور نصر أبو زيد - ص ٢٠
- الفقه الميسر - ص ٢٦
- تكامل الفكر الإسلامي - ص ٣٨
- مسألة المصطلح بين الأمس واليوم ص ٥٨
- الإقليمية في النقد والدرس - ص ٦١
- موت الدماغ - ص ٧٠
- الرواية والقصة .. تطلعات وآفاق - ص ٨٢
- الحكمة وينا بيمها - ص ١١٨
- النخلة .. ثمرها غذاء ودواء ص ١٤٠

أعلام:

- | | |
|----------------------|------------------------|
| د. يوسف القرضاوي | د. محمد علي البار |
| د. محمد عمارة | د. عمر بن قينة |
| د. أنور الجندي | أ. محمد العربي الخطابي |
| د. إبراهيم السامرائي | د. محمد رجب البيومي |
| محمد المنصور الشقاع | د. عبده بنوي |

أول الفيت

الانطلاقة المباركة من قصر المربع

قبل قرن من الزمان، كانت الانطلاقة المباركة من هنا، من قصر المربع... من هذا القصر كان تأسيس كيان (المملكة العربية السعودية)، وقيام أمة كاد الجيل والتخلف في ذلك الزمان يقضي على أركانها.



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز في افتتاح مشروع تطوير قصر المربع

على هدي من
كتاب الله
سبحانه وسنة
رسوله (صلى
الله عليه وسلم)،
وتراث السلف
الصالح، جاءت
نهضة هذا
الكيان الكبير،
والمسألة ليست
أنشاء دولة
فحسب، بل
المسألة نفخ

الغبار عن عطاء حضاري ضخم كان المركز الأساسي لسلف هذه الأمة... من قصر المربع كانت البداية المباركة على يد الملك عبد العزيز بن سعود - طيب الله ثراه -
وفاء لهذا التراث الخالد، وأبقاء لقراءة دائمة عبر الأجيال في ذاكرة التاريخ لهذه الأمة قام صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض - رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض - بالإشراف على بدء تنفيذ مشروع تطوير منطقة قصر المربع.

والمشروع إضافة إلى قيمته التاريخية في ذاكرة الأجيال فإن يمثل مركز علم وثقافة، ومرقفاً مهماً للدراسة والبحث العلمي في الآثار والتاريخ الحضاري لهذه الأمة.

في هذا المربع سوف ينشأ المتحف الوطني للمملكة العربية السعودية، ودارة الملك عبد العزيز، ومبنى الوكالة المساعدة للآثار والمتاحف، ومبنى العروض التقنية، إلى جانب المباني المساعدة الأخرى... وهذا المشروع يوافق الانتهاء منه مرور مئة عام على قيام المملكة العربية السعودية.

الثقافة والفنون

في العام الجديد:

«الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، على مدى ربع قرن من الزمان اكتسبت من الخبرة ما جعلها أبق أداماء وأوفر عطاء».

بإشراف صاحب
السمو الملكي
الأمير فيصل بن
فهد بن عبد
العزيز، الرئيس
العام لرعاية
الشباب، ويدعم
سخي من أجهزة
الدولة، المختصة
استطاعت هذه
الجمعية الوقوف



صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد

قمة شامخة في ميدان بلورة الحركة الثقافية والتراثية في المملكة العربية السعودية... ووصولاً للأفضل والأجود فقد وضعت خطتها لتنشيط الحركة الثقافية والفكرية والفنية، لهذا العام ١٤١٨ هـ، وتشمل مجموعة من الندوات والمحاضرات والأمسيات والمسابقات الثقافية، إلى جانب النشاط المسرحي.

هذا إلى جانب تنظيم الاجتماع الأول للملتقى الثقافي العام ومجموعة من المعارض الفنية والثقافية في داخل المملكة وفي مجموعة من الدول العربية والغربية.

وفكرة المعارض هذه تأتي كجانب تنويري، بغرض إيقاظ الآخرين على ما وصلت إليه المملكة العربية السعودية من تقدم ونمو وأزدهار في كل مجالات التنمية من ثقافية وفكرية وعمرانية وبشرية... وغيرها.

الأسبوع الثقافي السعودي في المغرب

خاص بـ (المنهل) من سعيد بونوار - الرباط -



المشاركون في إحدى ندوات الأسبوع الثقافي



مجموعة من الزائرين لعرض الكتاب السعودي

احتضنت مدينة الدار البيضاء في الفترة المتراوحة ما بين ٢٧ مارس و٢ أبريل حدثاً ثقافياً مهماً تمثل في فعاليات الأسبوع الثقافي السعودي الذي جاء تنظيمه في إطار علاقات التبادل والتعاون القائمة بين المؤسستين الشقيقتين: مكتبة الملك عبد العزيز العامة - الرياض ومؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء وفقاً للتوجيهات الكريمة لراعيها صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله.

الأسبوع الثقافي عرف تنظيم ممرض للمطبوعات العلمية السعودية وسلسلة من المحاضرات ألقاها نخبة من أبرز الأساتذة السعوديين. وكان فرصة لجمهور الطلبة والباحثين والمتخصصين في مجال النشر والتوزيع للتعرف على جديد النهضة العلمية والثقافية المزدهرة التي تعيشها المملكة العربية السعودية.

حضر حفل افتتاح هذه التظاهرة معالي وكيل الحرس الوطني وعضو مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية الأستاذ «عبد الرحمن أبو حيمد» ومعالي وزير الإتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة المغربية والامستاز ادريس العلوي

سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء بجناح مكتبة الملك عبد العزيز العامة في المهرجان الوطني الثاني عشر للتراث والثقافة «الجنادرية» وبعد أقل من عقد من الزمان على تنظيم معرض الكتاب السعودي بالمغرب والذي شكل باكورة تعاوننا الثقافي والعلمي وتجربة فريدة ساهمت فيها هاتان المؤسستان العلميتان اللتان

المغربي، ومعالي وزير الشؤون الثقافية المغربي عبد الله أزماري وشخصيات أخرى تنتمي إلى عالم الثقافة والفكر والتطعيم. وقال الأستاذ عبد الرحمن أبو حيمد بأنه سعيد بالإنقاء في هذا الأسبوع الثقافي السعودي بالأشقاء المغاربة بعد أيام معدودات من انتهاء المعرض المغربي للكتاب الذي نظمته مؤسسة الملك عبد العزيز آل

المكتبيين أو المهتمين بشؤون النشر والتوزيع، مما يتم إنتاجه في البلدين الشقيقين المغرب (العرض المغربي) بمناسبة مهرجان الجنادرية والسعودية (معرض الدار البيضاء) حيث تشكل آلاف المؤسسات المتتوعة المعروضة شهادات وعلامات على النهضة العلمية المتواصلة التي يعرفها البلدان.

- المساهمة في تنمية وتطوير
العلاقات العلمية والثقافية بين
المعلكتين السعوديه والمغريبه من
خلال إحداث فرص الإنلقاء
والتحاور بين الباحثين والمثقفين
المتتمين للجامعات ومراكز البحث
في كلا البلدين.

وتتميز معرض الكتاب السعودي
بمشاركة أزيد من خمس وعشرين
مؤسسة علمية جامعية وهيئة
حكومية وناشرين قدموا أكثر من
٢٠٠٠ عنوان في مختلف المجالات
العلمية.

المحاضرات:

وتتميز الأسبوع الثقافي
السعودي كذلك بإلقاء محاضرات
قيمة سلطت الأضواء على جوانب
من التراث والفكر بالملكة العريضة
السعودية.

وكانت محاضرة: «جهود الجامعات السعودية في مجال تحقيق التراث ونشره للأستاذ محمد بن عبد الرحمن الربيع» هي أولى المحاضرات التي أقيمت خلال هذا الأسبوع وقد تناول فيها الأستاذ المحاضر عناصر كالمادة التراثية في مناهج المرحلة الجامعية وأقسام الدراسات العليا التي تخدم التراث واتجاهات تحقيق التراث في

الشريطين الملك فهد بن عبد العزيز حفظهما الله لإقامة صروح العلم والعرفان بين الجامعات والأكاديميات والمعاهد والمكتبات ومراكز البحوث وما «جامعة الأخوين» المتربعة على سفوح «إقرا» إلا الدليل الساطع والبرهان القاطع على ترجمة كلمة التعاون بين عالمي الملكين إلى فعل ناجح ومثمر.

وقال الأستاذ «الفيلالي أنصاري» مدير مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء إن الأمة الإسلامية هي أكثر الأمم احتفاء بالكتاب ويكرم العلم والعلماء كسلوك راسخ في حضارتنا وقيمة رفيعة من القيم التي حث عليها ورفع من شأنها تراثها العربي الاسلامي.

وعطلة الأيام السبعة من عمر
الأسبوع توافد على معرض
المطبوعات السعودية مئات من
الطلبة والباحثين والأساتذة والعلماء
للتعرف على جديد الإبداع
السعودي في شتى ميادين الفكر
في حين تابع الكثيرون مجمل
المحاضرات التي عرفها الأسبوع،
وكما كان منتظرا، فقد حققت هذه
التظاهرة الثقافية الناجمة ما كان
مستورا لها. حيث كان الهدف من
تنظيم هذا الأسبوع

- المشاركة في تعزيز الجهود المبذولة لتنمية التكامل الثقافي العربي وتجاوز العوائق المختلفة التي تقف في وجه عملية توزيع المطبوعات العلمية العربية عبر مختلف أقطار العالم العربي، وذلك عن طريق تقريب جمهور القراء والدارسين وكذلك المهنيين سواء

ساعدا في بناء جسور التعاون
والتبادل بين المشرق والمغرب.

وأكد الأستاذ (عبد الرحمن أبو حيمد) أن الأسبوع الثقافي السعودي بالمغرب يمثل إطلالة الجمهور المغربي على المنجزات السعودية في الميادين كافة ويعكس بحق التطور الهائل الذي تشهده المملكة العربية السعودية، كما أنه جاء ليحقق آماني طامنا عبرت عنها هيات عريية وإسلامية وطلاب بها باحثون ومثقفون من مغرب العالم العربي والإسلام ومشرقة.

وأوضح الاستاذ الدريس الطوي المنفري أن المغرب يبلي أهمية قصوى لهذه التظاهرة الثقافية التي تجسد بشكل جيد مثانة علاقات التعاون بين الملكتين المغربية والعربية السعودية في مختلف الميادين وروابط الصداقة التي تجمع بينهما.

إن مثل هذه اللقاءات تساهم في تعميق الروابط وإبراز الموهلات التي تزخر بها الأمة الإسلامية على المستوى الثقافي والحضاري ومبرزا كذلك أن الإعلام يساهم بقسط وافر في التمرير بمؤهلات كل طرف وتسهيل تبادل المعلومات ومواجهة التحديات.

وأشاد السيد الوزير بالعمل الذي تقوم به هاتان المؤسسات الأستاذ «عبد الله أزماي» قال في مداخلة: «قيل أيام معسوبات احتفلنا بتوقيع اتفاق تعاون يشكل الإطار العام لرسم خطوات منهجية على طريق سيروية ثقافية تستمد العون وتحظى بالرعاية والإسناد من لدن الأخوين العاملين جلالة الملك الحسن الثامن وخادم الحرمين



معرض الكتاب السعودي في الرياض

السعودية ذات التاريخ العربي - من محاربين وعتائل. ومعابد ومنازل وأنظمة ري متطورة بنيت تحت الأرض ولقواها.

وأضاف الأستاذ «عبد الله آدم نصيف» في محاضرته: «أن الشواهد الحضارية في وادي القرى لا تقتصر على آثار العلا ومدائن صالح (الحجر) بل هناك موقع يسمى حالياً «المبايات» وهو موقع مدينة «قرح» مركز وادي القرى في العصور الإسلامية المبكرة والتي وصفها المقدسي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أنها المدينة الثانية في الحجاز بعد مكة وقال عنها أنها بلد شامي مصري عراقي حجازي. وذلك لمكانتها كمركز تجاري وحضاري في شمال غرب الجزيرة العربية، مما يدل على استمرار وادي القرى في لعب الدور الحضاري الذي لعبه في عصور ما قبل الإسلام».

وقد صاحب هذه المحاضرة عرض كامل بالصور لكثير المبني والمنحوتة الثابتة والمتنقلة بواسطة الشرائع (السلالات).

الجزيرة العربية إلى أسواق الشام والعراق ومصر وما وراءها من بلاد اليونان والرومان، فلصيح وادي القرى، بذلك نقطة التقاء حضارات وادي النيل وبلاد الشام وادي الرافدين وجنوب الجزيرة العربية وقال الأستاذ المحاضر إن: «هذا المركز التجاري والحضاري الذي تمتعت به العلا ومدائن صالح (الحجر) في العصور القديمة قد ساهم في بناء حضارة عربية راقية لا تقل عن حضارات المراكز والمدن الأخرى في الشرق الأدنى والعالم القديم، وما نشاهده اليوم في العلا ومدائن صالح (الحجر) من فنون النحت والزخرفة، والطرز المعمارية والهندسية البليغة المتمثلة في الواجهات الصخرية العجيبة التي يقف المرء أمامها مشنوبها إلا انعكاس لما وصل إليه الفنان والمهندس العربي من قلرة على الإبداع والابتكار املتته لإحتلال مكانة عالية بين الحضارات العالمية».

هذا إلى جانب الشواهد الحضارية الأخرى التي تركها لنا أولئك الأقوام السابقون، الذين عاشوا على أرض المملكة العربية

الجامعات السعودية إضافة إلى عرض مفصل لجهود الجامعات في تحقيق التراث ونشره وكذا جهود الأساتذة السعوديين في نفس المجال.

وناقش الأستاذ «عبد العزيز بن سليمان الطرياق» وهو أستاذ بقسم الهندسة المدنية في جامعة الملك سعود موضوع «أزمة المياه في العالم العربي» من حيث المشاكل الرئيسية التي تعيق هذا القطاع وأسباب نشوء الأزمة وأعطى عرضاً شاملاً للموارد المائية المتاحة وقدم توصيات واقتراحات كذلك.

وتحدث الدكتور «عبد الله آدم نصيف» في المحاضرة الثالثة والأخيرة في هذا الأسبوع عن «ذاكرة التاريخ: آثار العلا ومدائن صالح (الحجر) ونطلق في محاضرتنا من جانب التعريف بهاتين المدينتين اللتين تقعان في شمال غرب المملكة العربية السعودية على بعد حوالي ٢٥٠ ميلاً شمالي المدينة المنورة في وادٍ خصيب وغني بالموارد المائية، تحف به الجبال الرملية الحمراء من الجانبين الشرقي والغربي، وهو وادي القرى المشهور في كتب التاريخ والأدب العربي. وقد هيأته الطبيعة وموقعه المتميز ليكون مركزاً تجارياً وحضارياً مهماً على طريق التجارة العالمية في شمال شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام، فأصبح بوابة الشمال إلى الجنوب وبوابة الجنوب إلى الشمال حيث تعبره القوافل الضخمة المحملة بالسلع التجارية الثمينة وعلى رأسها البخور والتوابل من الهند وشرق إفريقيا وجنوب

خاص بـ (المنهل) من سعيد بونوار - الرباط -

الإسلام والمسلمون في أوروبا



المشاركون في ندوة (الصوفا الإسلامية)

قضية (الإسلام والمسلمون) في أوروبا أصبحت من القضايا الساخنة التي فرضت نفسها على الساحة الفكرية والعلمية في أوروبا... وستظل كذلك لفترة ممتدة من الزمن.

وسبب ذلك يرجع إلى: ازدياد عدد المسلمين في أوروبا، وازدياد وتطور حاجياتهم الدينية والتعليمية والتربوية والفقهية.

ثم يرجع الأمر أيضاً إلى التحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمون في أوروبا حسب معطيات ومجريات الحياة الحديثة، مما أقر وأقعا جديداً يتحتم على المسلمين من علماء ومفكرين دراسته والتشاور حوله.

ومشاركة من (جامعة الصوفا الإسلامية) في المغرب، لدراسة هذا الموضوع ذي الأهمية الدينية، عقدت

ندوة (الإسلام والمسلمون) في أوروبا.

ومن توصيات هذا المؤتمر:

- ترشيد الصوفا الإسلامية حتى لا

تحيد عن تعاليم الإسلام.

- تكثيف تأسيس المراكز والمنشآت

الإسلامية في أوروبا لخدمة

المسلمين هناك، تعليماً وإرشاداً

وتوجيهها.

إيجاد أرضية أخلاقية سليمة تهدف

إلى تهيئة مناخ اجتماعي صحي

يلتقى حوله شباب المسلمين في

مهاجرهم... ضرورة إنشاء قناة

فضائية إسلامية تبث إرسالها

باللغات الأكثر انتشاراً في العالم.

المؤتمر الثالث عشر للاندية الأدبية:



صاحب السمو الملكي
الأمير فهد بن سلطان

في مدينة تبوك، في شمال المملكة العربية السعودية، وبإشراف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان، وبمشاركة رؤساء الاندية الأدبية وجمهرة من المهتمين بالثقافة ومعطياتها أفتتحت أعمال المؤتمر الثالث عشر للاندية الأدبية... والمؤتمر يمثل قراءة دقيقة وجادة للمعطيات الثقافية والفكرية للاندية الأدبية خلال عامها المنصرم، وتقييم هذه المعطيات، وبالتالي تحديد التوصيات للعام القادم، وهذه تمثل رؤية ثقافية فكرية مستقبلية.

كل هذا يأتي من خصوصية المطلق الثقافي والفكري للمملكة القائم على خصوصية الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، والعربية التي تمثل الوعاء الأوسع لكل الناتج الفكري والمعرفي للمملكة.

مؤتمر الدراسات الإسلامية:



د. عبدالله بن عبدالحسين د. أحمد عمر هاشم

الامام محمد بن سعود الإسلامية).

وافتح أعمال المؤتمر شيخ الأزهر، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الإسلامية والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر.

كلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية عقدت مؤتمراً دولياً موسعاً حول الدراسات الإسلامية عند غير العرب، وتناولت الدراسات المقدمة للمؤتمر إعطاء الفكري لهم في الفقه والحديث والآثار والأدب واللغة وأعمال الترميم الخاصة بالتراث وقضايا حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي والغربي، واثرت البحوث الاستشراقية في الدراسات الإسلامية. وقد وصلت البحوث المقدمة للمؤتمر إلى أربعين بحثاً.

شاركت في هذا المؤتمر ثلاث جامعات سعودية (أم القرى - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة

أهلاً بالدكتور فهمني

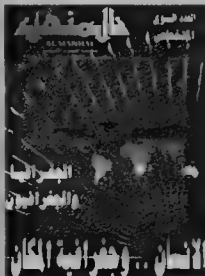
هذه الرسالة التي بين أيدينا من الأخ الأستاذ الدكتور فهمي مقبل، ونشكر له اتصاله الهاتفي، وكتابه هذه الرسالة لجلة المنهل.

إن لعنينا مع مقولة (الأسلوب هو الرجل) فنرجو ألا نكون قد لعنينا شططا... وحسب استأنا الدكتور فهمي أنه قد شط به القول في رسالته، إذ كان غيبه على المنهل (جارحاً) - هذا إن أسميناه غيباً لأنه قد تجاوز العتب إلى مالا نود تسميته.

في شهر شوال من العام الماضي ١٤١٧هـ أصدرت المنهل

عندها السنوي التخصص (الجغرافيا والجغرافيين).

ومن عبادة المنهل في إصداراتها السنوية المتخصصة أن تستشير عدداً من أصحاب التخصص في مجال الإصدار الذي تود، وكان أن أشار علينا أصحاب التخصص في علم الجغرافيا باستكتاب مجموعة (أسموها) من أساتذة الجغرافيا في الجامعات على مستوى العالم العربي، وبكل



أسف لم يكن من بينهم أستاذنا
الكريم الدكتور فهمي مقل ١١٠

وحقيقة لا تدري لم غفلوا عن
تكره بين هؤلاء الأكابر!! الأستاذ
الدكتور فهمي مقل له كتاب بعنوان
(نور العرب في اكتشاف العالم
الجديد) - الكتاب في (١٠٧)
صفحة - إضافة إلى (٤٠) صفحة
(مواش) - مراجع ومصادر،
وفهارس عامة.

أستاذنا الدكتور فهمي يجد
على المنهل في شيئين:
أولاً: عدم علم القائمين على أمر
المجلة بهذا الكتاب.

ثانياً: أن ما كتبه الأستاذ خالد
عزب في هذا العدد يُعدّ (سقط
مناخ) حسب تعبير الدكتور .

« يقول الدكتور فهمي في
رسالته للمنهل:

«وكم كانت صدمتي في
الحقيقة أن فيليب عن علمكم مثل
هذه الدراسة (يقصد كتابه نور
العرب في اكتشاف العالم الجديد)
الواقعية، والموضوع العلمي
الشامل».

ويقول أيضاً في رسالته (إلنفي)
عائب على مجلتي الجادة المنهل أن
يفوتها الإشارة لكتابتنا الذي يعد
على تواضع أول دراسة شاملة في
موضوع الكشوف الجغرافية في
العالم الجديد).

ويقول أيضاً في رسالته: (إلنفي)
اتطلع أن تتلظى مجلتكم العربية
هذا القصور في إعطاء الكتاب حقه
من التتويج».

ويقول أيضاً في رسالته:

(ونشرت فيما نشرت أعمالا قد
ترقي أولاً ترقي مستوى هذه
الدراسة).

الدكتور فهمي له ما يقول عن
كتابه ، ويصفه بما يريد ، ونحن لا
ننقصه حقه ولكل فتاة يليها
معجبة) كما يقولون . أما أن يصاب
الدكتور بالصدمة لأن المنهل لا تعلم
عن كتابه شيئاً ، فلنا توجه نفس
السؤال في اتجاه الدكتور فهمي
أيضاً . . هل يعلم الدكتور فهمي
(بكل) ما كتب عن الجغرافيا
والتاريخ من كتب ومجلات
حديثه ١١٢؟ وهذا تخصصه!

الدكتور فهمي يرمي المنهل بـ
(القصور) لأنها لم تشر إلى كتابه
في عمدا التخصص . . بل يرى
على المنهل (تلافي هذا القصور)
بالإشارة لكتابه!! مطوم أن العدد
التخصص مجال هذا الحديث لم
يفرد صفحات للإشارة للكتب
التخصصية في الدراسات
الجغرافية، ولم ينوه بكتاب منها .

الدكتور فهمي يقول: «نشرت
فيما نشرت أعمالا قد ترقي أولاً
ترقي مستوى هذه الدراسة».

ألا يرى الدكتور فهمي أن
عُجْبَه بكتابه قد وصل إلى حد كبير
مما لا نود تسميته، ولك - يا سيادة
الدكتور العزيز - أن تعجب بكتابات
كما تود، لكن ليس لك أن تنقص
الأخرين حقهم . . وهذا جهننا . .
ولم ندع له الكمال والشمولية
والأرحية، إذ الكمال لله وحده.

أما انتقاد الدكتور فهمي
للأستاذ خالد عزب في مقاله بعنوان

(نور المسلمين في اكتشاف
الأمريكتين) المنشور في العدد
السنوي التخصص (الجغرافيا
والجغرافيون)، فهذا موضوع علمي
تحليه لصاحب الدراسة نفسه
ليجيب عنه . . فقد وصف الدكتور
فهمي مقال الأستاذ خالد عزب بأنه
(يُعدّ سقط مناخ) ، ويذهب إلى أن
المقال مقتبس من كتابه هذا ، ويقول
(والمستهجن أن كيف لمثل هذا
الكتاب - يقصد خالد عزب - لا
يعرف عن كتابنا شيئاً).

ومراجعتا لمقال الأستاذ خالد
عزب مقارنة بما ورد في كتاب
الدكتور فهمي، نجد أن المقال قد
تناول ثلاث نقاط أساسية هي:

١ - محاولة خشخاش - ٢ -
محاولة الفتية المغرورين - ٣ - ابن
الوردى وأمريكا . . ونجد أن
الأستاذ خالد عزب قد كان أكثر
تعميلاً في موضوعاته مع رجوعه
للمصادر القديمة التراثية . . في
حين رويت هذه المعلومات عند
الدكتور فهمي في أسطر معدودة .

وبهذه المناسبة نقول إن
الدكتور فهمي في كتابه هذا قد
رجع إلى (٦٥) مرجعاً منها (٢٠)
صحيفة ومجلة - أي (ثلث) مراجع
الكتاب من الصحف والمجلات . .
والمطوم أن الصحف والمجلات غير
المكتملة لا تعتمد مراجع لبحث جاد،
ولكن يمكن الاستئناس بها فقط .

أستاذنا الكريم الدكتور فهمي
مقبل نتمنى له كل توفيق وسداد،
ومجلته المنهل ترحب بتواصله
الطمي معها .

جوائز :

من منطلق تنمية الثقافة العربية، وتكريم المبدعين، وغملا على تنشيط الإنتاج الفكري في البلدان العربية، فقد أعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الييسكو) عن تقديم جائزتين

١ - الجائزة التقديرية للثقافة العربية، وهذه مخصصة لتقدير أحد المفكرين العرب على مجموع ما ألفه وأسهم به في مجال الفكر العربي ومركزاته الثقافية، وقيمة هذه الجائزة (٢٥ ألف دولار).

٢ - جائزة الإبداع الأدبي العربي،

مخصصة لعمل أدبي عربي متميز في مجال النقد الأدبي ... وهذه قيمتها عشرة آلاف دولار).

ومن شروط الجائزتين: أنه يسمح لأي ناقد عربي لم يتجاوز سن الخامسة والأربعين أن يتقدم بترشيح عمل أو أكثر من أعماله النقدية لنيل الجائزة أو أن تتقدم إحدى الجهات التالية بترشيح من تراه مستحقا لها مثل الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث والدراسات والمجامع العلمية والفكرية والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات والمنظمات الثقافية والعلمية مثل الاتحادات والجمعيات والهيئات.

كما يجب أن يراعى في العمل أو الأعمال المرشحة للجائزة أن تكون متميزة بالجهد والاصالة وفيها اضافة إلى المعرفة وأن يكون العمل أو الأعمال منشورة خلال الخمس السنوات الأخيرة والا تقل صفحات العمل المنشور عن مائة وخمسين صفحة بالإضافة إلى ذلك ألا يكون العمل قد نال حائزة من قبل.

أن يرسل مع طلب الترشيح ثنائي نسخ من العمل بشرط أن يكون العمل منشوراً وخلاصة عن سيرة حياته وشااطه ونتاجه ... وسيكون آخر موعد لقبول الترشيحات واستبلام الاعمال المرشحة أول أكتوبر ١٩٩٧م.

جائزة الفقي :

الاستاذ احمد زكي يمانى رئيس مؤسسة يمانى الثقافية ، وجائزة مؤسسة يمانى للشعر، رعت مؤخرًا توزيع جوائز مسابقة الشاعر محمد حسن فقي، في دورتها الثالثة.

وقد عقدت اعمال هذه الجائزة في مدينة القاهرة وحضر فعالياتاتها وشارك فيها جمهور من أساتذة الادب والنقد، ومن الشعراء والدارسين المتخصصين



الشاعر: محمد حسن فقي



الاستاذ: احمد زكي يمانى

في مجال الابداع ... وكانت جائزة الشعر من نصيب الدكتور عبده بدوي، وقدرها عشرين ألف دولار. ولمازت الدكتورة فاطمة طمطح من المغرب بجائزة الابداع في نقد الشعر ... وضمن حواريات هذه الجائزة قدمت مجموعة من المحاضرات والدراسات منها:

- (الشعر الجديد ولغة العصر) قدمها الدكتور محمد الهادي الطرابلسي من تونس.

- (الصدائ في الشعر العربي المعاصر بين النظرية والتطبيق)

للدكتور وايد القصاب من دبي. - (قصيدة النثر بين النقد والابداع) للدكتور عبد القادر القط. - (ظاهرة الفموض في التجربة الشعرية في العصر الحديث) للدكتور محمد ابو الانوار. - (الرؤية في نص العداث) للدكتور حسن بن فهد الهويمل. وهذه الجائزة يقوم على تقويم الاعمال المرشحة لها نخبة ممتازة من اساتذة الادب في العالم العربي.

الاستاذ الشاعر محمد حسن فقي علم من اعلام الشعر على مستوى العالم العربي، ولا شك أن تخصيص جائزة باسم الشاعر الكبير الفقي يعد حدثاً له قيمته الادبية والثقافية والابداعية.

وهذه الجائزة تأتي ضمن كوكبة من الجوائز الادبية والثقافية التي يقوم عليها افراد أو مؤسسات أو هيئات حكومية في عالمنا العربي ... وهذه الجوائز تمثل تقديراً لمركة الابداع في عالمنا العربي وتزعماء.

المكتبات العربية قفزة حضارية
كبرى في تاريخ أمتنا، ومؤسسة علمية
تشرّب بعنق طويل عبر العصور؛
لتحكي قصة العلم العربي، والثقافة
الإسلامية وتراجم العلماء حينما تربعوا
على عرش العلوم، وتسمّوا مركز
القيادة والسيادة في تفكيرهم
ومصنفاتهم، فكانوا أدغة متفحة،
ومدرسة علمية وأنبية للعرب،
والمسلمين، والناس قاطبة، فعلماء
العرب في أوج الحضارة الذهبية كانوا
مفكري العالم، وأسائنته.

تحقيق مصور

المكتبات العربية: تاريخ عريق

- صورة لأحدى المخطوطات الفقهية القيمة في المكتبة الخالدية.

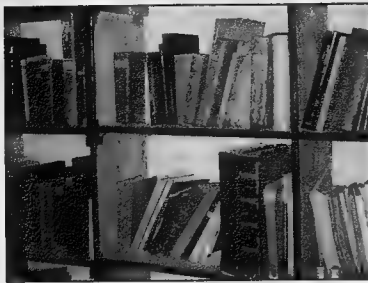
لدراسة الحياة، والأحياء، والكون بكل ما فيه.
فالمعرفة طريق التقدم، والمحرك للفكر الإنساني
كي يتقد، ويتوهج، فتبرز الحقائق ساطعة في
حيز الواقع، وتتشط مناهج البحث العلمي بعد
غفوتها، فتأخذ مسارها الصحيح، وصولاً إلى
تحريك طاقات الأمة الكامنة، وتجسيد
الانتصارات نحو الانتصارات
في مجالات العلوم كافة.
وقد نفى عز وجل التسوية
بين العلماء والجهلاء، فقال:

اعداد:

يوسف بدوي - سوريا

وإذا أردنا للنهضة العلمية أن تعود
من جديد حاملة لواء الفكر
والتحصيل، فلا بأس بباطلة على الماضي
المشرق، كي نعي أصالتنا، ونذكر الأسس
المتينة، والقواعد الراسخة، التي قامت
الحضارة العربية على أركانها.
ومن تلك الأسس، بل من أهمها على
الإطلاق:

* الاهتمام بالعلم اهتماماً لا
يحول بونه أي عثرات أو
نكبات، لأن العلم هو منشئ
الحضارة، والوسيلة الأساسية



- بعض المؤلفات التراثية في المكتبة الظاهرية بدمشق.



- قاعة محمد كرد علي في المدرسة العادلية بدمشق.



- قسم الدراسات العليا في المدرسة العادلية

[قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب] (الزمر/٩).

لذا أمر الله سبحانه باستشارة العلماء، وسؤالهم، وتوثيق المعرى بين النهضة والعلماء، وبين المعرفة والسلوك المنضبط. قال تعالى: [فستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون] (النحل/٤٣).

وقد كان النداء القرآني الأول إعلاناً للحرب على الأمية، ودعوة لا تهدأ للأخذ برقاب العلم على كل الأصعدة. قال تبارك وتعالى: [اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم] (العلق/ ١ - ٥).

وهذا العلم واسع المدى، لا تحده حدود، ولا يقتصر على العلم الدنيوي، بل يمتد ليشمل نواحي الحياة كلها، واتصالا بالمعارف الإنسانية المتاحة. وعلى كل أفراد المجتمع أن ينحوا نحو العلم، ويتزودوا من الثقافات، وينالوا حظهم من المعارف قال (صلى الله عليه وسلم) «طلب العلم فريضة على كل مسلم» [١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» [٢].

* ومتى انتشر العلم، واهتم الناس به، تولد حب الكتب عندهم، وصار يدينهم شراء الكتاب، وتكوين المكتبات



- مدخل المكتبة الظاهرية في دمشق -

الخاصة والعامّة، والبحث عن النخائر
المخطوطة، وإبرازها إلى عالم النور.
وقد أدرك أجدادنا - أثابهم الله
تعالى - فضيلة اقتناء الكتب،
فمدحوها، وسارعوا في اصطيانها
كثراً وفيراً لعقولهم، وأسرهم.

قال الجاحظ مظهراً محاسن الكتاب،
ومبيناً مميزات التي لا تُعد ولا تحصى:
«نعم الجليس والعدة، ونعم العشرة
والزهوة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة.
والكتاب وعاء ملكة علماء، وظرف حُشي
ظرفاً، وإناء شح من زاحاً وجداً» [٢].
وقديماً قال المتنبّي:

أعزّ مكان في الدنيا ظهر سايح
وخير جليس في الزمان كتاب [٣]
وحدث ياقوت الحموي: أن الحسن
بن محمد بن الحسن بن محمد بن
حمدون (ت ٦٠٨ هـ) كان من المحبين
للكتب واقتنائها، والمبالغين في
تحصيلها وقراءتها وحصل له من
أصولها المتقنة ما لم يحصل أحد.

ثم تقاعد به الدهر، وبطل عن العمل، فراه
ياقوت يُخرج كتبه ويبيعها، وعيناه تفرغان
بالموع كالمفارق لأمله الأعزاء فقال له
ياقوت: هوّن عليك فإن الدهر لو نول، وقد
يُسعف الزمان ويساعد، وترجع لولة العز
وتعاود فتستخلف ما هو أحسن منها وأجود.
فقال: حسبك يا بني! هذه نتيجة خمسين سنة
من العمر أنفقتها في تحصيلها. وهب أن
المال يتيسر، والأجل يتأخر - وهيئات - فحينئذ
لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق؛
الذي ليس بعده تلاق. قال ياقوت: ثم أدركته
منيته ولم ينل أمنيت [٤].

وبعد هذا الحديث عن الاهتمام بالعلم والكتاب،
لا بد أن نصحب الكتاب العربي في مجموعات،
وتصانيفه، وتنوعه وهو ينتقل بنسخه من بيت إلى
بيت، ويأخذ مكانه اللائق به على رفوف المكتبات؛
ليكون زاداً وفيراً للمطالع، وذخراً يخلفه الآباء
للأبناء والجيل للجيل، في حركة مستمرة، تجعل
القلب يقظاً وتدفع الفكر نحو اقتناص المزيد من
المعارف والعلوم.

إن إطلاقة - ولو سريعة - على العصر الذهبي
للأمة العربية، تتسع لنا الوقوف على كنوز
الأجداد، بدءاً من عصر «الرشيد» وابنه
«المأمون».



.. مخطوطات من القرون الوسطى في المكتبة الخالدية في القدس.

الرُّصد بهذه المكتبة بضع عشرة سنة، وظفر بكتب نفيسة. وهذا العالم المورخ له ذكاء مفرط، وخط منسوب رشيق، فكان بداية خير للمكتبة، وتطوير لها [١٠].

(٢) وفي الأندلس كانت «مكتبة الحكم الثاني المستنصر بالله» مضرب المثل فيما وصلت إليه من عدد الكتب المجموعة، والاهتمام بها، وبمن يؤمنونها. ذلك أن «الحكم الثاني» جمع من الكتب ما لا يُحَدّ، ولا يوصف كثرة ونفاسة، حتى قيل: إن مكتبته كانت تضم (٤٠٠) ألف مجلد، وأن رجاله لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها. وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي،

(١) لقد أسس هارون الرشيد «بيت الحكمة»، فكانت مركزاً للنقل والعلم، ثم تطورت لتصبح من المؤسسات العلمية المتأيزة في البحث، وتخزين الكتب، والتأليف، وتكون مركزاً للرُّصد الفلكي الذي شاع توره في عصر المأمون.

وتم تسخير الصروب للعناية بالعلم، وجلب الكتب عظيمة القيمة، وإحضار المخطوطات التي قل وجود نظيرها. وكانت طريقة الرشيد في الحصول على تلك الكتب تتم بأن يتجه بغزواته إلى المدن المشهورة بأنها معاقل للثقافة اليونانية في آسيا الصغرى كعمورية، وأنقرة، وغيرها. وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة، والكتب النفيسة؛ التي كان سكان تلك المدن قد جهلوا قيمتها، ولم يعوبوا يعرفون من أمرها إلا أنها مخلفات قديمة [٦].

وكان «الرشيد» يحرز النصر في هذه الغزوات، ويجعل من بين شروط الصلح:

الحصول على الكتب التي كان يريد، ولم يكن الرومان يبديون كبير معارضة للرشيد في الحصول على هذه الكتب [٧].

وقام الرشيد بتعريب تلك الكتب، على يد: يوحنا بن ماسويه، حيث قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة، وعمورية، وسائر بلاد الروم، ووضع أميناً على الترجمة [٨].

كما عهد الرشيد إلى الفضل بن نوبخت ليشرف على الترجمة من الفارسية إلى العربية [٩].

وقد تولى ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ) كُتب

بإذلا ما أمكنه من الأموال، حتى ضاقت خزائنه [١٨].

وكان «الحكم» هذا محباً للعلوم، مكرماً لأهلها، جماعة للكتب بأتواها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله. وكان يبعث في طلب الكتب من الأقطار، حتى جلب إلى الأندلس ما لم يعهده [١٩].

ومن شدة اهتمام «الحكم الثاني» بالكتب، وشغفه بها، أنه كان يبذل الأموال الكثيرة لاقتباها، فقد حدثوا أنه سمع بكتاب «الأغاني» وأنه موسوعة لم يؤلف مثلها، ولم يسبق إليها فأرسل (١٠٠٠) دينار من الذهب لشراء نسخة من هذا الكتاب [٢٠].

ولم يكن «الحكم الثاني» يشتري الكتب لحسب، بل كان يطلع عليها، ويقرأ فيها، ويكتب ما ين له، حتى بذ غيره، وعلاصيته، وعظمت شهرته [٢١].

وكان مصير هذه المكتبة فاجعة تعتمر القلب حزناً وألماً، ذلك أن المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢هـ) أخرج جميع الكتب الفلسفية الموجودة في مكتبة «الحكم الثاني» وأحرقها في قرطبة إرضاء للعامة والفقهاء في عصره. ثم جاءت الطامة الثانية على يد الحاجب واضح - من موالى المنصور - الذي باع أكثر كتب تلك المكتبة.

وما تبقى من الكتب صار نهبه عندما دخل البربر قرطبة، واقتحموها عنوة [٢٢].
ويحدثنا القلقشندي عن مكتبة «بيت الحكمة» بقوله:

«كان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقدم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتير بغداد، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم - آخر خلفائهم - ببغداد، فذهبت

خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها» [٢٣].

(٣) وفي عهد الفاطميين أسس الحاكم بأمر الله «دار الحكمة» وافتتحت عام (٣٩٥هـ) وجلب إليها أعداداً غفيرة من الكتب الموجودة في خزائن القصور الفاطمية، كما حمل إليها عدداً كبيراً من الكتب الموجودة في خزائنه الخاصة من سائر العلوم، والآداب، والخطوط المنسوبة، ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك [٢٤]. كما قُسمت المكتبة أقساماً.

قسم للفقه، وقسم لقراء القرآن الكريم، وقسم للمجمن، وقسم لأصحاب النحو واللغة، وقسم خاص للأطباء.

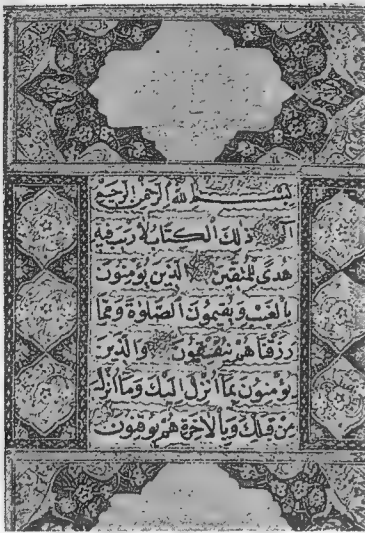
كما سُمح لسائر الناس بالتردد على هذه المكتبة، والاطلاع على محتوياتها، والنظر في ذخائرها. كما أعطى الحاكم رواتب لمن رسم له بالجلوس فيها، والخدمة لها من فقيه وغيره.

وقد حضرها الناس على مختلف مستوياتهم الثقافية، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم.

كما جعل في هذه المكتبة ما يحتاج إليه الناس من: العبر، والأقلام، والورق، والمحابر [٢٥].

(٤) وفي زمن المفلول تم تأسيس «مكتبة مراغة» يقول ابن شاطر الكتبي من هذه المكتبة: «ابتنى نصير الدين الطوسي بمراغة قبة، ومرصداً عظيماً، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة، فسيحة الأرجاء، وملاها من الكتب التي نُهبَت من بغداد، والشام، والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على (٤٠٠) ألف مجلد» [٢٦].

(٥) وفي الكرخ بنى سابور بن أردشير - وزير بهاء الدولة البويهية - مكتبة «دار العلم»



- صورة من مصحف مغربي بخط النسخ -

بطولة، ووصفها ابن الفرات - المؤرخ المصري
- بأنها أعظم مدارس بغداد.
وتولى محمد بن أحمد الأبيوردي منصب
أمين هذه المكتبة [٢٣].

وشمة عناية كبرى بهذه المدرسة، فقد ذكر ابن
الأثير أن ناراً وقعت سنة (٥١٠هـ) في الحظائر
المجاورة للمدرسة النظامية فاحترقت الأخشاب
التي بها، وانتقل الحريق إلى درب السلسلة،
وتطاير الشرر إلى باب المراتب، فاحترقت منه
عدة دور، واحترقت خزانة كتب النظامية، وسلمت
الكتب لأن الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها [٢٤].
وكان عدد هذه الكتب نحواً من ستة آلاف

ووقفها على العلماء، ونقل إليها كتباً
كثيرة، بلغت (١٠٤٠٠) مجلداً من
مختلف أصناف العلوم، منها مئة
مصحف بخطوط ابن مقلة [٢٥].

وكانت هذه المكتبة تقبل أسلوب إيداع
الكتب فيها، فقد حدث ياقوت الحموي
أن أحمد بن علي بن خيران الكاتب (ت
٤٣٦هـ) سلم إلى أبي منصور بن
الشيرازي - رسول ابن النجار إلى
مصر من بغداد - جزأين من شعره
ورسائله، واستصحبهما إلى بغداد،
ليعرضهما على الشريف المرتضى أبي
القاسم - المشرف على دار العلم في
بغداد آنذاك - وغيره؛ ممن يأنس به من
رؤساء البلد، ويستشيرهم في تخليدهما -
إيداعهما ووضعهما - دار العلم؛ لينفذ
بقية الديوان والرسائل، إن علم أن ما
أنفذه منها ارتضى واستجيد [٢٦].

وقد قصد أبو العلاء المصري هذه
المكتبة، وتعرف إلى محتوياتها،
واستفاد منها، يقول: «والذي أقدمني

إلى تلك البلاد مكان دار العلم بها... ولكني
أثرت الإقامة بدار العلم، فشاهدت أنفس
مكان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه» [٢٧].
شففاً بدار العلم فيك وقلوب
ما زال ريعاً للعلوم وداراً
* وقد احترقت هذه المكتبة، ونهبت كتبها -

(٦) وفي عام (١٠٦٧م) تم افتتاح مدرسة نظام
الملك في بغداد وألحق بها مكتبة كبيرة، غنية
بالكتب، ومنظمة، وقد زودت بكل كتاب غريب
ونادر.

وقد درس الفزالي في هذه المدرسة أكثر من
سنتين، وابن شداد - وزارها ابن جببر، وابن



.. مدخل المدرسة العادلية.

في القرن العاشر (٤٠) ألف مجلد، ومكتبة الخليفة العزيز في القاهرة، كانت تحوي (١٦٠٠٠٠) مجلداً، ولما توفي الوزير المهلبى سنة (٣٥٢هـ) وجد في مكتبته (١١٧٠٠٠) كتاباً، واستطاع ابن عباد أن يجمع في مكتبته أيضاً (٢٠٦٠٠٠) كتاباً ومزّعاً أن مكتبة الحكم الثاني في الأندلس كان تضم (٤٠٠) ألف مجلد.

هذا قيس من تاريخنا المجيد، يتمثل في المكتبات، أهم عامل لتثقيف الناس، وقيامهم بالبحث، والدرس، والتأليف، والتحصيل، وقراءة التاريخ بتمعن، للاستفادة من الدروس والعبر

مجلد، كما ذكر ابن الجوزي [٢٥]. وأصيب هذه المكتبة بالإهمال مع مرور الزمن، إلى أن جدها الخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة (٥٨٩هـ) [٢٦].

(٧) ومن المكتبات المشهورة التي بعثت في هذا العصر بمشقق [٢٧]: خزانة قبة صحن الجامع الأموي، وكانت مملوءة برفوف نفيسة فتحت سنة (١٣١٧هـ) بأمر السلطان عبد الحميد الثاني. وكان في «دير صيننايا» خزانة كتب حافلة بالمخطوطات النادرة، ولكنها أحرقت بأن جعلت وقوداً للفرن، وكان في دمشق عدة خزائن للكتب بعثت، منها: خزانة آل حمزة، وخزانة الحضرة، وآل الحسيني، وخزانة آل عبد القادر الحسيني، أهلت أسرته كثيراً منها للمجمع العلمي، فجعلها في الخزانة الظاهرية.

وحرقت خزانة بدر الدين الحسيني،

وخزانة الشمعة، وآل مرادم بك، وخزانة آل القوتلي. كما حفظت غيرها من الخزائن. وأهم الخزائن العامة في دمشق: خزانة دار الكتب الظاهرية، وقد أخذت مكائنتها من الكتب النادرة المحفوظة فيها. وقد أنشئت هذه الخزانة سنة (١٢٩٦هـ) بمساعي طاهر الجزائري وسليم البخاري، ومعاونة غيرهما من العلماء.

وقد انتشرت المكتبات العامة والخاصة في طول البلاد العربية وعرضها، وتتنافس القائمون عليها في جلب الكتب إليها، حتى إن مكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق، كانت تحوي

وبالتالي تقوم هذه الأمة من جديد وفق نهضة علمية حقة.

وإذا كانت النهضة تملأ قلوبنا حين تلتفت إلى ماضي الأمة، فنشتم برؤوسنا عاليا لما ينداح في عصر الحضارة الزاهرة من مكتبات عديدة، ونهضة علمية متقدمة، فإننا نأسى لما تعرضت له تلك المكتبات من اضطهاد كبير من أعداء الحضارة والجهلة، فكانت النتيجة قضاء مبرماً على أثنى ما خلفه الفكر العربي والإسلامي.

ومن تلك النكبات [٢٨].

١ - نكبة التتار حين افتتحوا بغداد، ففاحض نهر بجلة بما قذفوا فيه مما وجوه في نور الكتب، وظل ماء النهر أسود داكناً مدة طويلة لانحلال مداد الكتب فيه.

٢ - نكبة القزو الصليبي، وقد قُدر بعض المؤرخين ما أتلّف الصليبيون في طرابلس وحدها بثلاثة ملايين مجلدًا.

٣ - نكبة استيلاء الأسبان على الأندلس، حيث تم إحراق المكتبات العظيمة هناك بفعل التعمص ضد العرب والمسلمين، حتى إنه قد أُحرق في يوم واحد في ميدان غرناطة ما قدره بعض المؤرخين بمليون كتاب.

وعلاوة على ذلك فقد أصيبت المكتبات العربية بعداء سافر من التجار الذين باعوها إلى الغرب بثمن بخس، فنقلوا الحضارة والعلم إلى تلك الأماكن.

وفوق هذا وذاك كانت الفتنة الداخلية عاملاً محرّقاً للمكتبات العربية، فمكتبة الخلفاء الفاطميين اعتدى عليها القوغاء من المماليك الأتراك، فأشعلوا فيها النار، واقتسم العبيد جلود كتبها فاتخلوها نعالاً يلبسونها!

ومكتبة الحكم الثاني المستنصر في الأندلس ذهبت حين نخل البربر قرطبة، فبيع كثير

منها ونهب الباقي.

إن الماضي العربي والإسلامي مجيد، ونحن ننتظر امتداداً مكتبياً في كل البلاد العربية والإسلامية، ونهضة متفوقة هنا وهناك، لا سيما في هذا العصر؛ عصر الحاسوب الآلي، فنستفيد منه كل الفائدة، فنلحق بركب الحضارة، ونتابع السير قُدماً في مختلف الأصعدة.

الهوامش:

(١) روى ابن ماجه برقم ٢٢٤.

(٢) روى أبو داود برقم ٣٦٤١ و ٣٦٤٢ والترمذي برقم ٣٦٨٢ وابن ماجه برقم ٢٢٣.

(٣) كتاب البيان للجاحظ ٣٣/١.

(٤) ديوان المتتبي ٣١٩/١، «الدينا» جمع دنيا. «السابع» الفرس السريع الجري.

(٥) معجم الألباء ١٨٥/٩ - ١٨٧.

(٦) الخوازمي، للرقوقي والتواضي من ٧٨.

(٧) المصدر السابق.

(٨) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١٢٤/٣).

(٩) تاريخ الحكماء للقفطي من ٢٥٥.

(١٠) شذرات الذهب، لابن العماد ١٠٩/٨.

(١١) نفع الطيب، المقري (٣٩٥ - ٣٩٤/١).

(١٢) المعبر، لابن خلّون (١٤٧/٤).

(١٣) نفع الطيب (٣٨٦/١).

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) المعبر، لابن خلّون (١٤٦/٤).

(١٦) صبح الأعشى (٤٦٦/١).

(١٧) الخطط المغربيّة (٣٣٧/٢).

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) فوات الوفيات (٣٠٧/٢).

(٢٠) النجوم الزاهرة، لابن تقي بريدي (١٦٤/٤).

(٢١) معجم الألباء (٦ - ٥/٤).

(٢٢) تعريف القدماء، بلخي العلاء من ٨٩.

(٢٣) معجم الألباء (٣٣٧/١٧).

(٢٤) الكامل في التاريخ (٢٢٩/٨).

(٢٥) حيد خاطر من ٢٠٧.

(٢٦) الكامل في التاريخ (٣٣٩/٨).

(٢٧) خطط الشام، أحمد كرد علي (١٩٧ - ١٩٤/١).

(٢٨) من روائع حضارتنا، للفتكون مصطفى السباعي من ١٦٢.

١٦٣

الإمام الشافعي عندنا

ولذلك، فإن المرء يحار أمام «اجتراء» الدكتور نصر على كثير من رموز الأمة .. ويتساءل: أهو سوء فهم؟ أم سوء نية؟ .. أم هما معا؟

ونحن لن نشغل أنفسنا، ولا القارىء، بالإجابة على هذه التساؤلات .. بقدر ما سنقف مع القارىء أمام نماذج - مجرد نماذج - لهذا «الاجتراء».

فالصورة التي يقدمها الدكتور نصر للمهاجرين الأولين، الذين (أخرجوا من ديارهم وأموالهم) يتفقون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون [١] والذين (رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) [٢] .. هذه الكوكبة من السابقين الأولين، الذين صاغهم الاسلام، وصنعهم الرسول، صلى الله عليه وسلم، على عينه،

يصورهم الدكتور نصر في صورة العصابة، التي ما كاد الرسول يلحق بربه حتى ارتكوا إلى العصبة القبلية - القرشية - وفرضوها على الاسلام والمسلمين والمشروع الاسلامي، رافضين حتى إشراك الأنصار، الذين أووا ونصروا، في السلطة أو تداولها

في كثير من كتابات الدكتور نصر أبو زيد «اجتراء» غير مألوف على كثير من رموز الأمة الإسلامية .. والحديث عن «رموز للأمة» لا يعني

إضفاء القدسية على بشر أيا كان دوره وموقعه في تاريخ الإسلام .. ففي الإسلام لا قدسية لغير الله وآياته .. ولا عصمة لغير الرسل، عليهم السلام، وحتى عصمة الرسل فهي فيما يبلغونه عن الله، فالعصمة من ضرورات «الرسالة» وليست امتيازاً للجانب البشري المجتهد في الرسل والأنبياء ..

لكن لكل دين وفلسفة ووطن وجهاد وأمة «الرموز» التي تمثل «المثل» و«المنازل» الحافزة لأجيال الأمة على الاستباق على طريق الخير والتقدم الذي برزت على بربه هذه «الرموز» فالذين يعرفون قدر الدين وعظيم نعمته، يعرفون أقدار الجيل النبوي الفريد الذي رفع

القواعد لهذا الدين، فغير وجه الدنيا وحول مجرى التاريخ .. والذين يعرفون قدر الوطن والوطنية، يجلون رموزها الذين

وهبوا حياتهم لتحرير الأوطان وتقدمها .. والذين يعرفون قيمة العدالة الاجتماعية، يقدرون أبطالها حق قدرهم .. وهكذا في كل الميادين.



بقلم المفكر الاسلامي:
د. محمد عمارة

سر أبو زيد سوء فهم؟ أم سوء نية؟؟

إنما كانت في بنى أمية» [٦] وأبو بكر كان من «تيم» وعمر - الذي يأسر بالبيعة له - كان من «عدي» وأيس فيهما عصبية قريش - ويذكر هذا اعتراض أبي سفيان - الأموي - على تولي أبي بكر، وتحريضه على بن أبي طالب على طلبها، لأنه الأقرب إلى عصبية قريش - فهو من عبد مناف» [٧] ٢ - وهذا الذي تم في السقيفة قد أجمعت عليه الأمة - باستثناء سعد بن عباد - قرشيين وغير قرشيين ٠٠ عربا وموالي ٠٠ أحرارا وأرقاء.

٣ - بل إن هذا الذي حدث في السقيفة - على عكس ما ادعى الدكتور نصر - هو نموذج للتعاقد على توزيع السلطة بين مؤسستين دستوريتين: الإمارة في مؤسسة «المهاجرين الأولين» - العشرة - والوزارة في مؤسسة «النقباء الاثني عشر» - الأنصار - وكلمات أبي بكر، في السقيفة، نص في «تعاقد المشاركة» هذا، ففيها يقول للأنصار: «نحن أوسط العرب أنسابا، ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة ٠٠ وليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم. فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا نفتات بونكم بمشورة، ولا تنقض بونكم الأمور» [٧] ٠٠ وقول أبي بكر: «إن العرب لا تعرف هذا الأمر - (الخلافة) - إلا لهذا الحي من قريش» إشارة إلى هيئة المهاجرين الأولين - الذين جمعوا إلى قرشيتهم السابقة في الدين والريادة في إقامة قواعده وتأسيس دولته ٠٠ - قانين هي «العصبية القرشية» وهؤلاء المهاجرون الأولون كانت حياتهم الإسلامية صراعا مع العصبية القرشية التي ظلت على شركها حتى فتح مكة سنة ٨هـ ٠!

٤ - وأين هو «تدشين السيطرة القرشية على

مهم ٠٠ فأوقعوا الاسلام والمشروع الاسلامي في أولى العثرات!

يقدم الدكتور نصر للمهاجرين الأولين هذه الصورة الكئيبة الكريهة، فيقول: «في اجتماع (السقيفة) بين المهاجرين والأنصار تم تدشين السيطرة القرشية على الاسلام والمسلمين» [٢] ٠٠ فالنزعة «القرشية» التي أرادت الهيمنة على المشروع الإسلامي نجحت عشية وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) في واقعة السقيفة ثم في حروب الردة [٤] ٠٠ فحين رفعت قريش - في حوار السقيفة - مبدأ «الخلافة في قريش» ورفضت رفضا تاما «تداول السلطة» منا أمير ومنكم أمير - كما رفضت «المشاركة» فيها - منا الوزراء ومنكم الأمراء - سجلت العثرة الأولى في تاريخ المشروع الاسلامي» [٥] ٠

ونحن نؤمن بأن هذا الذي جرى في سقيفة بنى ساعدة، حول تأسيس الخلافة واختيار الخليفة الأول، هو «اجتهاد» من الصحابة، غير المعصومين، يرد فيه الخطأ والصواب ٠٠ لكن تعالوا ننظر في «اجترار» ٠٠ «افتراء» الدكتور نصر، محتكمين الى «الوقائع» و«المنطق» لكون «مصارعة» على أوسع الحريات في التفكير.

١ - إن الذي انتصر في السقيفة لم تكن العصبية القرشية ٠ ولو فقه الدكتور نصر - أو حتى قرأ - ما كتبه ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦م) عن العصبية - وعصبية قريش تحديدا - لما سقط في هذه الحفرة ٠٠ فكما يقول ابن خلدون «إن عصبية مضر كانت في قريش، وعصبية قريش في عبد مناف، وعصبية عبد مناف

الإسلام؟ .. وعلماء الإسلام وأئمتهم امتلأت موسوعات طبقاتهم - في مختلف فروع العلم - بأسماء الموالى .. فكان منهم سلاطين العلماء الذين منحتهم الأمة من المحبة والولاء أكثر مما منحتهم لسلاطين الأمراء^{١٩}.

٥ - وأين هي السيطرة القرشسية على المسلمين؟ .. والدول غير العربية قد حكمت المسلمين قرونا هي أضعاف أضعاف الحكم العربي لهؤلاء المسلمين^{٢٠}.

فمن بدء الخلافة الراشدة (١١هـ - ٦٦٢م) وحتى سيطرة العسكر المالك على الخلافة العباسية في عصر المتوكل العباسي (٢٠٦ - ٢٤٧هـ - ٨٢٩م) لم يبلغ زمن الحكم «العربي» قرنين من الزمان (١٨٥ عاما)^{٢١} .. وذلك من مجموع أكثر من ثلاثة عشر قرنا (١٣٤٢هـ) هي عمر الخلافة الإسلامية .. أى أن العرب قد حكموا المسلمين مائة وخمسة وثمانين عاما، على حين حكم المالك والأيوبيون والشركس والعثمانيون أكثر من أحد عشر قرنا (١١٧٥ عاما)^{٢٢} .. فإين هي السيطرة القرشسية أو العربية على المسلمين، ونسبة الحكم العربي في تاريخ الخلافة لا تعدو ١٤٪ من ذلك التاريخ^{٢٣}.

* بل إن الدكتور نصر أبو زيد لا يتورع عن اتهام صحابة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بما يسميه الأيديولوجى للإسلام، لتحقيق السيادة القرشسية^{٢٤} .. فيقول عن جمع المسلمين على مصحف واحد، بقراءة واحدة، فى عهد عثمان بن عفان، رضى الله عنه .. يقول: «ولا نغالي إذا قلنا إن تشييت قراءة النص (أى القرآن) الذى نزل متعددا في قراءة قريش كان جزءا من التوجيه الأيديولوجي لتحقيق السيادة القرشسية» [٨] .. فالعطب - فى رأيه هنا - قد أصاب القرآن، وليس السلطة والدولة فقط^{٢٥}.

ولو كان الدكتور نصر باحثا عن الحقيقة، خلصت نواياه لفهم بقائتها، لعلم أن تعدد الحروف السبعة لم يكن تعددية في قراءة جملة القرآن الكريم، وإنما كانت «رخصة» في نطق بعض الحروف في بعض كلمات القرآن .. فالوحي والتنزيل والتبويب للقرآن كان بقراءة قريش لهذه الأحرف، والرخصة كانت بالقراءة غير القرشسية لهذه الأحرف فى بعض الكلمات .. فلما تجاوزت الأمة نواحي «الرخصة» كان توحيد القراءة لهذه الأحرف، أي العودة عن «الرخصة»، التى فقدت نواحيها، إلى الأصل الذى تم به الوحي والتنزيل والتبويب .. فنحن لسنا أمام انحراف أيديولوجي عن الأصل .. بل أمام عودة طبيعية إلى الأصل.

ولو قرأ الدكتور نصر كلمات الإمام ابن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣هـ - ٩٧٨ - ١٠٧١م) التى يقول فيها: «إن تلك السبعة أحرف إنما كانت فى وقت خاص، لضرورة دعت الى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وماد ما يُقرأ به القرآن على حرف واحد» [٩] .. لو قرأ هذه الكلمات لما قال هذا الذى قال .. بل لو قرأ كلمات أستاذ - نعلم أنه أثير لديه - هو الشيخ أمين الخولى (١٣١٤ - ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦ - ١٩٦٦م) عن إنجاز الصحابة هذا، على عهد عثمان: «وهذا الذى صنعه عثمان إذا ما سميناه جمعا، فإنه لجدير بأن يسمى جمع المسلمين، لا جمع القرآن .. فإن جمع القرآن - بمعنى ضم أجزائه - قد كان فى عهد الرسول بما يلائم نزوله منجما، ثم كان هذا الجمع - بمعنى الضم - فى عهد أبي بكر، بما حفظ أصلا رسميا يكون مرجعا .. وعمل عثمان هو تهيئة هذا الأصل الرسمي للتداول العملي، على حال تلاثم الدعوة الإسلامية التى امتدت وتمتد .. فالمهمة في جوهرها: إخراج كتابي للنص القرآني في حرف واحد موحد من الحروف التى أنزل بها، وتركت

إباحة القراءة بها إلى حين»[١٠].

ثم : ما هو حجم الخلاف في قراءة القرآن عند توحيد هذه القراءة على حرف واحد؟

إن سيف بن عمر التميمي (١٨٠هـ - ٧٩٦م) صاحب كتاب (الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلى) يقول: إن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، قد قال لمن عهد إليهم بهذه المهمة - زيد بن ثابت وسعيد بن العاص - يكتب أحدهما ، ويملى الآخر، فإذا اختلفنا في شيء فارفعاه إليّ. فكتب أحدهما وأمل الآخر، فما اختلفا في شيء من كتاب الله، عز وجل، إلا في حرف من سورة البقرة، قال أحدهما: التابت، وقال الآخر: التبت. فرفعاه إلى عثمان، رضي الله عنه، فقال: التابت»[١١].

لو قرأ الدكتور نصر أبو زيد هذه النصوص، وفهمها ووعاها، وحسنت منه النوايا، لما كان منه هذا الاجترار على صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورضي عنهم. ولما طعن بحسوث توجيهه أيديولوجي للقرآن الكريم!

* ولقد خصص الدكتور نصر «للاجترار والافتراء» على الإمام الشافعي كتابا قائما بذاته... وإذا كنا قد عرضنا لمواضع من أفكاره فيه، في غير هذا المقام... فإننا سنتقف هنا أمام أربعة نماذج من الافتراء على هذا العلم من أعلام أئمة الفقه والأصول... وصاحب المذهب الفقهي الذي يستقطب عشرات الملايين من المسلمين.

١ - ينقل الدكتور نصر عن الإمام الشافعي - من كتاب «الرسالة» - عبارات يتحدث فيها الشافعي عن الموضوع «عند أهل العلم بلسان العرب» في المراء من قول الله سبحانه: [يأتيها الناس ضَرْبٌ مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، ضَعُفُ الطالب

والمطلوب][١٢] - وقوله: [ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس][١٣]... فلاهل العلم بلسان العرب وضوح بالمراد من هذه الآيات، نبيما. يفضن المراد عند «من يجهل لسان العرب».

فالشافعي - من واقع النص الذي نقله الدكتور نصر - يتحدث عن أهل العلم باللسان العربي وأهل الجهل بهذا اللسان... ولكن الدكتور نصر - لسانا ندري ولا النجم يدري كيف - يتهم الشافعي بالتعصب للجنسية العربية وأصولها العرقية، بل والقبلية القرشية تحديدا!!... فيقول، معلقا على كلام الشافعي: «فليس الغموض والوضوح إذن في دلالة العموم على الخصوص مرتبطا بطبيعة التركيب والسياق، بل هو مرتبط أساسا - عند الشافعي - بطبيعة المتلقي، أو بالأحرى بجنسيته وأصوله العرقية... إن الشافعي، وهو يؤسس عروبة الكتاب... كان يفعل ذلك من منظور أيديولوجي ضمنى في سياق الصراع الشعوبي الفكري والثقافي... لقد انحاز لا إلى العروبة فقط، بل إلى «القرشية» تحديدا[١٤]»!

فالشافعي معياره العلم بالعربية أو الجهل بها - دون ذكر للجنس أو العرق في العالمين والجاهلين - فقد يجهلها العربي جنسا ويفقهها غير العربي - وأئمة علوم العربية لم يكن الكثيرون منهم عربا بالعرق والجنس... ولكن الدكتور نصر يوجه إلى الشافعي تهمة أيديولوجية العصبية الجنسية والأصول العرقية العربية، والقبلية القرشية!... فهل هو سوء فهم؟... أم سوء نية؟... أم هما معا؟

٢ - وينقل الدكتور نصر عن الشافعي - في «الرسالة» - نصا يتحدث فيه عن أقسام السنة النبوية، وعن آراء العلماء في مكانة السنة من الوحي ومن القرآن... يقول فيه: «وسن رسول الله مع كتاب الله وجهان:

أحدهما: نص كتاب، فاتبعه رسول الله كما أنزل

الله.

والآخر: جملة، بين رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة وأوضح كيف فرضها.
وكلاهما اتبع فيه كتاب الله... وهذان الوجهان اللذان لم يختلف أهل العلم فيهما.

والوجه الثالث: ما سنّ رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب... فمنهم (أى العلماء) من قال: جعل الله له... بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه... أن يسنّ فيما ليس فيه نص كتاب... ومنهم من قال: لم يسنّ سنة قط إلا ولها أصل في كتاب... ومنهم من قال: بل جاحته به رسالة الله، فاثبتت سننه بفرض الله... ومنهم من قال ألقى في روعه كل ما سنّ... وسنّته الحكمة الذى ألقى في روعه، فكان ما ألقى في روعه سنّته [١٥]».

هكذا حكى الشافعى آراء أهل العلم فى مكانة السنة من الكتاب ومن الوحي... وأكثر هذه الآراء إعلاء لمكانة السنة هو الذى يجعلها لونا من الوحي متميزا عن الوحي القرآنى - فهى إلقاء فى الروع - فتظل غير القرآن، إذ لا إعجاز فيها، ولا قطع فى ثبوتها، ولا اقتصار فى روايتها على اللفظ - إذ تروى بالمعنى... ورغم كل هذا الوضوح، ومع... يعلق الدكتور نصر على هذا الذى أورده الشافعى، فيتهمه بأنه «حرص لا على جعل السنة شارحة ومفسرة للكتاب فحسب، بل على إدماجها فى أنماط الدلالة، وإلخالها جزءا جوهريا فى بنية النص القرآنى [١٦]» - (ولاحظ تعبيره «إلخالها جزءا جوهريا فى بنية النص القرآنى» - والذى لم يخطر للشافعى ببال... ولا شبه بينه وبين أى من الآراء حكاها عن العلماء) ١٠.

فالذين جعلوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) مشرعا بسنّته... قالوا إن هذه السنة «إلقاء فى الروع»، أى أنها «لون من الوحي» - فالمشروع الاصلى والحقيقى والابتدائى فيها ولها وبها هو

الله، سبحانه وتعالى... ومع ذلك، يجعل الدكتور نصر من أصحاب هذا الرأى - ومنهم الشافعى - أهل «العصبية العربية القرشية، التى كانت حريصة على نزع صفات البشرية عن محمد، وإلباسه صفات قدسية إلهية تجعل منه مشرعا [١٧]».

فهل هو سوء فهم؟ أم سوء نية؟ أم هما معا؟

٣ - ولأن الشافعى رفض «الاستحسان»، واكتفى بالقياس... ذهب الدكتور نصر إلى اتهامه بالنضال للقضاء على التعددية الفكرية والفقهية، وهو نضال لا يخلو من مفزى اجتماعى فكرى وسياسى واضح [١٨]... كما يقول نصر؟

واست أدري كيف يناضل للقضاء على التعددية الفكرية والفقهية من كان نموذجا جسّد التعددية فى الاجتهادات الفكرية والفقهية؟

لقد أبدع الشافعى مذهبا قديما - عندما كان بالعراق - ثم أبدع هو ذاته مذهبا جديدا - فى الواقع المصري المتميز عن واقع العراق... ولم يتنكر فى جليده لقيده، وإنما رآهما فى إطار تميز الاجتهادات وتعددها لتمييز وتعدد الرؤى والوقائع والأعراف.

ومن الذى يستطيع أن يتجاهل دلالة شعار الشافعى: منهى صواب يحتمل الخطأ ومنهى غيرى خطأ يحتمل الصواب... دلالاته فى التأسيس والتقعيد للتعددية الفكرية والفقهية والمذهبية وشرعية ومشروعية التنوع فى الاجتهادات؟

وإذا كان الشافعى قد رفض «الاستحسان» وقال به الحنابلة... فهل يجوز لصاحب منطق ان يصنف الشافعى فيمن يضيقون بالتعددية الفكرية والفقهية أكثر من ضيق الحنابلة بها؟... فضلا عن أن يقول إنه كان مناضلا للقضاء على هذه

حيث استخراج الحكم أو من حيث استنباط العلة
أو من حيث نقل حكم الأصل إلى الفرع» [٢٦].
هكذا كالم الدكتور نصر المدائح للقياس - لمكانته
من العقل والعقلانية والتأويل والتفسير والتطوير
ومواكبة متغيرات الزمان والمكان - وكان ذلك فيما
كتبه سنة ١٩٨٨ م. ثم غاد بشهوة العداء للإمام
الشافعي ليحكم على إعلائه لشأن القياس، بأنه:
تأسيس بالعقل لإلغاء العقل - وكان ذلك فيما كتبه
سنة ١٩٩٢ م.

فهل هو مجرد تغيير؟ ... أم سوء فهم؟ ... أم
سوء نية؟ ... أم كل ذلك جميعا؟!
تلك نماذج - مجرد نماذج - لافتراءات الرجل
على الإمام الشافعي، رضي الله عنه.

الهوامش:

- (١) المشرق: ٨.
- (٢) التوبة: ١٠٠.
- (٣) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ٥٧.
- (٤) التفكير في زمن التفكير ص ١٦٩.
- (٥) مجلة القاهرة - مشروع النهضة بين التوفيق والتفريق - أكتوبر سنة ١٩٩٢ م.
- (٦) المقدمة ص ١٧١ - طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ.
- (٧) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٧ - ٢١٠ - أحداث سنة ١١ هـ - وابن قتيبة (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ٦ - ١١ طبعة القاهرة سنة ١٣٣١ هـ.
- (٨) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ١٥.
- (٩) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ١ ص ٤٢.
- (١٠) دائرة معارف الشعب - مادة القرآن الكريم - ج ١ ص ٢٢، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩ م.
- (١١) حقق هذا الكتاب: د. قاسم السامرائي، طبعة لندن - هولندا سنة ١٩٩٥ م، انظر عرض وايد نويهض له - صحيفة الحياة - لندن - في ٩/٩/١٩٩٥ م، والنص في ص ٥١ - ٥٢ من الكتاب.
- (١٢) المعج: ٧٥.
- (١٣) البقرة: ١٩٩.
- (١٤) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ٣٦، ٣٧، ٣٩.
- (١٥) المرجع السابق ص ٣٧ - ٣٩.
- (١٦) المرجع السابق ص ٣٩.
- (١٧) المرجع السابق ص ٥٥ - ٥٦.
- (١٨) المرجع السابق ص ١٠١.
- (١٩) الموسوعة الفقهية - مادة استحسان - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت سنة ١٩٨٣ م.
- (٢٠) المرجع السابق ص ٢٢.
- (٢١) إشكاليات القراءة وآليات التأويل ص ٢٠٢ - ٢٠٤.

ولو كان الدكتور نصر باحثا عن الحقيقة، يجمع
إلى طلب العلم حسن النية، لعلم أن الاختلاف الذي
روى عن الفقهاء، في الموقف من الاستحسان، هو
- كما قال المحققون - «خلاف لفظي» لأن
الاستحسان إن كان هو القول بما يستحسنه
الإنسان ويشتهي من غير دليل فهو باطل، ولا يقول
به أحد، وإن كان هو العدول عن دليل إلى دليل
أقوى منه، فهذا مما لا ينكره أحد [١٩] من
الفقهاء.

وهذا هو عين ما صنعه الشافعي ... وإلا بماذا
نسمى عدوله عن الأدلة التي أسس عليها
اجتهاداته في مذهبه القديم، إلى الأدلة التي أسس
عليها اجتهاداته في مذهبه الجديد؟ ... أليس هذا
هو جوهر وحقيقة الاستحسان، الذي لم ينكره أحد
من فقهاء الإسلام؟!

٤ - ويشاء الله أن يقع الدكتور نصر أبو زيد،
في تناقض حاد - وهو يهاجم الإمام الشافعي - لقد
اتهم الشافعي بأنه «يؤسس بالعقل إلغاء
العقل» [٢٠]، لا شيء إلا لأنه اكتفى بالقياس عن
الاستحسان - ولقد علمنا نوع الاستحسان الذي
عزف عنه ... والنوع الذي مارسه.

وفي دراسة أخرى، أخذ الدكتور نصر يتحدث
عن علاقة القياس بالعقل وحركة العقل، وبالتأويل،
وبالتفسير وبالتطوير الذي يواكب المستجدات ...
فقال: «والقياس - كما هو واضح - يعتمد حركة
العقل في فهم الظاهرة أو النص ... وهو في مجال
النصوص الدينية، الأداة التي يستطيع بها العقل
الإنساني تطوير دلالة هذه النصوص لتلائم
متغيرات الزمان والمكان في مجال الأحكام
الشرعية، وهي الأداة التي يقوم بها «التأويل» في
الجوانب الأخرى للنصوص الدينية ... إن القياس
يعتمد اعتمادا أساسيا على التأويل، سواء من

نحو فقه مبسر معاصر (٢٠١)

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، عقود متتالية من الحركة النشطة الفاعلة في مجالات: التأليف العلمي الدقيق، والدعوة والتوجيه، والفقه والفتوى، والتدريس الجامعي، والندوات والمحاضرات والمؤتمرات، والمشاركة الفاعلة في عضوية المجالس العلمية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية... إضافة إلى ما يزيد على خمسين مؤلفاً، كثير منها ترجم إلى مجموعة من اللغات الحية، ومجموعة من لغات العالم الاسلامي.

الأستاذ الدكتور القرضاوي فكر نير، وعمل جاد بؤوب لتجديد حركية الفقه الإسلامي وتيسيره للمسلمين، وتقريب الفقه الإسلامي من حياة المسلمين في واقعهم المعاش، لا سيما وأن كثيراً من قضايا الفقه الإسلامي لم تعد مطبقة في حياة الناس لسبب أو آخر.

وهذه الدراسة القيمة وأحدة من جهد الدكتور القرضاوي في هذا الاتجاه (نحو فقه مبسر معاصر).

وتسعد (المنهل) بنشرها للقرءاء الأكارم على حلقتين لتعم بها الفائدة.

والعلم المتكفل ببيان العمل ومعرفة ما له من حكم شرعي هو علم الفقه.

وهناك علم يختص بالأعمال الباطنة، أي ما يتعلق بأعمال القلوب، محبوبة كانت أو مبغوضة، وهو علم التصوف، أو السلوك.

ومن أئمتنا من وضع هذه العلوم كلها جنباً إلى جنب في نسق واحد، كما فعل ذلك الإمام



بقلم المفكر الإسلامي الكبير

/٥٠١/

يوسف القرضاوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداة. أما بعد: فإن الإسلام، إذا أردنا تلخيصه في كلمتين اثنتين، قلنا: هو عقيدة وعمل أو إيمان وسلوك.

والعلم المتكفل ببيان العقيدة وتعاليمها وشرحها هو علم التوحيد.

حول تيسير الفقه:

علم الفقه

الفقه كما يعرفه أهله هو: معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. فهو علم القانون الإسلامي، ولكنه ليس كعلم القانون الوضعي، بل هو أعمق وأشمل وأوسع دائرة.

علم الفقه هو: العلم الذي يضبط حياة الفرد المسلم والجماعة المسلمة بأحكام الشرع، سواء منها ما يختص بالعلاقة بينه وبين الله تعالى، وهو ما ينظمه فقه العبادات أم ما يتصل بالعلاقة بين المرء ونفسه، وهو ما ينظمه فقه الحلال والحرام، وأنب السلوك الشخصي أم ما يتصل بالعلاقة بينه وبين أفراد أسرته وهو الزواج وما يترتب عليه، أو ما يسمى (الأحوال الشخصية) أم ما يتعلق بتنظيم المبادلات والعلاقات المدنية بين الناس بعضهم وبعض، وهو ما يسمى (المعاملات)، ويدخل في القانون تحت اسم (القانون المدني) أم ما يتصل بالجرائم والعقوبات وهو ما يسمى في الفقه (الحدود والقصاص والتعزير) ويدخل في القوانين تحت عنوان (التشريع الجنائي) أم ما يختص بالصلة بين الدولة والشعب، أو بين الحاكم والمحكوم، وهو ما يسمى (السياسة الشرعية) ويسمى عند القانونيين (القانون الدستوري) أو (الإداري) وهناك أيضاً الجهاد والسير وهو ما يدخل تحت اسم (العلاقات الدولية).

إن الأمة الإسلامية ليست أمة سائبة، بل هي أمة ملتزمة بعقيدة وشرعية، وإن الفقه هو الذي يضبط النورة الحضارية للأمة بأحكام الشرع، حتى يكون إيقاعها الحضاري وفق ما يريده الإسلام، وما يأمُر به، حتى تكون حركتها للإسلام وبالإسلام.

أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) الذي استوعب كل ما يهم المسلم معرفته من قواعد العقائد التي يهتم بها علم الكلام، أو التوحيد، ومن الأعمال الظاهرة - عبادات ومعاملات - التي يهتم بها علم الفقه، ومن الأعمال القلبية الباطنة - مهلكات ومنجيات - التي يهتم بها علم التصوف، والتي هي لب الكتاب وجوهه.

ومن الأئمة من أدخل التوحيد والعقائد تحت اسم الفقه، وسماه (الفقه الأكبر) كما روى ذلك عن الإمام أبي حنيفة.

ومنهم من أدخل ما لا بد من تعلمه من العقائد والآداب في الكتب الموضوعة أساساً للفقه، كما نرى ذلك في كتاب (الرسالة) لابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) وهي مشهورة في الفقه المالكي، ومشروحة لأكثر من واحد. فقد بدأها بما يجب معرفته من العقائد، وختمها بمجموعة من الأحكام المتعلقة بالآداب والأخلاق، مما أمر به أو نُهي عنه.

وكما فعل ذلك الإمام الظاهري أبو محمد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) في كتابه المعروف (المحلى) فقد بدأه بأنهم ما يجب العلم به من العقائد والأصول.

ولكن الذي اشتهر في الاصطلاح، واستقر عليه الأمر، هو إفراغ علم الفقه بالأفعال الظاهرة للمكلفين، من عبادات أو معاملات، ليعرف به الحلال من الحرام والصحيح من الفاسد، والمشروع من غير المشروع. وعلى أساسه قامت (مجامع الفقه).

وعلى ضوء هذا التحديد نتحدث عن (تيسير الفقه) أو (الفقه المبسّر المعاصر) مستمدين العون والتوفيق من الله تعالى.

وأجاب الفقه بصراحة على لسان فقهاؤه ودعاته،
قامت الدنيا ولم تقعد!

شرعية التيسير:

هذا الفقه الرحب مطلوب تيسيره للناس في
عصرنا - وهو واجب على أهل العلم من الأفراد
والجامع والهيئات والجامعات -

وأود أن أقرر في بداية الأمر أن التيسير أمر
مطلوب شرعا في ذاته، وليس مجرد استجابة
لضغط الواقع، أو تناغما مع روح العصر، كما
قد يتصور بعض الناس.

**فالشريعة الإسلامية مبناها على اليسر،
لا على العسر، وتعليمها للناس مبني على
التيسير لا على التعسير، والدعوة إليها
قائمة على التبشير لا على التنفير.**

أما ابتناء الشريعة على اليسر، فهو واضح
غاية الوضوح، من آيات القرآن الكريم، فهو يقول
في ختام آية الطهارة: [ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج، ولكن يريد ليطهركم، وليتم نعمته عليكم
لعلكم تشكرون] (المائدة/ ٦).

ويقول في ختام آية الصوم: [يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر] (البقرة/ ١٨٥).

ويقول بعد الآيات المتعلقة بالمحرمات في
النكاح، وما أحل الله بعد ذلك: [يريد الله أن
يخفف عنكم. وخلق الإنسان ضعيفا]
(النساء/ ٢٨).

ويقول بعد أن شرع العفو في القصاص
بعوض أو بغير عوض: [ذلك تخفيف من ربكم
ورحمة] (البقرة/ ١٧٨).

وينفي الحرج عن الدين عاما بقوله تعالى:
[وما جعل عليكم في الدين من حرج]
(الحج/ ٧٨).

وحسبنا هذه الآية العامة المطلقة يخاطب الله

وليس الفقه - إذن - خاصا بالأحكام
الفردية والأسرية، بل هو يشمل الحياة
الاجتماعية والسياسية والدستورية والمالية
والدولية، وسائر مجالات الحياة.

وقد اعتاد المسلمون في عصور التراجع
والانحطاط والانحراف - إلى اليوم - أن يسألوا
الفقه في مسائل الحيض والنفاس والطهارة
والصلاة والرضاع والطلاق ونحوها، ولا يسألوه
في الأمور الكبيرة التي تتعلق بمصير الأمة
وكيانها ورسالتها، كما نرى ذلك في عصرنا.

**لا يسألونه عن تسلط الحكام العملاء بالخونة،
أو الحكام الجبابرة المستبدين على شعوبهم
المقهورة!**

**لا يسألونه عن نهب المال العام، والإثراء
الحرام، وتكوين الثروات الضخمة من دماء
الكادحين وعرقهم!**

**لا يسألونه عن تزوير الانتخابات الذي
أصبح ميزة لأوطاننا العربية والإسلامية، فنحن -
دون العالم - بلاد التسعاعات الخمس المعروفة
(١٩٩٩، ١٩٩٩)!**

**لا يسألونه عن الظلم الاجتماعي، ظلم
الأغنياء للفقراء، والأقوياء للضعفاء، وأرباب
العمل للعمال، وأصحاب النفوذ للمستضعفين!**

**لا يسألونه عن التهاون في أرض الإسلام،
والتنازل عنها لمن اغتصبها بالقوة، والاعتراف
بأنه أصبح مالكاها.**

**لا يسألونه عن السكوت على شعوب
إسلامية تذبح وتباعد وتباد على مرأى ومسمع من أمة
الإسلام، ولا تجد من يشد أزرها في محنتها،
ويعينها على عبوها.**

**ويوم سأل بعضهم الفقه الاسلامي في
قضية حساسة هي حكم المرتد في شريعة الله**

بها رسوله الكريم: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (الأنبياء/٧٠).

واقتراسا منها جاء قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما أنا رحمة مهداة» [١].

وقال لأصحابه حين هموا بالأعرابي الذي بال في المسجد: لا تزرموه - أي لا تقطعوا عليه بولته - وصبوا عليه ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين» [٢].

ولما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، زودهما بوصية جامعة مختصرة قال فيها: «يسرا ولا تعسرا، ويشرا ولا تنفرا، وتطوعا» [٣].

فهذا هو المنهج المحمدي في الدعوة والتعليم: التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، والتطاول لا الاختلاف.

وما قاله لمعاذ وأبي موسى قاله تعليماً للأمة كلها فيما رواه عنه أنس: «يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا» [٤].

المقصود بتيسير الفقه:

ويقصد بتيسير الفقه أمران:

أولهما: تيسير فهمه للمسلم المعاصر المشغول بمتاعب الحياة، المزحوم بكثرة المعارف التي تخرجها المطابع كل يوم، بل كل لحظة مما يعرف اليوم تحت عنوان: (انفجار المعرفة) أو (ثورة المعلومات) ونحوهما.

وثانيهما: تيسير أحكامه نفسها، بالبعد عن التقليل والتشديد، وترجيح التخفيف والتيسير. وسنخص كلا من الأمرين بحديث.

تيسير الفهم:

أما تيسير الفهم في مجال الفقه، فيتحقق بعدة أمور:

١ - أن يكتب بلغة بسيطة، وأسلوب

سهل، بعيد عن الإغراب في الالفاظ، والتكلف في العبارات.

٢ - تجنب وعمرة المصطلحات التي

فيها كثير من الفموض لدى

القارئ، غير المتفحص، (وترجمتها)

إلى عبارات سلسلة مفهومة للشخص العادي.

٣ - التوسط بين الإيجاز المفرط الذي

عرفت به (المسنون) في المذاهب

المختبوعة، والتي كان المقصود منها تسهيل

الحفظ، ثم احتاجت المتن إلى شروح، والشروح

إلى حواش، والحواشي أحيانا إلى تقاريرات.

وبين الاطناب المل الذي يتوسع في الشرح

والتفصيل في غير حاجة إلى ذلك.

٤ - مخاطبة العقل المعاصر باللسان

الذي يبين له، كما قال تعالى: {وما أرسلنا

من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} واللسان

في هذه الآية - في فهمي - أعمق وأوسع من

مجرد مخاطبة العرب بالعربية، والانجليز

بالانجليزية بل يشمل ذلك مخاطبة العوام بلسان

العوام، الخواص بلسان الخواص، فلكل لغته

وعقليته. وكذلك الانسان في القرن الخامس

عشر الهجري غير الانسان منذ قرنين أو ثلاثة

من الزمان.

٥ - ومن ذلك استخدام معارف العصر

في بيان الحكم الشرعي، أو في ترجيح

بعض الآراء الفقهية على بعض، أو في بيان

حكمة الشارع فيما شرع: إيجاباً أو استحباباً،

أو تحريماً أو كراهة، أو إباحة.

٦ - ومنه: ترجمة المقادير الشرعية

إلى مقادير العصر، كالصاع، والوسق،

والقلة والزراع، والبرهم، والدينار، والأوقية، ونحوها، في الطهارة وفي نصاب الزكاة، ونصاب السرقة وأقل المهر، والدية ونحوها.

٧- استخدام بعض المصطلحات

الهدية إذا كانت تعين على فهم الأحكام الشرعية، مثل استعمال كلمة (وعاء الزكاة) بدل (المقادير التي تجب في الزكاة) ويمكن الجمع بينهما.

٨- **حذف ما لا حاجة إليه** في عصرنا من الصور الافتراضية، أو المسائل التي لم تعد قائمة في زمننا، مثل الأحكام الكثيرة الوفيرة المتعلقة بالرق والرقيق، وهي من الكثرة والوفرة بحيث لا تكاد تقرأ باباً من أبواب الفقه في العبادات أو المعاملات الا طالعك في صور وأمثلة شتى.

فلا بد أن يرتبط الفقه بالواقع، ويسين حكمه، فلا يجوز أن يطيل ويفصل في أحكام شركات (المفاوضة) و(العنان) و(الوجه) ونحوها مما أطنبت فيه كتب الفقه، ويلوذ بالصمت المطبق، ازاء (شركات المساهمة) و(التضامن) و(التوصية بالاسم) ونحوها، مما يتعامل الناس معه اليوم في مختلف أوطان الاسلام. ومثل ذلك أن يتوسع ويطنب في زكاة الانعام من الابل والبقر والغنم وما فيها من بنت مخاض، وبنت لبون، ويسكت عن زكاة اموال الشركات المذكورة وزكاة المصانع والعمارات وغيرها من (المستغلات).

ومثل ذلك: أعمال البنوك، وشركات التأمين، وأسواق السلع (البورصات) وغيرها، مما يسأل المسلمون عن حكمه في كل مكان.

٩- **بيان الحكمة من التشريع، حتى يقتنع به العقل**، ويطمئن به القلب. فان الله تعالى لم يشرع شيئاً الا لحكمة، وهو كما

تنزه عن الباطل في خلقه [ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه] تنزه عن العبث في شرعه، حتى إن القرآن الكريم جعل للعبادات المجضة علا وحكما مفهوماً.. كما في قوله عن الصلاة [إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر] (العنكبوت/ ٤٥) وقال في تعليل فرضية الصيام [لعلكم تتقون] (البقرة/ ١٨٢) وفي الحج: [ليشبهوا منافع لهم ويذكروا اسم الله] (الحج/ ٢٨) كما قال في الزكاة [تطهرهم وتزكيتهم بها] (التوبة/ ١٠٣).

وينبغي الاستفادة مما يكتبه الاختصاصيون في هذا العصر، مما يفيدنا في بيان حكمة الشرع، واشتماله على أعلى المصالح للبشر، مثل ما يكتبه الأطباء في بيان مضار الخمر وأكل لحم الخنزير، والأمراض الخطيرة التي تنشأ من اقتراف الزنى، والشنؤد الجنسي، ونحو ذلك.

ومثله ما يكتبه الاقتصاديون عن الآثار المدمرة للربا في الحياة الانسانية.

وما يكتبه النفسيون عن أثر الصلاة والعبادة في تكوين الشخصية السوية القوية المتمتعة بالسكينة والطمأنينة، والتي لا تنهار لأول صدمة.

على انه يجب الحذر والتحذير من التعليقات (القاصرة) التي تفتح باباً للمتعللين والمنكرين، مثل تعليل تحريم الربا باستغلال حاجة الفقير، وتعليل تحريم الزنى بمنع اختلاط الانساب، فهذه وما شابهها تعليقات قاصرة لا تغطي كل الصور الواقعية.

١٠- **ربط الأحكام الجزئية بالمقاصد الكلية العامة للشريعة**، ولرسالة الاسلام، فإن الاسلام كل لا يتجزأ، فالذي يتحدث عن نظام (العاقلة) في الديات، الذي يحمل العاقلة أي العصب، دية قتل الخطأ وشبه

ومن أجزاء الموسوعات التي صدرت في الكويت والقاهرة. ومن البحوث والفتاوى التي تصدر عن إدارات الافتاء المختصة. وكذلك ما يصدر عن هيئات الرقابة الشرعية للمصارف الاسلامية.

١٣ - يحسن أن يكون هناك أكثر من

كتاب في الفقه، مثل كتاب لمستوى معين من الثقافة والادراك، يتدرج مع المسلم كيفاً وكماً، ويبدأ بالعبادات ثم بشئون الأسرة ثم بالمعاملات المهمة، ثم بعد ذلك يشمل أبواب الفقه كلها. ويمكن أن يكون على مستويين أو ثلاثة.

وقد كان علمائنا السابقون يراعون هذا في تأليفهم. ف نجد الامام أبى حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) يؤلف في فقه الشافعية: (الخلاصة) ثم (الوجيز) ثم (الوسيط) ثم (البسيط) (أي المبسوط الموسع) وفيه قال بعض الشافعية:

**نصير المنهب حبر
أحسن الله خلاصه
ببسيط وسسيط
ورجيز وخلاصة**

ونجد ذلك في مؤلفات الامام ابن قدامة الحنبلي، ابتداء بـ (العمدة) وانتهاء بـ (المغني) وبينهما (المقنع) و(الكافي).

١٤ - يلتزم بالترقيم وعلاماته

المتفق عليهما. وتضبط الآيات والاحاديث بالشكل، مع الالتزام بترقيم الآيات وبيان سورها، وتخريج الاحاديث تخريجا غير مفصل وذلك ببيان من أخرج الحديث وبيان درجته إن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما على ألا يستدل بحديث يقل عن درجة الحسن.

١٥ - ينبغي الاستمانة بكل وسائل

الإيضاح الممكنة، التي أتاحتها لنا العلم المعاصر، لتساعد على زيادة الفهم للأحكام

العمد، ينبغي أن يذكر بنظام (التفقات) بين الاقارب، ونظام (المواريث) حتى تتضح الصورة الكلية ويتقابل جانبها القنم والغرم معاً، وبذلك ترتبط الاحكام بعضها ببعض.

١٦ - التخفيف من كثرة الزوائد

والتشحيبات والتعقيدات التي اضافتها العصور المختلفة، وخصوصا في مجال العبادات - حتى غدت كماً هائلاً من الجزئيات التفصيلية التي نقلت تعاليم الدين من اليسر الى العسر، حتى اني لا أنسى كيف كنت - وأنا صغير السن - اقضي في استماع دروس رمضان بين المغرب والعشاء الشهر كله، ولا تكمل ما يتعلق بالوضوء والطهارة، حتى قلت مرة مازحاً: اننا طوال ثلاثين ليلة لم نخرج من دروة المياه!

وقد كان الرجل يأتي من البادية إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) - فيتعلم الوضوء والصلاة بمشاهدة وضوء النبي الكريم وصلاته مرات معبودة. وقد قال: صلوا كما رأيتموني أصلي، وقد يوجهه ببعض الارشادات والتوجيهات، ثم يعود الى قومه وقد تفقه في الدين، ليعلم قومه ما تعلمه.

اما أن يذكر بعض الفقهاء، بضعة عشر شرطاً لصحة تكبيرة الاحرام، يجب أن يحفظها من يريد صحة صلاته، فهذا لم يجيء به كتاب ولا سنة، ولا قام عليه تعليم السلف الصالح.

١٢ - الاستفادة من كل ما كتب في

عصرنا من العلماء الثقات، في شتى جوانب الفقه الاسلامي، وخصوصا في الفقه المقارن، ومن قرارات ودراسات المجامع الفقهية والعلمية في انحاء عالمنا الاسلامي. ومن الرسائل الجامعية الأكاديمية للماجستير والدكتوراه في الموضوعات الفقهية.

الى جوار العزائم، فلكل أهله. ولا ينبغي أن تعامل الناس كلهم بمستوى واحد، ولا يطالب الضعفاء بما يطالب به الأقوياء، ولا حديث العهد بالاسلام أو بالتوبة، مثل العريق في الاسلام والالتزام به. فقد قيل الرسول (صلى الله عليه وسلم) من بعض الاعراب الاكتفاء بالفرائض الاساسية وحدها، مع حلقه أنه لا يزيد عليها ولا ينقص، ومع هذا قال: «أفلح إن صدق» أو «دخل الجنة إن صدق» [٥]، وقال في بعض الأحوال: «من سره أن ينظر الى رجل من اهل الجنة فليُنظر الى هذا» [٦].

وقال (صلى الله عليه وسلم): «ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته» [٧]، «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» [٨].

ومن ذلك: مراعاة الظروف والاعذار المخففة، والضرورات التي تبيح المحظورات، مع تقييدها بأن ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

وينبغي التذكير هنا بكلمة نقلها الامام النووي في مقدمات (المجموع) عن الإمام الكبير سفيان بن سعيد الثوري، الذي انعقدت له الامامة في الفقه وفي الحديث، وفي الورع، فقد قال رضي الله عنه، وما أروع ما قال:

إنما الفقه الرخصة من ثقة، أما التشديد فيه فيحسبه كل أحد [٩].

ولابد أن نلاحظ قوله: الرخصة من ثقة، وهو من يوثق بفقهه ودينه معاً. أما من فقد الأمرين أو أحدهما فهو يترخص فيما لا يجوز الترخص فيه، فيصادم القواطع والحكمات من نصوص الشرع وقواعده.

وإذا كان التيسير مطلوباً دائماً، كما أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهو الرِّخْصُ ما يطلب في عصرنا هذا. نظراً لركة الدين في

الشرعية من كل ما هو مباح وملأه ومتيسر من رسوم توضيحية، وصور فوتوغرافية، وخطوط بيانية، ومن جداول وخرائط وغيرها، تأسيساً بالنبي (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يعلم أصحابه بالخط على الرمال، وضرب الأمثلة للتقريب والتوضيح.

١٦ - يجب وضع فهارس مفصلة في نهاية الكتاب، بعضها حسب الموضوعات وبعضها حسب الالفاظ المعجمة، وبعضها للآيات. وبعضها للأحاديث، وغير ذلك مما يعتبر مفاتيح ضرورية للباحث في الكتاب.

التيسير في الأحكام:

ذلك هو التيسير في تقديم الفقه، وتقريبه الى عقل المسلم المعاصر غير المتخصص، أي الى جمهور المسلمين، وهذا هو الشق الأول من التيسير.

أما الشق الثاني من التيسير فيتمثل بالشق الثاني من أحكام الفقه ذاتها، بحيث يسهل على المسلم المعاصر تنفيذها والالتزام بها في العبادات والمعاملات وسائر شؤون الحياة، فردية واجتماعية.

وايس معنى التيسير الاتيان بشرع جديد من عند انفسنا، نسقط به عن الناس ما فرضه الله عليهم، أو نحل لهم ما حرم الله عليهم. أو نتخذ لهم في الدين ما لم يأت به الله تعالى. فهذا ليس من التيسير الذي نريده في شيء. بل هو تزيف وتحريف، لا يقبله عالم مسلم يحترم دينه، ويحترم عقله.

إنما نريد بالتيسير هنا جملة أمور:

مراعاة جانب الرخص:

مراعاة جانب اليسر والرخص في الشريعة

إثما» [١١].

وقوله فيمن أطال بالناس الصلاة: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأياكم ما صلى بالناس؛ فليجز: فإن فيه الكبر والضعيف وذا الحاجة» [١٢]، فأشار الى ضرورة رعاية ظروف الناس، والتخفيف عنهم، وخصوصا الضعفاء منهم.

والدارس المتعمق يلاحظ أن فقه الصحابة والسلف كان يتجه غالبا الى الأيسر. وفقه من بعدهم كان يتجه غالبا الى الأحوط.

فالصحاب - فيما أثر عنهم من فقه - نجدهم أكثر الناس تيسيرا على الخلق، والتابعون على نهجهم وإن لم يبلغوا درجتهم، والاتباع على نهج التابعين، وإن لم يكونوا مثلهم، لأنهم بدأوا يتجهون الى التحوط، وكل جيل أخذ يضيف بعض (الأحوطيات) الى ما قبله.

وإذا كثرت (الأحوطيات) في الفقه المتصل بحياة الناس، فإن مجموعها التراكمي سينتهي الى شيء من الاضرار والأغلال التي جاء النبي (صلى الله عليه وسلم) بوضعها عن الأمة، فقد جاء في وصفه في كتب أهل الكتاب (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) (الأعراف/ ١٥٧). ومن الأدعية التي علمها الله للمسلمين وختمت بها سورة البقرة (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) (البقرة/ ٢٨٦).

التضييق في الإيجاب والتحریم:

ومن التيسير المطلوب: التضييق والتحرير البالغ في تكليف الناس بالأحكام وخصوصا في مجال الفرض والتحریم، فلا يجوز التوسع في ذلك بأدنى دليل، بل لابد من نص صحيح الثبوت، صريح الدلالة، على فرضية الفرض، وخمرة الحرام، أو قياس واضح العلة على نص، فإننا

أنفس الكثيرين، وغلبة النزعات المادية، وتأثر المسلمين بغيرهم من الأمم، نتيجة لشدة الاتصال بين العالم وبعضه وبعض، حتى قال من قال: إن العالم قريتنا الكبرى؛ ولم يعد في استطاعة أحد أن يعيش في عزلة من غيره، وأجهزة الاعلام تقتحم عليه داره، وترى ما يجري في أقصى أطراف العالم، وخصوصا اليوم بعد ما عرف باسم (البث المباشر).

وهذا ما عبر عنه علماءنا في العصور المتأخرة بـ (تغير الزمان) أو (فساد الزمان) وجعلوه سببا من أسباب تغير الفتوى، كما ذكر العلامة ابن عابدين وغيره.

فقد قال ابن عابدين في رسالته (نشر العرف فيما بني من الأحكام على العرف): «إن كثيرا من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولا، للزم منه المشقة والضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير، ودفع الضرر والفساد» [١٣].

والمنهج الذي أراه - وهو منهجي الذي التزمت به في الفتوى والتأليف والتدريس - هو التيسير في الفروع، والتشديد في الأصول.

فإذا كان هناك وجهتا نظر، أو قولان متكافئان أو متقاربان في قضية، أحدهما أحوط، والآخر أيسر، فإنني أختار للفتوى لجماهير الناس: الأيسر لا الأحوط.

والحجة في هذا: ما قالته عائشة رضي الله عنها: «ما خيّر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن

(يسر الاسلام).

وفي السنة نجد قوله عليه الصلاة والسلام:
«إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم
يُحَرِّمَ، فحَرِّمَ من أجل مسأله» [١٣].

وقوله (صلى الله عليه وسلم): «دعوني ما
تركتمكم. إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم
واختلافهم على أنبيائهم» [١٤] وفي رواية «فإنما
أهلك الذين قبلكم كثرة مسائلهم» الحديث [١٥].

وقوله عليه الصلاة والسلام: ما أحل الله في
كتابه فهو حلال. وما حرمه فهو حرام. وما
سكت عنه فهو عفو. فاقبلوا من الله عافيته. فإن
الله لم يكن لينسى شيئا. ثم تلا «وما كان ربك
نسيا» [١٦].

والحديث الآخر: «إن الله قد حدَّ حدودا فلا
تعتوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها، وحَرَّمَ
أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء، رحمة
بكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها» [١٧].

التحرر من العصبية المذهبية:

ومن التيسير المنشود: التحرر من الالتزام
بمذهب واحد معين، يأخذ به جميع الابواب
والمسائل، عبادات ومعاملات، وإن كان فيه من
التعسير والتضييق ما فيه، وكذلك ان ظهر
ضعف دليله ومستنده الشرعي، في مقابل
المذاهب الأخرى.

فالمذهب الواحد قد يضيق في بعض المسائل
والقضايا، ولكن الشريعة بنصوصها ومقاصدها
ومجموع مذاهبها وتراث فقهاها، فيها من السعة
والمرونة، ما يعطي حلا لكل مشكلة، ودواء لكل
داء من طب الشريعة نفسها.

لقد ذم علماء المسلمين المحققون التقليد
وأנקروه، ولم يعتبروا الملقدا عالما، وإنما هو تابع

نقطع أن الشريعة العادلة لا تفرق بين
متمثلين. كما لا تسوي بين مختلفين.

وقد كان السلف يتحرجون من التحريم -
ومثله الفرضية - إلا أن يكون معهم دليل لا شبهة
فيه، كما هو مذهب الحنفية، والا زلوا من
الفرض الى الواجب، ومن الحرام الى المكروه.
ولهذا كثر في كلامهم مثل قولهم: يعجبني كذا
وكذا، أو استحب كذا وكذا، ولا يصرح بالوجوب
الا ما علم جزما بوجوبه.

وقولهم في جانب المنهيات: اكره كذا، ولا
أحب كذا، ولا يعجبني كذا، ولا يصرحون
بالتحريم، الا ما علم جزما بتحريمه. ويدل لهذا
الاتجاه موقف الصحابة من شرب الخمر، فقد
ظل بعضهم يشربها ويقول: اللهم بين لنا في
الخمر بيانا شافيا، برغم نزول آية {قل: فيها
إثم كبير ومنافع للناس} (البقرة) وآية {لا تقربوا
الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون}
(النساء/ ٤٣) حتى نزلت الآية الثالثة، وفيها
(البيان الشافي) الذي ارتقبوه {إنما الخمر
والميسر والانصاف والأزلام رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} (المائدة/
٩٠).

ويبدو من التأمل في القرآن والسنة: أن
الاسلام كان حريصا على تقليل التكاليف
وتوسيع (منطقة العفو) رحمة بالمكلفين غير
نسيان.

وفي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: {يا أيها
الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم
تسؤلكم، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد
لكم عفا الله عنها، والله غفور رحيم} (المائدة/
١٠١).

وقد توسع في شرحها والتعليق عليها العلامة
رشيد رضا رحمه الله، وجعلها أساس كتابه

وهذه المذاهب انما نشأت بعد أن اكتمل الدين، وانقطع الوحي، في القرن الثاني أو الثالث للهجرة، فلا يتصور وأن يأتي الدين بإيجاب أتباعها وهي لم تنشأ بعد.

ب - إن الأئمة المتبوعين انفسهم

نهوا عن تقليدهم، كما روى ذلك

الحافظ ابن عبد البر ونقله عنه ابن القيم وغيره.

فليس في وجوب اتباعهم كتاب ولا سنة ولا اجماع، وقول المقلدين بوجوب اتباع المذاهب غير معتبر، لأن المقلد لا يقلد، حتى إنهم لو أجمعوا، لم يكن إجماعهم معتبرا، لأن الإجماع المعتبر، هو اتفاق المجتهدين في عصر من العصور، لا اتفاق المقلدين.

ج - إن العلماء المقلدين انفسهم

قد رجحوا: أن العامي لا مذهب له،

وأن مذهبه مذهب من يفتيه من

العلماء. وجماهير المعلمين في عصرنا هي

التي تستفتينا وتسالنا أن نقدم لها فقها عسريا ميسرا، فليس لها هي مذهب معين، انما مذهبا ما يقدمه أهل العلم لها مقرونا بأدلته.

د - إننا مطالبون أن نقدم أحكام

الاسلام للناس لنرغبهم في هذا

الدين، ونحبب اليهم أصوله وتعاليمه. فهل من

المقبول أن نقدم لهؤلاء نماذج أربعة - أو سبعة أو ثمانية - تمثل المذاهب المتبوعة، ونقول لهم: إن كل نموذج من هؤلاء يمثل التعاليم الاسلامية في رأي مدرسة أو مذهب من مذاهب فقهاء؟

هـ - ومثل ذلك يقال لمن دخلوا في

الاسلام بالفعل، وهم يكترون والحمد لله،

ومثلهم الاقليات الاسلامية، والجاليات الاسلامية في شتى اقطار الدنيا، ما الذي ينبغي أن يقدم لهم، وعلى أي مذهب؟ وهل من الملائم أن نقول

لغيره، إذ التقليد هو قبول قول الغير بلا حجة، والعلم هو معرفة الحق بدليله. ويقول الامام ابن الجوزي: إن المقلد على غير ثقة فيما قلده، وفي التقليد إبطال لمنفعة العقل، لانه خلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن اعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة» [١٨].

وقال غيره: لا يقلد إلا عسبي أو غبي! وأبطل العلامة ابن القيم التقليد ورد على دعاء التقليد من واحد وثمانين وجها: في (اعلام الموقعين).

وتحررنا من صرامة التقليد والعصبية لمذهب معين، لا يعني أن نذم المذاهب أو ننال من شأن الأئمة الكبار - رضي الله عنهم - فهذا لا يقوله مسلم شم رائحة العلم، وقد ألف شيخ الاسلام ابن تيمية كتابا قيما شهيرا في ذلك سماه (رفع الملام عن الأئمة الاعلام) بين فيه اعداء الأئمة في ترك ما تركوه من الحديث.

كما أن هذا التحرر لا يعني الاستغناء عن فقه المذاهب وكتبتها وما حفلت به من تعليقات وتخريجات وتفصيلات، ومناقشات ثرية، لا يشك في قيمتها دارس، ينشد الحق، ويبحث عن الصواب بأدلته.

إنما نعني بالتحرر: ألا يقيد الفقيه نفسه بغير ما قيده الله به ورسوله، فيأخذ من أي مذهب كان ما يراه أقوى حجة، وأرجح ميزانا في ضوء المعايير الشرعية، وفي هذا توسعة وتيسير كبير. وإنما قلنا بذلك لعدة اسباب مفصلة في مواضعها، أستطيع أن أوجز أهمها فيما يلي:

أ - ان التقليد بالمذاهب، التزام بما

لا يلزم ولا يجب دينا وشرعا، إذ لا

واجب - دينا وشرعا - الا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ورسوله اتباع مذهب معين من مذاهب الأئمة، انما أوجب اتباع الكتاب والسنة،

عليه من الحرج عند جماهير من المسلمين
وخصوصا في الريف والقرى.

فلا غرو أن يتجه الفقيه الى مذهب مالك ومن وافقه في القول بأن كل ما يؤكل لحمه قبوله وروثه طاهر، وأن الماء لا ينجس إلا بالتغيير، وهذا ما رجحه وأفتى به شيخ الاسلام ابن تيمية، وعضده بالادلة.

وقد قال الامام الغزالي في كتاب (الطهارة) من (الاحياء) عن الشافعي: كنت أود أن يكون مذهبه في المياه كمذهب مالك، وساق سبعة أوجه لتأييد مالك، وهو شافعي المذهب، رضي الله عن الجميع.

ومثل ذلك ما قاله الغزالي عن البيع بالمعاطاة. أي بغير لفظ الإيجاب والقبول، وهو ما يجري عليه عمل المسلمين في كل مكان، وفي سائر العصور، وقول الشافعي فيه شديد، والبلوى به عامة.

فعلى الفقيه أن يعمل على تصحيح معاملات المسلمين ومن داخل الفقه ومصادر الشريعة وقواعدها ما وجد الى ذلك سبيلا.

وهذا ما يلმسه الدارس لدى كثير من علماء الفقه في المذاهب المختلفة، ولا سيما في العصر الأخيرة، فهم يحاولون أن يلتمسوا مخرجا لتصحيح التعامل، اما بتكييفه تكييفا يجعل له مستندا من الشرع، أو بحيلة فقهية، أو باللجوء الى قول مهجور أو ضعيف في المذهب، أو باجادة تقليد مذهب آخر.

وكثيرا ما يكون الضيق والحرج، ناشئا من التقيد بمذهب معين، ولو تحرروا منه الى باحة المذاهب المتبوعة، وأقوال الصحابة والسلف، وإلى النصوص والقواعد العامة، لوجدوا في باحتها الفسيحة ما يخرجهم من الضيق الى السعة، ومن العسر الى اليسر.

ومن جوانب التيسير - فيما تعم به البلوى - الإشارة الى الرأي المخالف الذي لم يأخذ به الكاتب أو الكتاب، ولو في الحاشية. وإن كان في نظره ضعيفا، فقد يكون قويا في نظر غيره، ويتعين هذا اذا اختار هو القول الأحوط، أو الأشد، فيلزم

للمسلم الداخل حديثا في الاسلام: إن أملك عددا من النماذج، فاختر واحدا منها؟

لقد طالبت الجاليات الاسلامية منذ أكثر من ثلث قرن من مشيخة الأزهر، ووزارة الأوقاف في مصر، مجموعة من الكتب أو الرسائل، في نحو ثلاثين موضوعا تلبي حاجات ثقافية للمسلم والمسلمة في تلك المواقع، فهل تؤلف الرسائل أو الكتب على كل مذهب على حدة؟ أم يؤلف الكتاب على أرجح ما يراه المؤلف أو المؤلفون، وفق المعايير الاسلامية المعتبرة؟

لقد كنت ممن ساهم في هذا المجال حين طلب إلي أن أكتب عما يحل للمسلم وما يحرم عليه، فكان كتاب (الحلال والحرام في الاسلام) الذي اعتمدته مشيخة الأزهر، والادارة العامة للثقافة الاسلامية، ليترجم الى الانجليزية ثم الى غيرها بعد، وإن أخفق المشروع في النهاية للأسف.

و- إن المشتفين المعاصرين اليوم يطالبون علماء الشريعة بتقديم فتحهما للقضاة والمتقاضين في

صورة مواد متينة منضبطة، كما صنعت (مجلة الأحكام العدلية) من قبل، فهل نقدم هذا (التقنين) العصري على صورة (نماذج أربعة) أو أكثر؟ أو نقدم (نموجا مختارا) يمثل الأرجح والأقوى في ضوء (الكتاب والميزان) اللذين أنزلهما الله ليقوم الناس بالقسط، بحيث تتحقق مقاصد الشرع، ومصالح الخلق، كما يجب الله تعالى؟

التيسير فيما تعم به البلوى:

وأهم ما ينبغي التيسير فيه ما تعم به البلوى، من أمور العبادات أو المعاملات. فإذا كان هناك بعض المذاهب تشدد في شئون الطهارة والتجاسة مثلا، كمذهب الامام الشافعي - رضي الله عنه - فليس هناك موجب لالزام الناس به، لما قد يترتب

الإشارة إلى الرأي الأيسر.

ومن فوائد هذا: التعريف بأن المسألة فيها أكثر من رأي أو وجهة نظر، فالمختلف فيه غير المجمع عليه، وذكر هذا في هذا المقام خاصة من الأمانة العلمية.

ومن ناحية ثانية، فالأمور الاجتهادية القابلة لتعدد الانظار، واختلاف الاجتهادات، لا يجوز أن يعتبر من أخذ بوجهة منها مرتكباً لإثم ينكر على صاحبه، ولهذا قالوا: لا إنكار في المسائل الاجتهادية.

وأمر ثالث، وهو الإبقاء على الضمير الديني، عند من يعملون على خلاف الرأي الأحوط أو الأشد أو المشهور، وهو ما لحظه الأستاذ الأكبر، شيخ الأزهر الأسبق، الشيخ محمد مصطفى المراغي، حين تبنى أقوال الإمام ابن تيمية وبعض السلف في قضايا الطلاق وغيرها من الأحوال الشخصية، فإن الناس يظفون بالطلاق كل يوم، وخصوصاً الباعة والعامة، ويحتشون، ويظنون أن طلاقهم واقع، وأنهم يعيشون مع نساءهم في حرام، وأن ذريتهم منهن أولاد حرام، ومثل هذا الاعتقاد يفسد ضمائرهم ويجرثهم على الحرام الصرف المقطوع به.

ومثل هذا يقال فيمن يفتي بتحريم حلق اللحية، تحريماً قاطعاً، بل يحرم أخذ أي شيء منها، وجماهير المسلمين تفعل ذلك.

وكذلك من يفتي بتحريم إطالة الثوب إلى أسفل من الكعبين، واعتبار فاعله في النار، وجماهير الأمة الإسلامية واقعة في ذلك، كما هو مشاهد.

ومثله من يفتي بتحريم بيع الذهب المصنوع (الحلي) بأجل معتبراً أن الذهب كله - حتى المصنوع منه - نقود، وأن الصناعة لم تضيف إليه شيئاً، ولم تخرجه عن الثمنية إلى السلعية، وعلى هذا يحرم بيعه وشراؤه إلى أجل، كما يفعل كثيرون اليوم، حيث يشترون هدايا العرس أو ما يسمونه (الشبكة) ويدفعون الثمن ويؤجلون بعضه.

فإذا افترضنا أن الفقيه اجترأ الرأي الأثقل، فالواجب في رأيي أن يشير إلى الرأي الآخر - ولا يحمل الناس على رأي واحد - فتكون فتنة. كما قال الإمام مالك - رضي الله عنه - معللاً رفضه حمل الناس على (الموطأ).

«للحديث بقية»

الهوامش:

(١) روى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن أبي هريرة كما روى ابن سعد عن أبي صالح مراسلاً. صحيح الجامع الصغير (٢٣٤٥).

(٢) روى عن أبي هريرة البخاري والترمذي والنسائي في كتاب الطهارة.

(٣) متفق عليه من أبي موسى ومعاذ كما في (الذيل والمرجان) حديث (١١٢٠).

(٤) متفق عليه عن أنس - المصدر السابق (١١٢١).

(٥) متفق عليه عن طلحة: روى البخاري (١٢٩٦) و (٥٨٩٢) ومسلم (١٢) - انظر: (رسالتنا عوامل السمة والمرونة في الشريعة الإسلامية).

(٦) متفق عليه عن أبي هريرة: البخاري (١٢٩٧) ومسلم (١٤).

(٧) روى أحمد عن ابن عمر، وصححه الشيخ شاكر (٥٨٦٦) و (٥٨٧٢) والبخاري والطبراني، قال الهيثمي (١٢/٣): روى أحمد ورجاله رجال الصحيح، والبخاري والطبراني في الأوسط، وأسنداه حسن. وابن حبان في صحيحه (٢٧٤٢).

(٨) روى ابن حبان عن ابن عباس (٣٥٤) وصححه محققه، والبخاري والطبراني وقال الهيثمي (١٢/٣) رجالهما ثقات: وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب انظر: كتابنا (المنتقى ٥٥٤).

(٩) انظر المجموع للنووي ج ١.

(١٠) انظر: رسائل ابن عابدين ج ٢، ص ١٢٥.

(١١) متفق عليه عن عائشة، الذيل والمرجان (١٥٠٢).

(١٢) متفق عليه عن أبي مسعود الانصاري، المصدر نفسه (٢٦٧).

(١٣) متفق عليه عن سعد بن أبي وقاص، كما في الذيل والمرجان (١٥٢١).

(١٤) متفق عليه عن أبي هريرة - المصدر نفسه (٨٤٦).

(١٥) هذه الرواية لمسلم (١٢٣٧).

(١٦) روى الحاكم عن أبي الدرداء، وصححه (٢٧٥/٢) ووافقه الذهبي وقال الهيثمي (١٧١:١): روى البخاري والطبراني في الكبير وأسنداه حسن ورجاله موثقون.

(١٧) روى الدارقطني وحسنه النووي في الأربعين. ونأذعه ابن رجب في شرح الحديث في جامع العلوم والحكم.

(١٨) من كتاب (تلييس ابليس) ص ٨١.



بقلم
الكاتب الرائد :
أنور الجندي
- مصر -

تكمّل الفكر الإسلامي

تكاد تجمع كل الدراسات الجادة المنصبة على
- أن رسالة الاسلام مدعوة لانقاذ العالم كرة أخرى وإخراجه من براثن
الوثنية والفاشية والانهيار الخلقى حيث يراد وضع قواعد دين جديد غير
دين الاسلام الذى أنزله الله تبارك وتعالى ومحاولة ترويج الفهم للاسلام
على أنه دين عبادة وليس منهج حياة.

لشعب، عبودية الشهوات واللذات
والمطامع ثم رأت شعوب المنطقة إعادة
تشكيل نفسها في ظل الاسلام بعد أن
رأت سماحة الاسلام وحماسيته
لوجودها وعباداتها حتى قبلت راضية
ال دخول فيه وتكونت عالمية الاسلام من
هذه الدعوة المفتوحة التى لم تحتكر
العلم على العرب وإنما اشاعت ذلك
في كل العناصر التى تستظل بظل
الاسلام فالبخاري من بخارى
والخوارزمي من خوارزم والقابسي من

وكان الاسلام منذ اليوم الأول قد احترم
خصائص الشعوب التى دخلها واكتفى بأن
يرفع عنها ما كانت تعانيه من اضطهاد
قومي أو عنصري سواء من الفرس أو الروم
وترك لها الحق في تأدية شعائر دينها وبهذا
شكل الاسلام أمته على تعدد اللسان
والاصول القومية، وأفسح مكانا في داره لمن
خالفه العقيدة من أهل الكتاب.

لقد حرر الاسلام البلاد التى دخلت
دائرة حكمه من العبودية - عبودية
الإنسان للإنسان، عبودية شعب

قابس بتونس وأبو الريحان البيروني
من يبيرون في بلاد السند وابن خلدون
تونس قحطاني وابن النفيس القرشي
من دمشق فكلمهم كما يقول الدكتور
عبد المجيد الهاشمي اسرة اسلامية
واحدة.

كانت دعوة الاسلام الكبرى هي التوحيد
 الخالص لله تبارك وتعالى الذي منه تبدأ
 الأمور كلها وإليه تنتهي والذي جعل التمسك
 بالقرآن الكريم كأساس موحد بين المسلمين
 مع إلغاء العصبية المذهبية .

ويقرر الاسلام ان باب الاجتهاد مفتوح
 وبه دعوة الى التبشير بالمخترعات الحديثة
 ويدعو الى وسطية بين طرفي الأمور، ويقدم
 الاسلام تكامل مفهوم المعرفة (الحس -
 العقل - الالهام - الوحي الالهي) كما يقرر
 أن لكل أمر وجهين: مادي ومعنوي وأن
 تكاملهما هو المنطلق الصحيح، وأن العقيدة
 وليست اللغة هي علامة بناء الجماعة فإذا
 زالت العقيدة زالت الجماعة وانحلت
 وانقرض وجودها، والاسلام هو الذي شكل
 عقلية الأمة.

كما دعا الاسلام الى التحرر أساساً من
 العنصرية والاستعلاء بالعرق أو الدم، كما
 كانت الحرية والعدل في الاسلام تمتاز عن
 الديمقراطية والاشتراكية وتجيء هنا خطيئة
 مقولة (ثم جاءت الاديان) لأن الاديان بدأت
 مع نوح عليه السلام.

وقد جعل الاسلام (الاخلاق) ميزانا لكل
 القيم، فهي جزء من العقيدة ولها ثباتها
 واستقرارها .

كما جعل الوحي والعقل متكاملين

فالوحي نور العقل والعقل لا ينطلق إلا في
 ضوء الوحي، وإن العقل الانساني لا يكون
 في كل حالاته بمعزل عن الهوى أو العاطفة
 تماماً وبذلك ليس شمة ما يطمئن على صدق
 أحكامه . وتعد قيم الدين أكثر فاعلية في
 النفس وفي تقدم المجتمع من تلك القيم التي
 تستند على العقل وحده .

وإن أغلب مذاهب الاخلاق الوضعية
قديمًا وحديثًا انحرفت عن الجادة
القيومية، أن قيم الاخلاق في الاسلام
تخاطب الفطرة السليمة والوجدان
المباشر وإن أخلاق الدين قادرة تماماً
على هداية السلوك وتقديم الشعوب
والمجتمعات بما تمنحه من طاقات
روحية هائلة.

وإن تراث المسلمين يختلف عن تراث
 الغرب وذلك لارتباط تراث المسلمين بالقرآن
 والسنة الشريفة فقد جاء ايضاحا لهما
 وتفسيراً وكشفاً عن جوهرهما ومن خلال
 هذا التراث اقام المسلمون اعظم مناهج
 الفكر والعلم في حياتهم الاسلامية حيث
 اقام منهج المعرفة الجامع من الوحي والعلم،
 ومنهج تكامل الثقافة في الربط بين الامة في
 وحدة شاملة كان قوامها (الوحي) والرسالة
 وكان منهج العلم التجريبي اكبر مناهجه
 التي اعطت البشرية الحضارة الحديثة التي
 قامت على التجريب والبرهان فلما توقفت
 حضارة الاسلام انقطع الخيط فاذا عاد
 المسلمون اليوم الى استئناف حضارتهم
 فلا بد ان يصلوا حاضريهم بماضيهم ومن
 هنا كانت اهمية بقاء التراث واستمراره .

وقد أعلا الاسلام شأن الفكرة والعقيدة

على العناصر والذماء والاجناس وإن جامعة الاسلام هي جامعة وحدة الفكر القائمة على الايمان بالله تبارك وتعالى وقد ادخل الاسلام فكرة (الامة) المرتبطة بالعقيدة ووضع النبي (صلى الله عليه وسلم) أسسها ونظمها على قاعدة: (الناس كلهم لأدم وأدم من تراب وانه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

وقد تبين على مدى أربعة عشر قرناً وعلى عشرات الاقلام الغربية وغيرها أن الاسلام هو المنقذ الوحيد للبشرية من ازمات الحاضر، وأن القرآن الكريم هو الوثيقة الوحيدة القادرة على مواجهة كل قضايا البشرية لانه الكتاب السماوي الذي وثق الانبياء والرسل والكتب السماوية وقد اعترف بهذا علماء الغرب في ظل ما عرف بأزمات التاريخ.

إن الاسلام هو القادر على حل أزمة الغرب النفسية والاجتماعية وقد تكشف بما ليس له مزيد ان حضارة الاسلام حضارة أخلاقية تجمع بين الفكر والعمل وهي كما عبر عن ذلك بعض الباحثين:

(١) لا تقدس الفكر وترفعه فوق العمل كما كان الشأن في الحضارات اليونانية القديمة.

(٢) تجمع بين المادة والروح وترى أن المجتمع المتكامل السليم، هو المجتمع الذي لا يهمل الحوافز الروحية الى جانب الحوافز المادية في عملية التطور ولهذا كانت الامة الاسلامية الأخذة بهذه الحضارة أمة وسطاً (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس

نصيبك من الدنيا) وقيم الاسلام الدافعة إلى التقدم الحضاري ليست معاني مجردة مستقلة بذاتها عن العمل (كمثل افلاطون) بل هي قيم ذات فعالية ايجابية في واقع المجتمع.

ومعنى الحضارة هو مجموع الفكر والعمل وليست الحضارة هي التقدم المادي وحده بل هي جماع القيم الروحية والنفسية وقيم الفنون والعلوم ولا بد أن ترتبط أساساً بالقيم الاخلاقية.

إذ أن الحضارة المادية وحدها بدون قيم أخلاقية لا تلبث ان تسقط.

لقد كان الاسلام علامة على انتهاء عصر، وبده عصر قوامه تكامل القيم لا الفصل بين القيم، فقد قدم القرآن الكريم تصوراً كاملاً للميتافيزيقا (عالم الغيب) كما قدم منهجاً كاملاً للحياة يختلف عن منهج الفلاسفة اليونان الذين اقروا عبودية الانسان للانسان.

هذا الدين الخاتم الذي يبقى إلى أن يرث الله الارض ومن عليها فلن تستطيع قوة على وجه الأرض أن تغلبه أو تقضى عليه، بل يؤكد القرآن في ثلاث آيات متفرقات هذه الحقيقة: [يُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ].

ولن يكون ما يمر به الآن من تراجع لاهله او تخلف لهم الا نوع من الامتحان لمواجهة المؤامرات الممتدة والازمات المتواليه وقد عرف المسلمون منذ وقت بعيد انهم محاصرون وأن عليهم أن يثبتوا فان لم يستطيعوا أن يتقدموا فلا أقل من الثبات في مواقعهم وعلى المسلمين ان يستجيبوا

قاعدة المعرفة الاسلامية وأساسها الجمع بين الوحي والعقل وهو تصوير يقوم على الارتباط بين المعرفة والقيم الالهية ورد الاعتبار للوحي كمصدر أساسي من مصادر المعرفة وإعادة فهم المعرفة بأنها معطى إلهي للإنسان ليتمكن من مهمة الاستخلاف والعمران.

مع اعلان فساد نظرية المعرفة القائمة على التصور المادي المتمثل في (الفلسفة المادية - العقل - المحسوس) :

ولم يكن تكامل المنطوق الاسلامي بين الواقع وعالم الغيب ما يمثل ردة حضارية أو افكاراً محنطة (كما يدعي العلمانيون) وإنما الردة هي انكار تكامل الفكر الاسلامي بين الروح والمادة وتكامل الذاتية الانسانية بين العقل والوجدان. ونحن حين نتجاهل الغيب والوحي فإننا نفقد جانباً كبيراً هاما من مفهوم الوجود والحياة والانسان ونجري مع وهم كبير وهو المحسوسات وحدها.

إننا نحب أن نصتبر من أمرين أساسيين:

الأول: الفكر العربي (لبرالي وماركسي)

الثاني: إحياء الفكر القديم اليوناني والمنكسول عن الفكر اليوناني فكر الفلسفة المادية الذي هاربه الامامان الغزالي وابن تيمية والذي يحاولون اليوم إذاعته تحت رداء اسمه (العداثة) لخدمة أهداف التبشير والاستشراق والتفريب.

لنذاء المواجهة بالمقاومة، بالصمود، بالتححر من قيود المادة وقيود الاخلاذ إلى الأرض، والتقدم الى بيع النفس خالصة في سبيل الله واقراض الحق في سبيل الدفاع عن الحق واسترجاع بيت المقدس.

إن الصورة ليست في جملتها مظلمة ولكن بعض جوانبها تزخر بالضياء فما يزال الاسلام يزحف في قوة ويحتل مواقع جديدة ويمتد ويزداد كل يوم قوة وعدداً.

إن الذين يظنون أنهم قاصرون على حصار الاسلام وإزائته في بوتقة الحضارة المنهارة يخدعون أنفسهم. قلن يهزم الحق أبداً ولكن سينهزم الذين لا يثبتون في مواقع الدفاع فيسبدهم الله تبارك وتعالى بغيرهم وإن تستطيع هذه القوى المتجمعة أن تقضى على هذا الكيان أو تهدمه ومن المحتم انه سينتصر في النهاية بعد أن يُري المؤمنون ربهم من أنفسهم ثباتاً وصموداً وتحراً من تبعية الإخلاق إلى الأرض.

ان الحضارة الاسلامية تؤمن بالتقدم المادى من خلال القيم الاخلاقية والثوابت العقديّة ولا يقبلون بديلاً عن المنهج الربانى. وقد أقام الاسلام الثوابت والمتغيرات وجعل الاخلاق من القيم الثوابت فنحن مطالبون في الهم الاكبر حماية القيم الاخلاقية والقضاء على إشاعة الاباحة والانحلال والفساد الخلقي وحماية الناعة القادرة على مواجهة مخططات الأعداء. وبالجملة فإن التصور الكامل لمفهوم تكامل الفكر الاسلامي يقوم على أساس



شعر: أ. هـ.
المهدي بن عبود
- المغرب -

سلاما ملاك الموت

أيشكو وعين القلب تبكي مضاضة
على نكسة الإنسان في الجهل هاويا؟
ظلم جهول صار بالشرك ثعلبا
وقد كان منذ البدء بالعهد ساميا
تمنت شموب الأرض تمصين أمة
وتوحدها بالأمر عهدا سعاويا
فما أطلع الإنسان للعهد خائنا
وما فاز مفروود ولو كان طافيا
فقد صار جمع الخلق أسراب غابة
نأبا وخرفانا وحوشا غواريا
قطيع مريض القلب يرتاد كوكبا
بعيدا عن الإحسان للنفس ناسيا
نسوا الله فارتدوا نفوسا عقيمة
وما كان ظلم النفس والناس ناجيا
وإن تسلم النبيا من النار والوعى
وصوت الهوى كالنذب في الغاب عاويا
توالت من الأصوات بالعدل صرخة
متأفات تجبل غرورا متابيا

سلاما ملاك الموت ما جئتُ شاكيا
أيشكو جوار الحق من كان راضيا؟
أيشكو فراق العصر والعصر منفر
بتدمير ما قد كان بالأمس بانيا؟
بتدمير أرواح وأركان أمة
وافساد أجيال حليثا وأتيا
أيشكو فراق الأرض والأرض مرتع
لمن باع للأهواء قلبا مرثيا؟
أيشكو فراق الناس والناس سجد
لأوثانهم شتى جديدا وباليا؟
أيشكو فراق الفكر مقلوب نظرة
يرى الأسفل الأعمى بصيرا وعاليا؟
أيشكو فراق القوم والقوم دمية
لمن خان للرحمن عهده باغيا؟
لمن بات مفضويا عليهم وفي الورى
قطيع من الخرفان يتقاد غافيا
أيشكو فراق العقل محجوب أعين
إذا كان رين العقل يكسوه غاشيا؟

وغطى وجوه الغرب عار مؤيد
 من (البوسن والهرسك) بالخرزي كاسيا
 دليل برهان يناقني حضارة
 من البهت صافات مظلم القلب قاسيا
 بتدمير أرواح تردت كئيبة
 وتشقى بها الدنيا قتيلًا وجانيا
 بتخدير عقل النشء تعمى بصيرة
 شعاراتهم همسا تحاكي الأفاعيا
 ومن خلف أستار الشعارات مآكر
 يغنيه مغضوب عليهم غبايا
 طغى الشرك فالأهواء تبني طقوسها
 وفيها من الطاغوت من بات عابيا
 وأوثانهم عجل وعرق وقادة
 وأوهام أنساق ٠٠ ظنونا خواليا
 وجهاء وفكر مائع تحت شهوة
 وسلم بالاستبداد يحمر قانيا
 وتآلب إنسان وعقل وصيفة
 وعلم كما لو كان وحيا إلهيا
 سراب وأشباح وأحلام نائم
 وبالجنس صار الفكر خزنا إباحيا
 فهل يفلح الإنسان والجهل جارف
 وقد كان بالأسماء في الكون ساميا؟
 إلى أين يجري العصر بالناس مهلكا
 قراهم وفي الأثام بالنار صاليا؟
 فإنسان عصر الحس نذب وشطب
 ومن خلف تببيت يحاكي الأفاعيا
 عماء وقر مظلم المصدر عاجز

عن الفهم والأنواق للحق عاصيا
 وما أنطق الأقسام إلا مضاضة
 بظلم الذي يجني ويرميك جانبا
 إذا اعوج تفكير تردى بهيمة
 وإن سأت الأخلاق زالت معاصيا
 وفي العقل إصلاح وفي الجو نكسة
 بنور الهدى تسمو الموازين عاليا
 عدو الورى جهل وكبر مسيطر
 وجور وظلم النفس والغير باغيا
 إذا العدل قاد الناس فالخير ثابت
 فإن زلت الأقدام صاروا مواشيا
 فلا فضل للفقوى ولا عنر خاضع
 ولا فوز للمجموع إن ضل غافيا
 شقي ومبغوض سلوك الذي غوى
 وقد زين الشيطان بلواه لاهيا
 فإن قام شرع الله يهدي خليقة
 يقوم الهوى سدا منيعا وأقيا
 وبالجهل يردي الشر أرقى حضارة
 فيمسي سلوك الشر في القوم عابيا
 وبالنظم إهلاك القرى رغم بطشها
 وجهاء ومال لا ترى فيه باقيا
 ظنوا عزاء الشعر ما كت كتاتبا
 وأولا أليم الصمت ما قمت ساعيا
 وقد كانت الأشعار مرآة أمة
 وما الشعر إلا زفرة القلب داميا
 يرى الشعب في الأقسام رمحا مهندا
 وفي طي أوزان صدى الشعب باكيا

الجنة

في

القصص النبوي

٣٨

أبواب الجنة:

الباب مدخل المكان، ويجمع على أبواب، ويستعمل الباب مجازاً فيما يوصل إلى غيره وأكثر ما ورد في القرآن الكريم بالمعنى الحقيقي. قال تعالى: {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب} وقال تعالى: {واستبقا الباب، وقَدْ قَمِصَهُ من دبر، وأَلْفِيا سَيْدَهَا لَدَى الْبَابِ} وقال تعالى: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ} وقال سبحانه: {وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً، حتى إذا جاؤوها فَتُحَّتْ أَبْوَابُهَا} وقال أيضاً: {وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً، حتى إذا جاؤوها وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا} وقال جل شأنه: {جنات عدن مفتحة لهم الأبواب، متكئين فيها، يدعون فيها بفاكهة وشراب}.

وتكلم العلماء في عدد أبواب الجنة، وساق القرطبي في التذكرة عدة أقوال، وكلها مؤيدة بالقصص النبوي أو بآثر عن السلف الصالح:

١ - منها أن أبواب الجنة ثمانية: كما يفهم من قول الله تعالى: {حتى إذا جاؤوها وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا}

فوجود الواو في قوله {وَفُتِّحَتْ} تدل على أن الأبواب ثمانية، كالواو في قوله تعالى: {سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعَهُمْ كَلْبُهُمْ، وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسَهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامَنَهُمْ كَلْبُهُمْ} فالواو ذكر هنا مع الثمانية، وذكرها في قوله: {وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا} تدل على أن الأبواب ثمانية.

وأورد مسلم قصة مروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [١] - عن رسول الله - {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: {وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء} وزادت بعض الروايات، بعد التشهد. {اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين}.

وفي الصحيحين قصة عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: {في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون}.

وفي رواية عن ابن ماجة وعبد الله بن أحمد، عن عتبة بن عبد السلمي قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: {ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث [٢] إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل}.

٢ - ومنها أن أبواب الجنة أربعة فقط، لما جاء في القصص النبوي في الموطأ وصحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: {من أنفق زوجين في سبيل الله، تودي: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب

سنة ونعيمها (٢)

هذا بابكم فادخلوه) وفي الترغيب والترهيب عن الطبراني زيادة: (هذا بابكم فادخلوه برحمة الله).

وفي الترمذي عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (باب أمتي الذين يدخلون منه الجنة، عرضة مسيرة الراكب المجد ثلاثاً، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكيهم تزول).

قال القرطبي [هـ] ومما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من توضأ فأصبح الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صادقاً من نفسه أو قلبه - شك أيهما قال - فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة يدخل من أيها شاء).

فقلوه (فتح له من أبواب الجنة) يدل على أنها أكثر من ثمانية. وأما كون الواو في (وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا) واو الثمانية، وأن أبواب الجنة كذلك ثمانية أبواب، فقد جاء ما يدل على أنها ليست كذلك في قوله تعالى: (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) فخلو المتكبر وهو ثامن اسم من الواو يدل على بطلان ذلك القول وتضعيفه [٦].

هـ - وأورد القرطبي بعض القصص النبوية التي تدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثلاثة عشر. من ذلك باب الداخلين الجنة بغير حساب، كما في رواية سهل بن سعد [٧] - رضي الله عنه - أن

الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، فقال أبو بكر: يارسول الله، ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم [٣].

قال القاضي عياض: ذكر مسلم في هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة، وزاد غيره بقية الثمانية وهي: باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والبواب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه.

٣ - ومن أقوال العلماء أن أبواب الجنة أحد عشر باباً، وهذا الرأي مذكور عن الترمذي الحكيم أبي عبد الله في (نوارد الأصول) فذكر باب محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو باب الرحمة، وهو باب التوبة، وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر كالصلاة والصوم وغيرها، وعلى ذلك تكون أبواب الجنة هكذا:

باب الصلاة، وباب الجهاد، وباب الصدقة والزكاة، وباب الصيام (الريان) وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والبواب الأيمن [٤]، وباب محمد أو الرحمة أو التوبة.

٤ - ومن العلماء من يقول إن أبواب الجنة ثلاثة عشر باباً، يضاف إلى ما تقدم ذكره باب الضحى، وباب أمتي، لما جاء في القصص النبوي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن في الجنة باباً يقال له: باب الضحى، فإذا كان يوم القيامة، ينادى مناد: أين الذين كانوا يدومون على صلاة الضحى؟



بقلم:
أ.هـ. عبد الباقي
أحمد علي حمودة
- مصر -

هريرة (من أنفق زوجين ٥٥٠ الخ).

سعة أبواب الجنة:

ولكل باب من أبواب الجنة مصراعان، وهذا يشبه أبواب الدنيا، غير أنها تختلف في السعة لتتناسب رحمة الله وفضله.

وقد جاء وصف مصراعي أبواب الجنة في القصص النبوي في رواية مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - [٩] قال: (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم) يوما بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه فنهس [١٠] منها نهسة فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة) ثم قال: (فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى)، ونقل القرطبي عن البخاري (كما بين مكة وحمير).

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة) وفي نص سابق: (باب أمتي الذين يدخلون منه، عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا، ثم إنهم ليضغفون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول).

وعن معاوية بن حيدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم وإنه لفظيف) وعن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان فقال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصارع الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم كظيف الزحام)).

بوابو الجنة وخرقتها:

جاء في الأخبار الصحيحة للمطوع بها أن للجنة خزانة يقومون على أبوابها، وأن كبير الخزانة هو رضوان، لما تقدم من قوله تعالى: (وسيق الذين اتقوا ربهم) إلي قوله تعالى (وقال لهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: (ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمئة ألف - لا يدري أبو حازم أيهما قال - متمسكون أخذ بعضهم بعضا، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر).

ومن الأبواب باب الفرح، حيث جاء في قصة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (للجنة باب يقال له: الفرح، لا يدخل منه إلا من فرح الصبيان).

والباب السادس عشر باب الخلق الحسن ذكره الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري في كتاب التحبير. ونقل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الخلق الحسن طوق من رضوان الله - عز وجل - في عنق صاحبه، والطوق مشدود إلى سلسلة من الرحمة، والسلسلة مشدودة إلى حلقة من باب الجنة، حيث ما ذهب الخلق الحسن جرت السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب إلى الجنة. والخلق السوء طوق من سخط الله في عنق صاحبه، والطوق مشدود إلى سلسلة من عذاب الله، والسلسلة مشدودة من باب النار، حيث ما ذهب الخلق السوء حسرت السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب إلى النار).

قال القرطبي [٨] فهذه الأحاديث مع صحتها تدل على أنها أكثر من الثمانية إذ هي غير ما تقدم. فيحصل منها - والحمد لله - على هذا ستة عشر بابا.

ويستدل على ذلك بأن كل باب مختص بأعمال معينة بالرواية التي جاءت في البخاري ومسلم، عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون، فيدخلون منه، فإذا نخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد).

فهكذا - والله أعلم - سائر الأبواب المختصة بالأعمال. ولا يمنع متعدد أعمال البر والخير أن يدخل من أي الأبواب شاء الحديث المتقدم عن أبي

على مفاتيح ومفاتيح ، وجاء في القرآن الكريم
(وعنده مفاتيح الغيب) .

ويطلق المفتاح على ما يفتح الحسيات
والمعنويات ، يقول ابن قيم الجوزية [١٥] : وقد جعل
الله لكل مطلوب مفتاحا يفتح به ، فجعل مفتاح
الصلاة الطهور ، كما قال [صلى الله عليه وسلم] :
(مفتاح الصلاة الطهور) ومفتاح الحج الإحرام ،
ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ،
ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء ،
ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد
الشكر ، ومفتاح الولاية المحبة والذكر .

كما جعل الشر والكبر والإعراض عما بعث
الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه
مفتاحا للنار ، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم ،
وجعل الفحشاء مفتاح الزنا ، وجعل إطلاق النظر في
الصور مفتاح الطب والعشق .

وجاء في القصص النبوي فيما رواه أبو داود
الطيالسي [١٦] قال : حدثنا سليم بن معاذ الضبي
عن أبي يحيى القتات عن مجاهد ، عن جابر بن
عبد الله قال : قال رسول الله [صلى الله عليه
وسلم] : (مفتاح الصلاة الوضوء ، ومفتاح الجنة
الصلاة) .

وفي البيهقي عن معاذ بن جبل قال : قال رسول
الله [صلى الله عليه وسلم] : حين بعثه إلى اليمن :
(إنك ستأتي أهل الكتاب ، فيسألونك عن مفتاح
الجنة ، فقل : شهادة أن لا إله إلا الله) .

وفي البخاري : وقيل لوهب بن منبه : أليس
مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى .

ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت
بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك .

قال القرطبي : قلت : الأسنان عبارة عن توحيد
الله وعبادته جميعا ، وعن توحيده أيضا فقط قال
الله تعالى : (ويشتر الذين آمنوا وعملوا الصالحات
أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) . وقال :
(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم
جنات الفردوس نزلا) وهو في القرآن كثير الإيمان

خرزنتها سلام عليكم) .
يقول ابن القيم [١٧] : (وقد سمي الله سبحانه
وتعالى - كبير هذه الخزنة : رضوان ، وهو اسم
مشتق من الرضا ، وسمي خازن النار : مالكا ، وهو
اسم مشتق من الملك ، وهو القوة والشدة ، حيث
تصرفت حروفه) .

وجاء في القصص النبوي من حديث أنس -
رضي الله عنه - قال : قال رسول الله [صلى الله
عليه وسلم] : (أتي باب الجنة ، يوم القيامة ،
فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول : محمد
فيقول : بلى ، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) والقصة
التي سبقت من قبل : (من أنفق زوجين في سبيل
الله ، دعاه خزانة الجنة ، كل خزانة باب : أي قل
هلم .) وفي رواية (ابتدرته حجة الجنة) .

ونقل القرطبي في التذكرة [١٨] قصة نبوية عن
الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -
قال قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : (أنا
سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر .) ثم قال :
(فأخذ ببطقة باب الجنة ، فأعقعقها ، فيقال : من
هذا؟ فيقال : محمد ، فيفتحون لي ويهربون
فيقولون : مرحبا ، فأخر ساجدا لله .) .

وجاء في قصة في مسند الإمام أحمد عن
أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول
الله [صلى الله عليه وسلم] [١٩] (أتي باب الجنة ،
يوم القيامة ، فأستفتح فيقول الخازن : من أنت؟
فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد
قبلك) .

قال ابن كثير في تفسيره (وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين) لم يذكر
الجواب هنا وتقديره : حتى إذا جاؤها وكانت
هذه الأمور من فتح الأبواب لهم ، إكراما وتعظيما
وتلقئهم الملائكة الخزنة بالبخارة والسلام والثناء ،
كما تلقى الزبانية الكفرة بالتأنيب والتأنيب .

مفتاح الجنة :

المفتاح : أداة الفتح ومفتاح الباب ما يفتحه ،
والمفتاح - عموما - ما يفتح كل مستغلق ، وجمع

عليهم في ذلك الكتاب).

وجاء في القصص النبوي رواية عن الامام أحمد بن حنبل، في مسنده، وابن حبان، وأبو عوانة الاسفراييني في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب قال [٢٠]: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) إلى جنازة، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله، كأن على رؤسنا الطير، وهو يكعد له، فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر - ثلاث مرات - ثم قال: إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، تنزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، مع كل واحد منهم حنوط [٢١] وكفن، فجلسوا منه مد البصر، ثم بجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة: اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيمسعون بها، فلا يمرون بها، يعنى على ملا من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله - عز وجل - فيقول الله - عز وجل - : اكتبوا كتاب عبدى في عيلى، وأعيدوه إلى الأرض، فأنى منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له: وما ظلمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمّنت به وصدقت، قال: فينادى مناد

مع العمل، وهو مقتضى الحديث الأول، حديث جابر - رضي الله عنه - وعن توحيد الله فقط، وفي الصحيحين عن أبي ذر - رضي الله عنه - وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) قال: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق).

ويسوق الطبراني قصة من حديث موسى بن عقبة، عن اسحاق بن يحيى بن طلحة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حضر ملك الموت - عليه السلام - رجلاً، فنظر في كل عضو من أعضائه، فلم يجد فيه حسنة، ثم شق عن قلبه، فلم يجد فيه شيئاً، ثم فك عن لحيته فوجد طرف لسانه لأصفاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فقال: وجبت الجنة بقول كلمة الإخلاص).

وفي صحيح مسلم [١٧] عن عثمان - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) ومن قصة طويلة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (أذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة).

وجاء في القصص النبوي أن الجنة لا يدخلها أحد إلا بجواز، أى كتاب مكتوب، كما ورد في قوله تعالى: (كتاب مرقوم يشهده المقربون).

ففي رواية في منتخب كنز العمال وفي التذكرة [١٨] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز) بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية).

قال محمد بن كعب القرظي - نقله ابن قيم الجوزية [١٩]: (رقم الله - سبحانه - كتاب الفجار في أسفل الأرض، فهم عاملون بما قد رقم عليهم في ذلك الكتاب، ورقم كتاب الأبرار فجعله في عيلى، فهم يؤتى بهم حتى يعملوا ما قد رقم

فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول له: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عمك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة).

درجات الجنة:

وكما سبق أن رأينا تعدد الجنان وكثرة الأبواب، وتفاضل الجنان بعضها على بعض، فكذا في الجنة درجات، وذلك ثابت في القرآن وواضح في القصص النبوي. قال الله - تعالى -: [لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلا وعد الله الخسئي، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما] وقال تعالى: [أقم اتبع رضوان الله كمن بآء بسخط من الله، وموآه جهنم وينس المصير، هم درجات عند الله، والله بصير بما يعملون] وقال - جل شانه - [أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم].

وجاء في القصص النبوي في الصحيحين [٢٤] عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب: لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) ولفظ البخاري (في الأفق) وهو أيين، والغابر هو الذاهب الماضي الذي قد تولى للغروب.

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما ترون الكوكب في أفق السماء).

من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عمك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح [٢٢]، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود [٢٣] من الصوف البلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفه عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كائنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، باقبع أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي إلى سماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: (لا تُفْتَحْ لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فيقول الله - عز وجل - اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، وتطرح روحه طرعا، ثم قرأ رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي، فافرشوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار،

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (يقال لصاحب القرآن، إذا دخل الجنة، اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه).

وفي قصة رواها البخاري عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) [٢٥] قال: (إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسأله الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفرج أنهار الجنة).

وفي رواية عن معاذ [٢٦] عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (ذر الناس يعملون، فإن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وأوسطها وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفرج أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسأله الفردوس).

ومن القصص النبوي الذي يوضح نعيم أهل الجنة واختلاف درجاتها ما روي عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم - تعالى - ويبرز لهم عرشه ويبتديء في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أبنائهم - وما فيهم من نبي - على كئبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا، قيل: يا رسول الله هل نرى ربنا؟ قال: نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، قال: كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول للرجل منهم فلان ابن فلان، أتذكر يوم قلت كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يارب أقم تغفر

لي، فيقول: بلى، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك إذ غشيهم سحابة من فوقهم، فأمرت عليهم طيما لم يجد مثل ريحه شيئا قط، ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخنوا ما اشتبهتم، فنأى سوقا قد حفت به الملائكة، لم تنتظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الأذان، ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتبهنا، ليس يباع فيها ولا يشتري، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا، فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم منى، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم تنصرف إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجنا فيقبلن مرحبا وأهلا، لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل ما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحقتنا أن نلقب بمثل ما انقلبنا).

أعلى درجة في الجنة وأدناها:

وتحدث القصص النبوي عن أعلى الدرجات في الجنة، وذكر أسماء بعضها، كما قص علينا أدنى درجة فيها وما يكون لأصحابها من مكانة. فأعلى الدرجات في الجنة هي درجة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فهي منزلة خاصة بعبد من عباد الله، وقد دلت النصوص على أنها تكون لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) روى مسلم في صحيحه [٢٧] قصة عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة).

ومن القصص النبوي ما جاء في الصحيحين عن جابر [٢٨] - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من قال حين يسمع

يغدو عليه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم طرفة [٢٠] ليست مع صاحبه).

وجاء في قصة عن أنس [٣١] - رضي الله عنه - قال: (أسفل أهل الجنة درجة، لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، بيد كل خادم صحفان: صفحة من ذهب، وصفحة من فضة في كل واحدة لون ليس في الأخرى، يأكل من فضة في كل واحدة يأكل من أولها، يجد لأخرها من اللذة والطيب مثل ما يجد لأولها، ثم يكون ذلك رشح مسك وجشاه [٢٢] مسك، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخضون).

ومن القصص النبوي المطول الذي يحكي عن يوم الجمع وأحوال يوم القيامة واجتياز الصراط وشدائده، ونعيم أدنى أهل الجنة وسعة عطاء الله له، وعذاب جهنم، نعرض منه ما يناسب المقام، مما روي عن مسروق بن الأجدع عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قياماً أربعين سنة، شاحصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فصل القضاء قال [٢٣]: وينزل الله - عز وجل - في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: أيها الناس، ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم، وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا؟ أليس عدلاً من ربكم؟ قالوا بلى، قال: فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا، قال: فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان من الحجارة وأشياء ما كانوا يعبدون، قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير، ويبقى محمد (صلى الله عليه وسلم) وأمه، فيأتيهم الرب - عز وجل - فيقول: ما بالكم لا تطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون: إن لنا إلهاً ما رأيناه بعد، فيقول: هل

التداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، أت محمداً الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة).

وقد فسرت الوسيلة بأنها درجة عند الله، لما في مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (الوسيلة درجة عند الله - عز وجل - ليس فوقها درجة، فسلوا الله لي الوسيلة).

ويؤيد ما تقدم ما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتيناه عيسى ابن مريم البينات).

وفي قصة الإسراء: (أنه (صلى الله عليه وسلم) لما جاوز موسى قال: رب لم أظن أن ترفع عليّ أحداً، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدة المني).

ويحدثنا القصص النبوي عن أدنى درجة في الجنة، وهي التي أعطيت لآخر الناس دخولاً إلى الجنة، ففي رواية عن المغيرة بن شعبه [٢٩] عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (أن موسى سأل ربه ما لأدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذنا أخذاتهم؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك، ولدت عينك فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلمهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر).

وعن أنس بن مالك يرفعه (إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة، من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم).

وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة، وما فيهم دنيء لمن

تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال: فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساق، فيخرون له سجدا، ويبقي قوم ظهورهم كصياصي البقر [٢٤] يريون السجود فلا يستطيعون، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول: ارفعوا رؤوسكم، فيرفعون رؤوسهم، فيعطيه نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم، يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نورا مثل النحلة بيمينه، ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه، يضئ مرة ويطفأ مرة، فإذا أضأ قدمه ومشى، وإذا طفىء قام، والرب - تبارك وتعالى - أمامهم حتى يمر في النار، فيبقى أثره كحد السيف قال: ويقول: مروا، فيمرون على قدر نورهم؛ منهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاء الكوكب ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشدة [٢٥] الفرس، ومنهم كشدة الرجل، حتى يمر الذي أعطى نوره على قدر إبهامه يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تجر يد وتعلق يد، وتجر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلاص وقف عليها، ثم قال: الحمد لله، لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا، إذ نجاني منها بعد أن رأيته، قال: فينتقل إلى غدير عند باب الجنة، فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما في الجنة من خلال الباب، فيقول: رب أدخلني الجنة، فيقول الله - تبارك وتعالى - له: أتسال الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: يارب اجعل بيني وبينها حجابا لا أسمع حبسها [٢٦]، قال: فيدخل الجنة قال: ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك، كأنما الذي هو فيه إليه حلم ليدخله، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول: فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره؟

فيقول: لا، وعزتك لا أسأل غيره، وأنى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله، قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول الله - عز وجل - فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره؟ فيقول: لا، وعزتك لا أسأل غيره، وأنى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله، قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر، كأنما الذي هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول الله - جل جلاله - فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره؟ قال: لا، وعزتك لا أسأل غيره، وأنى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله ثم يسكت، فيقول الله - عز وجل - مالك لا تسأل؟ فيقول: رب لقد سألتك حتى استحييتك، وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله - عز وجل - ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفتيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول: أنتهزيء بي وأنت رب العزة، فيضحك الرب - عز وجل - من قوله - قال: فرأيت عبد الله بن مسعود، إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك - فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مرارا، كلما بلغت هذا المكان ضحكت، فقال: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحدث بهذا الحديث مرارا، كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه، قال: فيقول الرب - عز وجل - لا، ولكني على ذلك قادر، سل، فيقول: ألقني بالناس، فيقول: الحق بالناس، قال: فينتقل يرمي في الجنة، حتى إذا بنا من الناس، رفع له قصر من درة فيختر ساجدا، فيقال له: ارفع رأسك، مالك؟ فيقول: رأيت ربي أو تراهي لى ربي، فيقال له: إنما هو منزل من منازلك، قال: ثم يلقي فيها رجلا قبيتها للسجود، فيقال له: مه مالك؟ فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له: إنما أنا خازن من خزائنك، عبد من عبيدك، تحت يدي ألف قهرمان [٢٧] على مثل ما أنا عليه، قال فينتقل أمامه حتى يفتح له القصر، قال: وهو في درة

الهوامش:

- (١) التذكرة من ٥٢٢ وحادي الأرواح من ٤٩.
- (٢) الحش: البوارغ والإبراك والتكليف.
- (٣) صحيح حادي الأرواح من ٤٩.
- (٤) صحيح مسلم ج ١ من ٣٦٥.
- (٥) التذكرة من ٥٢٤.
- (٦) وانظر تفسير ابن كثير ج ٤ من ٦٦.
- (٧) صحيح مسلم ج ١ من ٢٨١.
- (٨) التذكرة من ٥٢٥.
- (٩) ج ١ من ٣٦٢.
- (١٠) بالمهملة أى أخذه بطرف الأسنان.
- (١١) حادي الأرواح من ٥٢ والمتن ج ٦ من ١٠٩ - ١٠٦.
- (١٢) صحيح حادي الأرواح من ٩٦.
- (١٣) من ٧٨٢ ومتن ج ٦ من ٧٩.
- (١٤) ابن كثير ج ٤ من ٦٥.
- (١٥) صحيح حادي الأرواح من ٥٨.
- (١٦) التذكرة من ٦٠٢.
- (١٧) ج ١ من ١١٢، ١١٢.
- (١٨) المتن ج ٦ من ١١٢ والتذكرة من ٥٤٧ وينسبه لسنن الإمام أحمد.
- (١٩) الهجرتين من ٨٤.
- (٢٠) صحيح حادي الأرواح من ٦٠ وخطب الرسول من ٢٢٢.
- (٢١) حنوت: هو الطيب والعطر يطيب به الميت.
- (٢٢) المسوح: أكسية غليظة من الشعر.
- (٢٣) السفود: حديدة يشوى بها لها شعب كثيرة كالخطاطيف.
- (٢٤) صحيح حادي الأرواح من ٦٦.
- (٢٥) طريق الهجرتين من ٢٨٧.
- (٢٦) متن ج ٦ من ١٠٦ - ١٠٨.
- (٢٧) ج ٢ من ١٣٧.
- (٢٨) صحيح حادي الأرواح من ٦٩، ١٢٨.
- (٢٩) للرجع السابق من ١٢٩.
- (٣٠) طريقة: هدية جديدة حسنة.
- (٣١) متن ج ٦ من ١١١.
- (٣٢) ما يخرج من المعدة من ريح ونحوه.
- (٣٣) صحيح حادي الأرواح من ٢٧٨.
- (٣٤) مياصى البقر: قرون البقر.
- (٣٥) شد: عذو جري.
- (٣٦) حميسها: صوتها.
- (٣٧) قهرمان: كلمة فارسية معناها خازن أو وكيل.
- (٣٨) استرسلت: انبسطت واستناست وأمنت.
- (٣٩) فاتقبها: خوفها وأزجرها خوفاً من الغلظة والغرور.

مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلقها ومفاتيحها منها، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء، كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى، فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف، أذنانهن حوراء عينا، عليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدتها مرآته وكبدته مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت فى عيني سبعين ضعفا، فتقول له: والله والله وأنت لقد ازددت فى عيني سبعين ضعفا، فيقال له: أشرف، قال: فيشرف، فيقال له: ملكن مسيرة مائة عام ينفذه بصره، قال: فقال عمر: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلا، فكيف أعلامهم؟

قال كعب: يا أمير المؤمنين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، إن الله - عز وجل - جعل دارا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه، لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون). قال: وخلق لون ذلك جنتين، وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال: من كان كتابه فى علمين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه، فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فيستبشرون بريحه، فيقولون: وأها لهذا الريح، هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير فى ملكه.

فقال: ويحك يا كعب، هذه القلوب قد استرسلت [٣٨] فاقبضها [٣٩].

فقال كعب: والذي نفسى بيده، إن لجهنم يوم القيامة لزفرة، ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخز لركبتيه، حتى إبراهيم خليل الله يقول: نفسي نفسى، حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى علك لظننت أنك لا تتجو).

المخبل السعدي

شعراء
من التراث: (١)

شهُبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء،
ومعنى هذا أن المخبل السعدي كان أشعر
المجموعة.

وقد كان من الطبيعي أن يبدأ حياته
بقصة حب، فقد أحب أخت صديقه الزبرقان
واسمها «خليدة» وحين خطبها من أخيها
ماطله وزوجها من رجل من بنى كلاب، وقد
ظهر بعد فترة من الزواج أنه لم يكن على
مستوى هذه الزيجة، وأنه عُيب عليه أنه قتل
جاراً له، وقد حدث شقاق بينه وبين الزبرقان
فتهاجيا، وكان الناس يجتمعون عليها
لسماع ما قيل من هجاء، وقد ظل طيلة
حياته متعلق الروح بخليدة التي خطبها
فرُفض، ويقال إنه بعد أن أسنَّ وضعف
بصره، التقى بها على غير موعد، فأنزله،
وقربت، وأكرمته ووهبت له وليدة، وقالت له:

إنى أثرتك بها يا أبا يزيد
فاحتفظ بها، فقال: ومن أنت
حتى أعرفك، وأشكر؟ قالت:
لا عليك، قال: بلى والله أسألك
، فقالت: أنا بعض من هنكت
بشعرك ظالماً: أنا خليدة بنت
بدر، فقال: وأسوأته منك،

فإنى استغفر الله عز وجل، واستتريك
وأعتذر إليك، ثم قال:

لقد ضلُّ حلمي في خَلِيدَة أنني
سأعقب نفسي بعدها وأنوب
فأقسم بالرحمن أني ظلمتها
وجرت عليها، والهجاء كنوب!

هو ربيعة بن مالك من بنى شماس بن
لبي بن أنف الناقة، والمخبل المجنون، وبه
سُمي ربيعة [١].. ما نعرفه عن الشاعر في
جاهليته، انه كان محباً للشراب، وللشعر
والفروسية، وأنه كان يتخير من الأصدقاء
من كانوا على شاكلته، فقد كان في مقدمة
أصدقائه الزبرقان بن بدر، وعبدية بن
الطبيب، وعمرو بن الأهم، ولقد كان آخر
لقاء لهم قبل الإسلام، أنهم اجتمعوا فحروا
جزيرا، واشتروا خمراً ببعير، وأقاموا
يشبون ويأكلون.

فقال بعضهم: لو أن قوماً طاروا من
جودة أشعارهم طرنا، وحين اختلّفوا في
المقدم منهم، قالوا: فلنتحاكم إلى أول من
يطلع علينا، وبعد فترة طلع عليهم ربيعة بن
حذار الأسدي، فقالوا له: أخبرنا أينما

أشعر؟ قال: أضاف أن
تغضبوا، فأمّنوه من ذلك،
فقال: أما عمرو بن الأهم
فشعره برود يمانية تنشر
وتطوى، وأما أنت يا زبرقان
فكانك رجل أتى جزوراً قد
نحرت فأخذ من أطايبها،

وخلطه بغير ذلك - وفي رواية يا زبرقان
شعرك ك لحم لم ينضج فيؤكل، ولم يترك نبياً
فيتنفع به - وأما أنت يا عبدية بن الطبيب
فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر
منها شيء، وأما أنت يا مخبل، فشعرك

بقلم:

د. عبد بدوي

كلية الآداب
جامعة الكويت

* ثم كسان: أن دخل الاسلام، وتخلق بأخلاقه، واقترب من الرسول عليه الصلاة والسلام، ومما يحفظ له تعلقه الشديد بابنه «شيبان»، فقد خرج مجاهداً في سبيل الله مع «سعد بن أبي وقاص»، وقد جزع المخبل لسفره وبعده عنه، وبخاصة أنه كان قد أسن وضعف وافتقر إلى هذا الولد، فلم يملك البعد عنه، وقيل إنه كاد أن يغلب على عقله، وكان أن عمد إلى سائر إبله، وكل ماله، فعرضه للبيع، ولاحق بابنه وحين عرف صديقه علقمة بن هوذة بهذا، شغل بأمره، وقال له: أنا أكلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في رد ابنك، فإن فعل غنمت مالك، وأقمت في قومك، وإن أبي استنفقت ما أعطيتك ولحقت به، وخلفت إبلك لعيالك، وبالفعل ذهب إلى عمر، وأخبره خبر «المخبل» وجزعه على ابنه، وأنشده قوله في ابنه شيبان:

أيتها كنى «شيبان» في كل ليلة
لقلبي من خوف الفراق وجيب
أشيبان ما أدراك أن كل ليلة
غيبتك فيها، والغيبوق حبيب
فإن يك غصني أصبح اليوم ذاك
وغصتك من ماء الشباب رطب
فإنني حنت ظهرى خطوط تنابعت
فمشيتي ضعيف في الرجال، نبيب
إذا قال محبى: يا ربيع ألا ترى
أرى الشخص كالأشخاص وهو قريب
ويخبرني شيبان أن لن يغفني
تعلق إذا فارقتني وتحوب
إذا قلت: ترعى، قال: سوف تريهني
من الرعى منعان العشي خبيل [٢]

ويقال إن عمر بن الخطاب حين سمع هذه الأبيات بكى ورقاً له، وكتب إلى «سعد بن أبي وقاص» يأمره أن يرجع شيبان بن المخبل إلى أبيه، فما وصل الخطاب إلى سعد وكلم ولده شيبان في أمر العوده قال شيبان: لا تحرمنى الجهاد، ولكن سعداً ألح وقال: إنها عزمة من عمر، ولا خير لك في عصيانه، وعقوق شيخك، وكان أن عاد ولم يفارق الأب حتى كان موت الأب [٣].

ويبدو أنه عاش فقيراً، وأنه لم يكن يمدح إلا في حدود ضيقة، فنحن نعرف أنه كان له ولد يسمى «زرارة» وأن رجلاً أتى هذا الولد وهو مشغول بأمر إبله، وقد طلب منه الرجل أن يصارعه، فقال زرارة: إني عن صراحك لمشغول، ولكن الرجل أصر على المصارعة، فما كان من زرارة إلا أن أخذ حجراً وضرب به رأس الرجل فقتله، وحين طلب من الأب أن يقوم بدفع الدية، نراه يخبر «بغيفض بن عامر» بما فعل، ويطلب منه دفع الدية، وحين استجاب «بغيفض» مدحه بالقصيدة التي أولها:

لعمر أببك لا ألقى ابن عم
على الحشائ خيراً من بغيفض
أقل ملامة وأعز نصراً
إذا ما جئت بالأمير المريض
كسائى حلة، وحبسا بعفس
أيس إذا اضطربت غـروضى
غداة جنى بُني علي جرماً
وكيف يداى بالصرب العضوض
فإن تمنع سهول الأرض منى
فإنى سالك سبل الغروض [٤]

أغلى بها ثمننا، وجاء بها

شخت العظام كثة سهم [٧]

* وهناك من قال: شعره شهب من نار
الله يلقيها على من يشاء [٨]، وقد وضعه
ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول
الجاهلية [٩].

تلك سيرة شيخ عاش محبوباً في
الجاهلية وفي الإسلام، وكان مما يميزه هذا
الحب المتدفق لأبنائه، وبخاصة ولده شيبان.
وقيل مات في أيام عمر بن الخطاب [١٠]،
بعد أن عاش زمناً في الجاهلية، وكانت له
صحبة برسول الله (صلى الله عليه وسلم)،
كما أنه عاش مكرماً في عصره، وكما شهد
له بالشعر، شهد له بالنبل.

الهوامش:

(١) الشعر والشعراء ٢٣٢/١، شرح العميون ص ١٣١ ط
١٩٨٦، وأمه أم البنين، وهناك من يرفض أن يكون اسمه
ربيع بن ربيعة لقوله:

إذا قال صبيح يا ربيع ألا ترى

أرى الشخص كالتخصين وهو قريب

- شعراء مقلون د. حاتم الضامن ص ٢٨٠، عالم الكتب،

بيروت.

(٢) نفسه ٢٣٢/١.

(٣) شعراء مقلون د. حاتم صالح الضامن ٢٨١، ٢٨٢،

عالم الكتب، بيروت.

(٤) شعراء مقلون ص ٣٠٠.

(٥) طبقات فحول الشعراء ١٢٤/١.

(٦) أبو يزيد: كنية الشاعر.

(٧) الفضليات الفضل الضبي، تحقيق أحمد شاكر وميد

السلام هارون ص ١١٥، ط. دار المعارف ١٩٦٤.

(٨) الأغانى ٤٤/١٢.

(٩) طبقات فحول الجاهلية، وقال فيه: له شعر كثير جيد،

وأنكر خلافة عمر.

(١٠) معجم الشعراء في لسان العرب. د. يوسف ياسين

الأبيس.

ويبدو أنه عاش محبوباً ومقدراً في قومه،
فيروى أن رجلاً من بني امرئ القيس، كان
مجارراً في بكر وأهل البمامسة، ولكنهم
أغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبل
يستمنحه شيئاً من عنده، فما كان من
المخبل إلا أن قال له: إن شئت فاختر خير
ناقة، فإبلي فخذها، وإن شئت سعيت لك،
فقال الرجل: أن تسعى بي أحب إلى فما
كان من المخبل إلا أن سار معه، ووقف على
نادى قومه وأنشد:

أنا إلى روح بن حسان بن حارثة، بن منفر

كروء ماء مدلاة كان ضرورهما حياء لأجل

* فما كان من القوم إلا أن قالوا له: نعم
ونعمة، وجمعوا له من النياق، ما يعادل الإبل
التي اغتصبت منه.

وفي ميدان الشعر نرى أن محمد بن
سلام قد وضعه في الطبقة الخامسة من
فحول الشعراء [٥] أما الذي فخر به، فكان
الفرزدق، ذلك لأنه قال في مجال فخره
بنفسه:

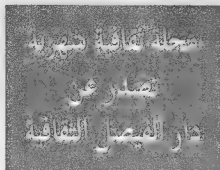
وهب القصائد للنوايغ إذ مضوا

وأبو يزيد ونو القروح وجروء [٦]

* فنو القروح هو امرؤ القيس، وجروء هو
الخطيئة، وأما أبو يزيد فهو كنية شاعرنا
الذي اسمه في الأصل الربيع بن ربيعة،
ولقبه المخبل السعدي، وقد كان من
المعمرين، وعاش في الجاهلية زمناً، وفي
الإسلام زمناً، وأجاد في وصف الحبيبة
بالدرة:

كمقيلة الدر استضاء بها

محبوب عرش عزيزة العجم



الفجر

قضايا الفكر العربي والإسلامي والإنساني
بأقلام مفكرين عرب وأجانب وعبر حوارات معهم

الفجر

مقالات ودراسات أدبية ونقدية واجتماعية وعلمية يكتبها متخصصون

الفجر

متابعة لأبرز الأحداث الثقافية في الوطن العربي والعالم

على مدى شهر

الفجر

جديد الكتب وأحدثها في عروض يكتبها صحافيون ونقاد
التعريف بالتراث العربي والإسلامي وتقديمه بأسلوب صحافي لا يخل بالجدية العلمية

الفجر

دائرة معارف تتناول في كل عدد موضوعاً

يهم القارئ والباحث

الفجر

استطلاعات ومقالات مصورة

عن الحياة المعاصرة والطب والعلوم والمتاحف والبلدان

الفجر

ملفات متخصصة وندوات ثقافية وعلمية يتناول فيها

أعلام الفكر قضايا الحياة الثقافية المعاصرة

الفجر - شاملة لثقافة العصر

ص.ب ٣ الرياض ١١٤١١ هاتف ٤٦٥٣٠٢٧ فاكس ٤٦٤٧٨٥١

مسألة المصطلح بين الأمس واليوم

بالمصطلحات في العصور الحديثة بسبب الطفرة الحاصلة في التطورات العلمية والمنهجية. وتبين أن التحكم في المصطلحات هو تحكم في المعرفة التي يراد تبليغها، وأن المناهج العلمية لا تتحقق الا بضبط المصطلحات، وتؤكد لدى الباحثين أن الخلافات العلمية ترجع في قدر منها الى اختلاف الناس حول معاني الالفاظ.

فكيف تعامل الفكر العربي مع قضية المصطلح في القديم والحديث؟

وهل عانى القدماء من اشكالات المصطلح كما نعانى نحن اليوم؟

ثانياً: الاصطلاح في القديم:

اصطلح الناس أي تصالحوا وزال ما بينهم من خلاف، وتحققت المصلحة والمنفعة بينهم، وحل الصلاح مكان الفساد. واصطلحوا على شيء، تعارفوا عليه واتفقوا اتفاقاً يقتضيه العقل.

فالمصطلح - في ضوء المعجم العربي - اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص

والهدف من وضع المصطلح تحقيق تواصل وتفاهم واتفاق وإجماع وبهذا نختصر الزمن، وننتصر عليه، وتتطور المعارف البشرية وتزدهر، ويسهل نقد هذه المعارف ومراجعتها، وينشأ حوار علمي بين اللغات

أولاً: تحديد المصطلح ضرورة حضارية:

في معترك التواصل البشري تنشأ الالفاظ لتدل على مسميات لمدرجات الانسان وأحاسيسه، وما يقوم به من نشاط في هذا الوجود. وتتوالد الالفاظ في معترك الحياة وتختلف باختلاف الاصطلاحات والأمكنة، وتنتقل من معانيها اللغوية إلى معانيها الاصطلاحية، فتصبح مفاهيم تؤطر تصورات فكرية؛ وهكذا يخرج اللفظ من رحم الحياة، الى مجال المعجم ليصبح دالاً على معنى ما، في مجال معرفي ما. ثم ينتقل اللفظ من معناه اللغوي فيكتسب «المصطلحية» حين يحقق في مجال التداول تصوراً فكرياً واضحاً، وبذلك يتحول الى مفهوم.

وتحديد المصطلح في مجال العلوم حقيقة مقررة، في غيابها لا تزدهر العلوم ولا تتطور وقيمة التفكير العلمي تقاس بضبط المصطلح باعتباره اداة علمية إجرائية

تحدد معالم التصور النظري الذي ينبثق عنه المنهج.

بقلم: د. عباس أرحيلة
كلية الآداب - مراكش -

وكل الحضارات القديمة رسخت وجودها الفكري حين حددت مصطلحاتها، وبلورت مفاهيمها، فأصبح تحديد المصطلح ضرورة حضارية يكسب بها الفكر سيرورته في تاريخ الأفكار. وازدادت العناية

**** قراءة النص الديني تستوجب تحديد المصطلح اللغوي للكلمة.**

**** الدين واللغة هما قطبا الحضارة الإسلامية.**

**** مرحلة التدوين شهدت ولادة مصطلحات في كل الحقول.**

وسياقاتها .

والشعوب والمناهج .

أ- لغة القرآن والتشريع:

وبدأ تأسيس الفكر الاسلامي وتحديد الرؤية الاسلامية انطلاقا من تدبر النصين المؤسسين للاسلام: القرآن الكريم والسنة المطهرة، وانطلاقا من تأسيس الاصطلاح حول معاني الالفاظ التي يتكون منها النصان المؤسسان، ولا غرابة أن تبرز المصطلحات الفقهية، لتحديد الحقيقة الشرعية بصورة دقيقة وتلقائية، وأن تتفجر داخل النصين المؤسسين المحددين للأوامر والنواهي، الضابطين لمنهج السماء الى الارض، كما لا غرابة أن يكون علماء الكلام من أوائل المهتمين بتأسيس المصطلح في الفكر العربي الاسلامي، وأن ترى معاني الالفاظ تأخذ مسارات جديدة، وتمتصن دلالات جديدة، وترى المصطلحات تتوالد وتتكاثر داخل حقول الثقافة العربية الاسلامية.

ب- الظروف التي ساهمت في نشأة

المصطلحات وتطورها في تاريخ الاسلام؟

(١) حضارة الاسلام تقوم على قطبين: الدين واللغة ولا تدرك حقيقة الدين الا بمعرفة هذه اللغة فكانت الحقيقة الشرعية كامنة في النص، والمسلمون خرجوا الى الدنيا يحملون في ركابهم كتاب الله يريدون أن تدين به الارض.

(٢) دخل الاسلام في حوار حضاري مع

نزل القرآن بلسان عربي مبين، فأنيط الاعجاز بلغة القرآن، وأصبح الخطاب اللغوي في النص القرآني، دليل النبوة في الاسلام، ومحط اهتمام المسلمين على اختلاف ثقافتهم واتجاهاتهم.

وينزل القرآن وترجمة ألفاظه ومعانيه سلوكا انسانيا حضاريا دخلت الفاظ اللسان العربي في تجارب ومتابعات ودراسات ومقارنات. فقد تجددت الفاظ هذا اللسان، واتخذت لها احياء جديدة، واصبح لبعضها دلالات مغايرة.

وتقرر أن شرع الله يدرك من خلال النص القرآني، فانصرفت العقول الى لغة القرآن بحثا وتمحيصا ودراسة ومقارنة، قصد استجلاء معانيها، وإدراك مراد الله في تضاعيفها ومقاصدها. وبحثا عن معاني ألفاظ القرآن، تطورت الثقافة العربية الاسلامية واخذ الفكر الاسلامي أبعاده في التاريخ الثقافي. وأضحى الدخول الى رحاب النص القرآني لا يتحقق الا بفقهِ العربية واساليبها في التعبير، وبحثا عن معاني الفاظ القرآن، نشأ الاهتمام بتحديد دلالات الالفاظ وضبطها قصد استنباط الحكم الشرعي من خلال استعمالاتها

ويدل على أن هذا الاسم أحدث في الاسلام، انهم في الجاهلية لم يكونوا يعلمون أن ناسا يسلمون وقد أدركوا الجاهلية، ولا كانوا يعلمون ان الاسلام يكون... ومن المحدث المشتق، اسم منافق لمن راحى بالاسلام واستسر بالكفر، أخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والداماء [١].

وأشير هنا الى نص آخر للجاحظ في البيان والتبيين يفيد في التاريخ للمصطلح في الثقافة العربية الاسلامية. فقد ورد في صحيفة بشر بن المعتمر أن المتكلمين قد تخيروا لمعانيهم ألفاظا، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء، وهم اصطالحوا على تسمية مالم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف... ولذلك قالوا العرض والجور، وأيس وليس... وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد، وقصار الارجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الاعاريض بتلك الالقاب، وتلك الاوزان بتلك الاسماء، كما ذكر الطويل، والبسيط، والمديد... وكما ذكر الاوتاد والاسباب والخرم والزخاف.

وكما سمي النحويون، فذكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم [٢].

ب- النموذج الثاني:

رجعت فيه الى «كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية» للشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (٣٢٢هـ) وهو أول كتاب في

بقايا الديانات والملل والنحل، وامتمدت الفتوحات الاسلامية وانهارت الامبراطوريات القديمة، وبدأ التفاعل مع ثقافات الشعوب التي دخلت تحت لواء الاسلام.

(٣) انتقال الثقافة العربية الاسلامية من طور الشفاهية الى طور التدوين، اقتضى جمع الالفاظ وتحديد مدلولاتها وتتبع استعمالاتها في القرآن والحديث والشعر القديم.

(٤) وتبعاً للخلافات الداخلية بين المسلمين، والصدام مع عقائد الحاقدين على الاسلام، وتبعاً لما طرحه هؤلاء من أسئلة على النص القرآني؛ تعددت أوجه الاختلاف وتباينت الآراء، وأصبحت الحاجة تدعو الى تحديد المصطلحات في الجدل والمناظرات، بل دعت الحاجة الى الاستعانة بالمنطق لضبط العمليات التي يقوم بها العقل.

وعموماً، يمكن القول إن مرحلة التدوين (وتمتد من سنة ١٥٠ الى ٢٥٠هـ) قد شهدت ولادة المصطلحات في جميع الحقول المعرفية داخل حضارة الاسلام.

ثالثاً: نماذج تؤرخ لنشأة المصطلح:

أ- النموذج الأول:

حديث الجاحظ (٢٥٥هـ) عما طرأ على الالفاظ من تحول بظهور الإسلام، مشيراً الى ما استحدث من الفاظ جديدة. فقد لاحظ أن الناس قد تركوا الفاظ كثيرة كانت مستعملة في الجاهلية واستحدثوا الفاظاً جديدة. يقول الجاحظ في كتاب الحيوان: «وأسماء حدثت ولم تكن، وإنما أشتقت لهم من أسماء متقدمة، على التشبيه، مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والاسلام مخضرم...»

**** في القرن الثالث الهجري اتضحت معالم المصطلحات في جميع حقول المعرفة الإسلامية . ** اختلاف الاصطلاحات أضر بالتعليم حسب رأي ابن خلدون . ** الثقافة العربية الحديثة تغلبت على قضية المصطلحات .**

والتشابه واضح بين الكتابين في هذا الجانب .

ج - النموذج الثالث:

ظهور معجمين للمصطلحات الفلسفية في التراث العربي ... المعجم الأول لجابر بن حيان (حوالي ٢٠٠هـ) ويتمثل في رسالته الحدود، وقد عالج فيها خمسة وأربعين مصطلحاً، وجاء الكندي الفيلسوف (٢٥٢هـ) ووضع رسالته الحدود والرسم، وقد حدد فيها ١٠٩ من المصطلحات الفلسفية منها ٩٥ مصطلحاً لم يذكرها جابر بن حيان . وقد أعاد نشر الرسالتين د . عبد الأمير الاعسم في كتابه «المصطلح الفلسفي عند العرب، في بغداد ضمن منشورات الفكر العربي، والرسالتان معا تقدمان نموذجين للمحاولات الأولى في الثقافة العربية لتحديد دلالات المصطلحات الفلسفية .

د - النموذج الرابع:

وفي مجال البلاغة نجد عبد الله بن المعتز (٢٩٦هـ) يقول في كتابه البديع: ولعل بعض من قصر عن السبق الى تأليف هذا الكتاب،

العربية عالج دلالة الالفاظ وتطورها وأول مرجع يتضمن الاسماء العربية التي نطق بها القرآن الكريم، والاسماء التي اصطلح عليها المسلمون بمذلولات حديثة ومعان لم تكن تعرفها قبل البعثة المحمدية . وكان هدف الرازي وضع المصطلحات الاسلامية حتى لا تقع خلافات بين أهل الملل والنحل ولا بين الفقهاء . وسماه الزينة ليتزين به المثقف في المحافل العلمية . يقول ابو حاتم الرازي في بداية كتابه: «ألفناه من ألفاظ العلماء وما جاء عن أهل المعرفة بال لغة واصحاب الحديث والمعاني واحتجنا فيه بشعر الشعراء المشهورين الذين يحتج بشعرهم في غريب القرآن وغريب الحديث . وفيما يوجد له ذكر في الشريعة من الاسماء وما في الفرائض والسنن والالفاظ النادرة» [٣] .

وهكذا جمع ابو حاتم من المؤلفات العربية المصطلحات المستعملة في المجتمع الاسلامي، وشأن ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في كتابه «تفسير غريب القرآن» عني ابو حاتم بشرح اسماء الله الحسنى وذكر اشتقاقها،

معترك الثقافة العربية الإسلامية ونبعت بتلقائية عن طريق الاشتقاق، والوضع والتجوز والتوليد والقياس وغيرها من الوسائل. فكانت الذات العربية تتحرك بادواتها، وتضع اللبنة الاصطلاحية لبناء مناهجها وتصوراتها، فاستطاعت الامة أن تبني معمارا فكريا شامخا، وأن تخضع المعارف القديمة لتصوراتها، وأن تجعل لغتها قادرة على استيعابها وتحملها، بل أن تجعل هذه اللغة هي الاداة الحاملة للمعرفة الانسانية في ذلك الزمان دون سواها.

رابعاً: اشارة الى موقف ابن خلدون من

المصطلحات

منذ نهاية القرن الثامن الهجري أحس ابن خلدون (٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) بأثر اختلاف الاصطلاحات في التعليم، فقد عرض في الباب السادس من مقدمته لتاريخ العلوم والفنون المعروفة في عصره، وعالج تاريخ التربية والتعليم في المشرق والمغرب، منبها الى الطرق التي ينبغي اتباعها في تلقي العلم، وقد لاحظ أن مما أضر بالتعليم في زمانه، اختلاف الاصطلاحات.

يقول ابن خلدون في «فصل في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة في التحصيل»: اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلوم والوقوف على غايات كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك. ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها [٦].

ويكشف ابن خلدون عن خطورة اختلاف الاصطلاحات في العلم ويدعو الى اعتبارها

ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته، فيسمى فنا من فنون البديع بغير ما سميناه به... وليس من كتاب الا وهذا ممكن فيه لمن أراد [٤].

وجاء قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) ليقول في كتابه الشعر: «ما كنت آخذاً في استنباط معنى لم يسبق اليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها، وقد فعلت ذلك والأسماء لا منازعة فيها اذ كانت علامات؛ فإن قنع بما وضعته، وإلا فليخترع لها كل من أبي ما وضعته منها ما احب، فليس ينزع في ذلك [٥].

ويمكن القول إن المصطلحات في جميع حقول المعرفة الإسلامية، قد بدأت تتبلور وتتضح معالمها في القرن الهجري الثالث، فقد رسخ الفقه الإسلامي وتحدت مصطلحاته، واتضحت مناهج المتكلمين وتوطدت مصطلحات النحاة والعروبيين، وهو عصر ازدهرت فيه حركة الترجمة، وبدأت فيه المصطلحات الفلسفية، تتوالد وتتكاثر، كما ازدهر مصطلح علم الحديث، ومصطلحات علوم القرآن ومصطلحات علوم البلاغة والنقد.

واستطاع الفكر العربي أن يؤسس مصطلحاته في جميع حقول المعرفة، ويحقق حولها الاجماع والدقة والوضوح وضبط عملية التفكير؛ بحيث تصبح الالفاظ تحمل دلالات جديدة، تؤدي تصورات ذهنية ومفاهيم مجردة وتساعد على تطوير المعرفة وضبط المنهج ونقد المعرفة ومراجعتها. والخلاصة أن المصطلحات نشأت في

**** الثقافات الوافدة في هذا العصر أظهرت اشكال المصطلح في العالم العربي. ** غاية المصطلح ضبط عمليات التفكير ***

آليات تصطنع لتحقيق الغايات المرجوة من المعارف فلكل علم اصطلاحاته، النابعة من طبيعته، وباختلاف العلوم والصناعات تختلف الاصطلاحات والمصطلحات في رأي ابن خلدون - ليست من العلم، انما هي أدوات لتقريب العلم وتوصيله، ويرى أن المتعلم يتقلب على المصطلحات بالآخذ عن عدد وأفر من المشايخ حتى يتمكن من ضبط هذه المصطلحات. يقول ابن خلدون:

«والاصطلاحات في تعليم العلوم مغلطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم... فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم منها، ويعلم أنها تعليم وطرق توصيل... ويصح معارفه ويميزها عن سواها» [٧].

فماذا عن مسألة المصطلحات في الثقافة العربية المعاصرة؟

خامساً: العناية بالمصطلحات في العصر الحديث:

فتكاثرت المصطلحات، وقامت الجامعات العلمية واللغوية والمؤسسات التعليمية والجهود الفردية بجهود رائدة حاولت ربط ماضي الأمة بحاضرها، وإلى نهاية خمسينيات القرن العشرين لم يحس المثقف العربي بأزمة التواصل مع المصطلحات. ولم يجد المثقفون العرب عتبا في تبليغ آرائهم ومشاعرهم، ولم تقف المصطلحات حجر عثرة في سبيلهم. لقد دخل العالم العربي إلى معترك العصور الحديثة، وكان لابد أن يصطدم بمصطلحات الغرب الحديث ويحس بوطأة التخلف، فيسعى إلى النهوض ومواكبة العصر، من هنا أقيمت الجامعات العلمية واللغوية واتسعت حركة الترجمة، وزاد الاقبال على تعلم اللغات، ويتطور المعارف والتخصصات، ازداد الاهتمام باللغات ويتطور دلالات الالفاظ والتدقيق في ضبط المصطلحات.

حدث صدام بين اللغة العربية واللغات الأجنبية في العصور الحديثة وانطلقت مدرسة اللسان في مصر في نهاية عشرينيات القرن التاسع عشر، وكأنتها تؤسس بيتا جديدا للحكمة، وبالرغم من تكالب الحركات الاستعمارية على العالم

الدراسات الحديثة بأنواعها، وترجمت أعمال كثيرة إلى اللغة العربية، وتم تعريب المواد العلمية في بعض الجامعات العربية منذ عشرات السنين، وبالرغم من جودة بعض العلوم الانسانية في اللغة العربية، فإن القاريء العربي لم تقف المصطلحات حاجزا بينه وبينها .

ماداماً: أزمة المصطلح:

مع نهاية الخمسينيات، وخروج أغلب الدول العربية من ربة الاستعمار ودخول الذات العربية في تجربة جديدة يطبعها التقني بالايديولوجيات، والتساقط في الحداثات، والحيرة في المواقف والاختيارات، والثوبان في الشععارات، ومع الرغبة في استجلاب أنماط التنمية ومواكبة ايقاعات العصر، وفي ضوء التفاعلات الثقافية بين الغرب والشرق، ويسر التواصل بين الثقافات، تعددت الاجتهادات في ترجمة أدبيات الغرب، وطفط المصطلحات الاجنبية فاصبحت تشكل قضية رئيسية في العلوم الانسانية، وخاصة في اللسانيات والنقد الأدبي .

هناك طفرة في العلوم الانسانية في الغرب، واجتهادات الأوربيين تنوعت باختلاف الاصول المعرفية والخلفيات الفكرية، وتهافت اقلام بعض التراجمة العرب على أعمال بعض الاوربيين فنشروا فوضى الترجمة، وانتقلت آثار تلك الفوضى الى مجال التأليف، فتفاقم إشكال المصطلح في العالم العربي، وعند اصحاب الداتاة خاصة .

وباختلاف الأصول الأوربية للمصطلحات واختلاف التكوين لدى المثقفين العرب بتنوع

وقد افتقد الدارسون العرب والمستشرقون معجماً تاريخياً يمكنهم من تتبع الالفاظ العربية وتطورها في العصور المختلفة وترتيبها ترتيباً تاريخياً . وقد رجح ابراهيم أنيس أن يكون السر في انصراف أصحاب المعاجم عن هذا الترتيب التاريخي لدلالة الالفاظ العربية الى انهم نظروا الى كل عصور الاحتجاج في اللغة على أنها عصر واحد، وأنه يكفي في اللفظ أن يكون عربياً صحيحاً، ليستحق التكوين في المعاجم ومن هنا أرجع مشكلة الترادف والاشتراك اللفظي الى التطور التاريخي الذي عرفته الالفاظ[٨] .

وقد حاول المستشرق الالماني فيشر

Auguste Fischer (١٨٦٥ -

١٩٤٩م) أن يضع معجماً تاريخياً لالفاظ العربية، وأعلن عن مشروعه هذا في مؤتمر الفيلولوجيين الالمان الذي عقد في بازل سنة ١٩٠٧ . وبدأ في وضع جذاذات المعجم سنة ١٩١٢، وبلغ عدد الجذاذات حتى سنة ١٩١٨ حوالي اثنتي عشر الف جذاذة وحين عين عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة ١٩٣٢ استأنف مشروعه بحماس، وقامت الحرب سنة ١٩٣٩، وألقي تعيينه في عضوية المجمع في ١٩٤٥ . ومات فيشر سنة ١٩٤٩ ويقيت الجذاذات أمانة لدى مجمع اللغة العربية[٩] .

ويمكن القول إجمالاً إن الثقافة العربية الحديثة قد تغلبت على قضية المصطلحات، واجتهدت في وضعها، وأحدثت تراكمات هائلة في المجالات المعرفية والفنية ونشأت

**** بالأمس تبلورت المصطلحات وتألفت .. واليوم تعددت وجفت وتاهت .. ** كل الحضارات القديمة رسخت وجودها الفكري حين حددت مصطلحاتها .**

الحقائق المنشودة .

إن المثقف الذي يلهث وراء الآخرين، ويستلذ التيه في متاهات الآخرين، ولا يندرج نصوصاً في مجالات المعرفة لا يمكن أن ينتج مصطلحات ولا يؤسس مصطلحاً من لا يؤسس معرفة. بالأمس تبلورت المصطلحات وتألفت، واليوم تعددت وجفت وتاهت .

الهوامش:

- (١) الحيوان: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ١/ ٢٣٠ - ٢٣١ ط ٢ (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٥).
- (٢) البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ١/ ١٢٩ - ١٤٠ ط ٤ (بيروت، د.ت.).
- (٣) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبو حاتم الرازي، تحقيق: حسين بن فيض الله الحمداني ١/ ٥٦ ط ٢ (مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٧).
- (٤) كتاب البليغ: عبد الله بن الحقن، تحقيق: كراتشولسكي ٢ - ٣ ط ٢ (بيروت، دار السيرة ١٩٨٢).
- (٥) نقد الطغر: قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى: ٢٣ - ٢٤ ط ٢ (القاهرة مكتبة الفخايمي ١٩٧٨).
- (٦) مقامة ابن خلدون: تحقيق علي عبد الواحد وافي ٣/ ١٢٤٠ ط ٢ (القاهرة دار النهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩).
- (٧) نفسه ٣/ ١٢٥٥.
- (٨) تصوير د. أبراهيم انيس كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ص ١٧.
- (٩) موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي ٢٨٤ - ٢٨٥ ط ٢ (بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٩).
- (١٠) الحيوان: الجاحظ ١/ ٢٧٦.

مرجعياتهم، وغياب المؤسسات المشرفة على وضع المصطلحات، والسهر على متابعتها وتطبيقها: استشرت الفوضى .

ومازلنا نبحت عن شرائط الترجمان كما حدثها الجاحظ (٢٥٥هـ) في القرن الهجري الثالث بقوله: «ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول والمنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية» [١٠] .

اقرأ ما يكتبه بعض المثقفين عن مفهوم الصدائة فلن تزداد بها الا جهلاً! اذ تجد وجهات النظر الغربية تتعدد، تلتقى، تتداخل وتتناهين، وتجد المعجم يقدم لك مفاهيم عدة ويفرّقك في الانساق والمناهج وأسماء الاعلام الغربية، واقرأ ما كتب حول الشعرية فانك ستدخل في هلوسات لا حد لها، وتتشعب أمامك المفاهيم .

الخلاصة:

إن الغاية من وضع المصطلح هي ضبط عمليات التفكير، ايجاد علامات تؤسس في مجموعها رؤية منهجية، بها ينتصر الانسان على الزمن، ويطور معرفته ويقترب من



الإقليمية في النقد والدرس

بقلم:

أ. د. إبراهيم

السامرائي

الارن- جمع اللغة العربية

أقول: قلت في إحدى مقالاتي: لقد عَزَّ على التونسيين أن يكون أحمد شوقي «أمير الشعراء» وكانهم نطقوا بلسان المغاربة عامة، وأرادوا أن يعيدوا

مقالة «الأنصار» للمهاجرين: «منّا أمير ومنكم أمير».

قلت: لو أن صاحبهم «خزّنه دار» من فحولة الشعراء لكان لهم أن يشمروا في هذا، ولكان لنا نحن المشاركة أن نقول: إن لدولة الشعر أميرين. ولكننا لم نجد فليس «خزّنه دار» إلا نظاماً يجتهد في توفير قافيته فتأتيه نافرة.

وقلت في مقالة أخرى: إن إخواننا التونسيين ومعهم المغاربة لا يعترفون أن لبلدان المشرق مسيرة ثقافية، وأن من المشاركة المتقدمين في الطب والهندسة وسائر العلوم، وأنهم أحرزوا على درجاتهم العلمية من أعلا جامعات الغرب. إنهم يرون الطبيب أو المهندس التونسي متقدماً عليهم ذلك أن كليهما قد أخذ العلم من معدنه وهو فرنسا. لقد عجبت أن يكون ذلك لهم، وهو مما يقرّه الفرنسيون أنفسهم، ولكن أصحّابنا قد ذهبوا فيما ذهبوا إليه.

أقول: أعود إلى مقالاتي التي نشرتها في المجلة التونسية منذ أكثر من ثلاثين عاماً وقد عرضت لسائر ما اشتمل عليه كتاب زين العابدين السنوسي. وكان مقالتي لم ترض المتأدبين التوانسة فتحذثوا مبتغيين أو غاضبين في

قبل أن أبدأ كلامي في كتاب تونسسي وسمه صاحبه الأستاذ البشير [المجذوب] بـ «الظرف بالعراق في العصر العباسي» [١] أود أن أعرض لتاريخ قديم يتصل بي في تونس قبل أكثر من ثلاثين عاماً.

كان ذلك في سنة ١٩٦٢م، وكنت فيها مدرسا في كلية الآداب والعلوم الانسانية، وإنّي لأذكر أنني قضيت عاماً فلم يكن لي أن قابلت عميداً أو رأيت أحداً من العاملين في الدرس في الكلية، وكثير منهم كنت أعرفهم طلاباً في فرنسا معي في سنوات العقد الخامس من هذا القرن.

غير أنني عرفت الطيبين في تونس ومنهم الاستاذ الجليل حسن حسني عبد الوهاب - رحمه الله - والاستاذ عثمان الكعاك وكان مديراً لدار الكتب التونسية في سوق العطارين وغيرهم من أهل العلم الذين لم ينبزوا باللقاب الكاذبة كالذكور فلان.

وأذكر أنني عرضت في تونس للشعراء التونسيين أصحاب الموزون المقفى ممن يضمهم كتاب زين العابدين السنوسي الذي وسمه بـ «تاريخ الأدب التونسي في القرن الرابع عشر» [٢] لقد وجدت أن عامة هؤلاء الشعراء التونسيين «نظامين» وليسوا شعراء وفيهم من لا يتقن أنوات النظم في الحفاظ على الأوزان العروضية ذلك أن في نظم بعضهم من عيوب الزحاف وعيوب القافية شيئاً، فكيف يكونون شعراء؟

وأذكر أن الكتاب بدأ بترجمة للشاعر «خزّنه دار» مع نماذج من شعره، وقد قيل فيه مؤلف الكتاب: إنه «أمير شعراء المغرب».

مجالسهم الخاصة.

ثم أتى الى كتاب «البشير المجلوب» وهو «الظرف بالعراق في العصر العباسي» فأقول: كأن السيد المجلوب قد أعجب بكتابه فهو مزهؤ به وبما كان له من مصنفات أخرى هي خمسة كتب ذكر أن شيئاً حاز على جوائز الدولة التشجيعية. وله أن يزهي، وللتناشر أن يشير إلى هذا الزهو، فكل فتاة بأنبيها معجبة.

أقول: إن المؤلف ومعه كثير من المتأدبين لم يستكملوا أدواتهم للوصول إلى الكتابة.

إن عنوان الكتاب هو الظرف بالعراق. . . أقول: إن «الباء» في قوله: «بالعراق» كان ينبغي أن تكون «في» لأن هذه ألصق بالظرفية ولا سيما المكانية، وإن جاء في استعمال الباء إفادة الظرفية مع معاني الباء الكثيرة.

ولو أن المؤلف قال: «الظرف العراقي في العصر العباسي» لكان أحسن، ولست أذهب إلى هذا ابتغاء السجع والتناسب، إن «الظرف» وإن دل على جملة مفيدة من المواد هي الحسن والأدب والخلق القويم ومعرفة الشراب والمنادمة وأشتات أخرى، هو في أصله «الوعاء».

أقول: وإلى هذا المعنى أشار أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فقال: «الظريف مشتق من الظرف وهو «الوعاء»، كأنه جعل الظريف وعاء للأدب ومكارم الأخلاق. . .» [٢].

أقول: بدأ المؤلف في «مقدمة» فقال: حول مفهوم الظرف فكان له ست صفحات، ثم تحول إلى «التمهيد» فذهب إلى: «أن الظرف الحجازي لا يعدو أن يكون منزعاً من منازع النفس يقسم بكثير من العقوبة. . . نظرة إلى الحياة وموقفاً منها أقرب إلى البساطة والسذاجة» [٤].

أقول: انتهى من الكلام على الظرف الحجازي بهذه النذرة اليسيرة، ثم تحول منها إلى الظرف العراقي، وكان ينبغي أن يبسط القول في العوامل التي اقتضت هذا التحول، كأن ينبغي له أن يتوسع في التبدل الحضاري مشيراً إلى أن بغداد في القرنين الثالث والرابع أصبحت حاضرة

ثم انبرى أحدهم في سورة غضبه فنشر مقالة افتقرت إلى بعض الخلق الكريم في مجلة الفكر التونسية، وصاحبها ممن أعرف وهو محمد مزالي في رقة حاشيته وأدبه، ولكنه أكره على أن ينشر مقالة تونسي هو محمد الهادي العامري، ولا أندري أحي هو اليوم أم راحل؟ فإن كان حياً فانا أدعوه لا عليه وأقول: غفر الله له، وإن رحل عنا فإني أرجو له الرحمة.

قال هذا العامري: ماذا يريد هذا الوارش منا؟ ثم بدا له أن يذهب بعيداً عن العلم ولم يبق له إلا أن يقول لي: «لعلك الله».

قرأت ما كتب وأدركت أن دنيا العرب ضيقة، وأن العربي محاصر في بلده فكيف يكون حاله في بلد آخر فنحسبه «شقيقاً» وأن البلدان العربية هي بلدان «شقيقة».

قلت: كيف لي ألا أومن بـ «الإقليمية» الضيقة؟ وأعود إلى شيء يتصل بتونس في تلك الحقبة التي عفا عليها الزمن، فأتذكر أنني كنت في كلية الآداب في اليوم الأول من السنة الدراسية، وكنت أتجول في الممرات وأقرأ ما في لوح الإعلانات وما كان معلقاً هنا وهناك فهالني أن رأيت أن كل ما كان مما علّق باللغة الفرنسية وأنا في كلية آداب العربية في بلد عربي!!

وأذكر أنني يوماً رأيت عميد الكلية اتفاقاً فكان له فيما قال: ما الذي وجدت في جولتك، فلم يكن مني إلا أن قلت قول أبي الطيب:

ولكن الفتى العربي فيها

غريب الوجه واليد واللسان

وكأنه أدرك ولم يرض وابتأس، فقال: كيف كان ذلك؟ فقلت: إن كل ما في هذه الكلية باللغة الفرنسية، وكأني في إحدى حواضر فرنسا، وأضفت: أن مسجل الكلية يعلق ورقة فيها أسماء طلاب تونسيين يراد منهم استكمال ما ينقصهم، ولكنه كتب أسماء الطلاب بالحرف اللاتيني، ألم يكن في هذا تفريط؟

من «التكريس» أي وضع الشيء على الشيء، ومنه جاءت «الكراصة».

إن «التكريس» في الاستعمال الجديد من العربية النصرانية وهي منقولة من السريانية و«التكريس» شيء من رسوم النصارى في الكنيسة. فهل يجوز للسيد المجدوب أو غيره أن يستعمل هذا في مادة تاريخية تتصل بالعصر العباسي.

وليس للمؤلف أن يجتريء فينعت قاضي القضاة في عصر المأمون وهو يحيى بن أكرم بـ «اللواط».

أقول: إن القدماء تحرّجوا في هذا ولم ينعته وإن شاع في أخباره أنه كان يستلطف الصبيان [٥]، ولكنه خبر يحتمل الصدق والكذب. أقول: هل له أن يجتريء في عصرنا فيزعّم أن الوزير فلاناً والرئيس فلاناً من أهل الرشوة وأنهم يرتكبون الحرام؟ على رسلك أخي الأستاذ البشير المجدوب.

الهرامش:

(١) الظرف بالعراق في العصر العباسي من منشورات

مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر في تونس.

(٢) تاريخ الأدب التونسي في القرن الرابع عشر من منشورات

مكتبة المنار في تونس.

(٣) لم يترك المؤلف «مصحح بن يزيد» ولمّا أنه «الميرد» صاحب

الكلام، وقوله هذا في كتابه الكامل، وكتاب الفاضل.

(٤) أقول: كان على المؤلف، وهو يدخل في هذا السياق الذي

يضرب في الأدب القديم يعرق من الأصالة أن يستعمل لغة

مناسبة لما هو فيه، ولا يستعمل ما هو جار في لغة صف

عصرنا، فليس من المناسب أن يستعمل «الطوية» و«البساطة»

و«السذاجة» كل هذا جديد ولا أقول خطأ، ولكن لكل مقام مقال.

إن «الطوية» أريد بها 'Naivite' و«البساطة» - Sim

'plieite' وهذه جديدة لأن «البسيط» هو «المبسوط» أي

الواسع، و«السذاجة» مصدر جديد من «ساذج» وهي كلمة معربة.

(٥) لقد قيل إن أحدهم قال:

مضى تصلح الدنيا ويصلح أهلها

وقاضي قضاة المسلمين يوماً

الدنيا». وكان طبعياً أن يترسخ المجتمع البغدادي بالرجال من أهل المعارف العالية ويكون من هذا أن عرفت بغداد أشتاتاً من غير العرب فكان لاجتماعهم وتعلمهم العربية وبراعتهم فيها واختلاطهم بالعرب ونقلهم ما كان لهم من عادات تتصل بالعلم والأدب والفن والسلوك إلى المجتمع البغدادي.

ثم أقول: لقد أباح المؤلف لنفسه أن يجعل مادته حديثة، وهي إن تكون كما أراد، ولم يستطع أن يحولها إلى هذا، لقد استعمل مصطلحات عصرنا كالديمقراطية والاستقرائية، والتحرر والانفتاح وغير هذا، وما كان له أن يجرد هذا الكلام من أصوله التاريخية القديمة ليرمي به في سياق آخر يختلف عن هذا كل الاختلاف.

وإني لأجتزئ بهذا القدر في عرضي لما ذهب فيه إخواننا في بلدان المغرب وهم يعرضون للتراث القديم، وألخص فأقول:

ليس لنا أن نستعمل العربية المعاصرة ونحن في حيز موضوع قديم كهذا الذي مضى فيه السيد المجدوب مع إقراري أن هذه العربية الجديدة صحيحة مع خروجها على شيء من نحو العربية وأبنيتها، وهي تصلح لما هو حديث كالموضوعات الجديدة في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية وغيرها. إن هذه اللغة الجديدة التي شاعت في الصحف أصولها في الأمم الأغلب أجنبية فرنسية ثم انكليزية في دلالة الكلمة وفي الاستعمالات والمجازات.

أقول: ليس لخطيب الجمعة مثلاً أن يقول في خطبته التي كان ينبغي أن تخلص إلى لغة إسلامية فيها قرآن وحديث وقول آخر مأثور: «إن الأكثرية الساحقة من المسلمين».

إن «الأكثرية الساحقة» عبارة نقلها التراجمة العرب، وكثير منهم نصارى، إلى العربية وهي فرنسية (La Majorite e' crasnte) وليس للمؤلف وغيره أن يستعمل الفعل «كرس» بمعنى «خصص» لأن التكريس في العربية شيء يقرب

أيام العمر

بيديه غضن جبهته
بظافر عمق تخليده
لكن مازال بداخله
خفاق يرسل تغريده
والنسر يحلق منطلقاً
ماض بخطاه المشهودة
لا الدهر الجافي يرعبه
أو يخشى الليل وتهيبه
حتى لو أقصى أحباباً
كانوا في العمر كانشوده
مازالوا كل أمانيه
بل نور القلب وتجليده
وله من نكراهم أمل
وشموس فيه مولوده
لا الفرقة تطفئ جنوتها
أو تقصي الدنيا الموعودة

سيعود النسر لدنياه
ويقال مناه المقصوده
وستزهر أشواق ظمئى
كانت كالنار الموقوده
وستشرق أيام أحلى
وتهل ليال محموده
والعمر الفاني تحييه
همم في الحاضر موجوده
كالفكر المبدع إذ يفنى
في الدنيا يكتب تخليده

أيام العمر المفقودة
من عمري ليست معلومة
أيام ما كانت فيها
لنباي لعيني مشهودة
ولياي الأشواق الحرى
والظلمة حولي مملودة
لم أشهد فيها أحلاماً
طاقت بجفوني المكبودة
أيام تمضي في هم
وتمر الليلة مسهودة
والدنيا حولي سرداب
سقف وجوانب مسهودة
أحزاني فيها غابات
أفراحي فيها موعودة
والعمر يضيع بلا ثمن
والروح بقيد مصفودة
لم تشهد إلا حرماناً
أو تملك إلا تنهيدة
صوتي لا يخرج من صدي
أو يسمع غيري تريده
حسرات تبعثها عندي
أمال كانت منشودة
وأحاول منها إفلاقاً
فالنسر يقاوم تقييده
ويطير إلى رحب الدنيا
ويواصل فيها تصعيده
ماض والليل يعانده
والدهر تعمّد تجعيده



بقلم:

د. محمد علي

البار

- مستشار الطب

الإسلامي

- عضو مجمع

الفقه الإسلامي

- أخصائي

الأمراض الباطنة

- جدة -

الموت بين الأكليني والشرعي؟

في أيامنا هذه كثير الحديث عن تعريف الموت. ذلك لأن الحياة ومعنايات العناية المركزة المبهجة يحسم أمر مرضي الحساسية المستقبلية قد أصبحت وحماً جليداً لولا الرأى جائلهم في حالة بين جائلين كما يتناولون بين (الحياة والموت) فلا طرس يلتقم بحياته ولا هو ميت.

وهذا الحديث يحسب من علامات الاستفهام حول حقيقة الموت. هل هو موت الدماغ أم موت القلب، أم هو موت معاً أم هو شيء آخر؟ الكائنات متعددة بشكل هذه الأسئلة الفقهية المعلقة من قبل الإسلام والمكتبة بر محمد علي البار في الرجاء تحسبها العلم في الطب فهو أيضاً محسب في مجمع الفقه الإسلامي في جدة. ومستشار الطب الإسلامي ولا يشاء كتاب (الحياة والموت) في مجال الذي أمثبات الفقه (الحياة والموت) وجانب العلم.

التمثيل

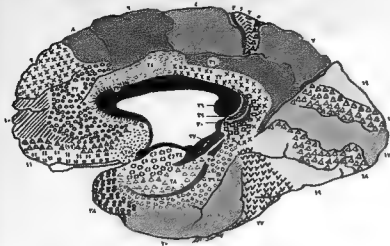
الموت والحياة، وبين الكائن الحي والجماد أمر يدرك الإنسان بنظرته كما يدرك بمعارفه، فالكائن الحي يتنفس ويتغذى وينمو ويتكاثر ويتحرك... ثم تختلف بعد ذلك طرق التنفس والغذاء والنمو والتكاثر والحركة بأشكالها المتعددة المتباينة التي لا تكاد تعد ولا تحصى. وأصعب تلك الكائنات

لكي نبحث هذا الموضوع لابد أولاً من تعريف الموت عند الفقهاء والأطباء ومعرفة علاماته عند منهما، ثم توضيح تلك الفروق بينهما.

تعريف الموت (بصورة عامة):

إن تعريف الموت مثل تعريف الحياة أمر تكتنفه كثير من الصعوبات، رغم أن العلامات الفارقة بين

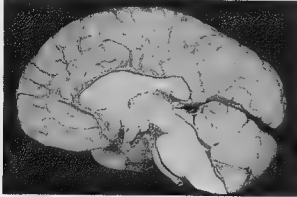
المخ - السطح الأتسي



الأرقام تدل على مناطق دماغ مختلفة . فكل منطقة وظيفتها
محددة للمخ .
للخلة ٤ : منطقة الحركية .
للخلة ٦ : ٨ : ما قبل منطقة الحركية .
للخلة ١٣ : منطقة الإحساس .
للخلة ١٧ : ١٨ : ١٩ : منطقة الإحساس .

تحديداً هي الفيروسات
فهي كالجماد لا تتحرك
ولا تنمو ولا تتنفس ولا
تتغذى خارج الكائنات
الحية بل تتطور مثل
بعض الجمادات، فإذا ما
دخلت الى جسم الكائن
الحى تحكمت في سرّ
السفر فيه (جينوم الخلية
الموجود في الدنا DNA)
، وجعلته عبداً لمشيئتها،
لا ينقسم الا حسب
أوامرها، ولولا أن الله
سبحانه وتعالى يهب
الأجسام الحية القدرة

على مقاومة هذا الغزو الفيروسي لأبدات
الفيروسات جميع الكائنات الحية ابتداء من
البكتيريا وانتهاء بالإنسان . . ومع هذا كله
فالفيروس داخل الخلايا الحية لا يتنفس ولا يتغذى
ولا يتحرك ولا ينمو بل كل ما في الأمر أنه يتحكم
في الخلايا فيجعلها تنقسم لتصبح فيروسات
جديدة من جنسه بدلا من أن تنقسم الى خلاياها
المعتادة .



قطع جانبي لماغ الانسان بالتسامه الرئيسية

وفي جسم الكائن الحي المتعدد الخلايا مثل
الانسان أو الحيوان أو النبات تموت ملايين الملايين
من الخلايا في كل لحظة وأن، ويخلق الله بدلا عنها
ملايين مثله . ويبقى الكائن الحي على قيد الحياة
ما دامت عملية البدء والاعادة مستمرة . قال تعالى
(إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده) (يونس/٤) وقال تعالى
(قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده . قل
الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون)
(يونس/٣٤) .

ولقد صدق الامام الغزالي حين قال: نعم لا
يمكن كشف الغطاء عن كنه الموت إذ لا يعرف

الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة معرفة
حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها . ولم
يؤذن لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يتكلم
فيها ولا أن يزيد على أن يقول (الروح من أمر
ربي)، فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف سرّ
الروح وإن اطلع عليه، وإنما الماتون فيه ذكر حال
الروح بعد الموت» [١] .

الموت عند المسلمين

(التعريف الشرعي للموت):

إن تعريف الموت عند المسلمين لا يختلف عن



الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها .
وأعني بالزواج المعنوي الذي يدرك من
الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات
الأفراح . ومهما بطل تصرفها في
الأعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل
منها الأفراح والغموم، ولا بطل منها قبولها للآلام
واللذات والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم
والآلام واللذات، وذلك لا يموت أي لا ينعدم . ومعنى
الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن
أن يكون آلة له» [٣] .

قال الامام ابن تيمية: «قد استفاضت الأحاديث
عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بأن الأرواح
تُقْبِضُ وتُنْعَمُ وتُعَذَّبُ، ويقال لها: أخرجي أيتها
الروح الطيبة» [٤] .

ويقول الامام الطحاوي في عقيدته: «وؤمن بكل
الموت الموكل بقبض أرواح العالمين» قال الشارح:
«والصواب أن يقال موت النفوس هو مفارقتها
لأجسادها وخروجها منها» [٥] .

ويقول فضيلة الشيخ بكر أبو زيد رئيس مجمع
الفقه الاسلامي في بحثه القيم: «أجهزة الانعاش
وحقيقة الوفاة بين الفقهاء والاطباء»: «إن حقيقة
الوفاة هي مفارقة الروح للبدن . وأن حقيقة المفارقة
خلوص الأعضاء كلها عن الروح بحيث لا يبقى
جهاز من أجهزة البدن فيه صفة حياتية» [٦] .

ويقول الامام الغزالي في «سكرات الموت وشدة»
من كتاب «الاحياء»: «إن كل عضو لا روح فيه فلا
يحبس بالآلم، فإذا كان فيه الروح فالدرك للآلم هو
الروح، فمهما أصيب العضو جرح أو حريق سرى
الأثر الى الروح، فبقدر ما يسرى الى الروح
يتألم . . . والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح
فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من
أجزاء الروح المنتشر في أعماق الجبن الا وقد حلَّ
به الآلم، فلو أصابته شوكة فالآلم الذي يجده انما
يجرى في جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذي

تعريفه في مختلف الحضارات، الإنسانية
المختلفة والأديان التي عرفتها البشرية
التباينة . فقد اتفق المصريون القدماء
والبابليون والآشوريون واليونان والصينيون
والهنادكة واليهود والنصارى والمسلمون على أن
الموت هو مفارقة الروح الجسد . ثم اختلفوا بعد
ذلك اختلافات كثيرة في هذه الروح؟ وهل تعود الى
هذا الجسد أم تعود الى جسد آخر حيث يعتقد
اليونانيون والهنادكة والشنتو أن الروح الشريرة
تعود الى جسد حقير، وتظل في تلك الدورات حتى
تتطهر، وأن الروح الصالحة الخيرة تظل تنتقل في
الأجساد الخيرة حتى تصل مرحلة الزفانا، وهي
السعادة الأبدية المطلقة في الروح المتصلة بالأزل
والأبد .

والفهم الاسلامي للموت هو انتقال الروح من
الجسد الى ما أعد لها من نعيم أو عذاب، والروح
مخلوقة مربية، خلقها الله تعالى، ثم هي خالدة،
والمقصود بموتها مفارقتها الجسد .

هذا هو مفهوم جمهور علماء المسلمين للموت
وإن خالف فيه من خالف من المعتزلة وغيرهم . قال
الامام ابن القيم في كتابه الروح [٢]: «والصواب
أن يقال أن موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها
وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي
ذاتقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير
عدما محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار» .

وقال الامام الغزالي في الاحياء: «إن الموت
معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة
الجسد، إما مُعَذِّبَةٌ وإما مُنْعَمَةٌ . ومعنى مفارقتها
للجسد انقطاع تصرفها عنه بخروج الجسد عن
طاعتها فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى
إنها لتبسط باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين .
وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب، والقلب هنا عبارة عن
الروح . والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة . .
والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها، وكل

القيم: حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن الموت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب. أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج [١٠] الحديث.

أما الكفرة والعصاة المردة فإنه ينكل بهم، ويرون سوء مصيرهم عند الموت، وتضرب الملائكة وجوههم وأديبارهم. قال تعالى: [ولو ترى إذا الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون] {الانعام/ ٩٢} وقال تعالى: [ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأديبارهم] {الانفال/ ٥٠}. وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: «إذا كان الرجل السوء قال (أي الملك) أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، أخرجي زنمية وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها حتى تخرج» [١١].

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) توضح كيفية إخراج الملائكة لروح المؤمن وروح الكافر. وما في الأول من تيسير حتى تسيل مثل الماء من فم السقاء، وما في الثاني من تنكيل حتى تخرج كما يخرج السفوف المبلل من كومة من الصوف كما جاء في حديث البراء بن عازب وغيره الذي أخرجه ابن منده وذكره ابن القيم بطوله في كتاب الروح [١٢]. وقد استوفى ابن القيم في الروح ذكر الكثير من هذه الأحاديث (ص ٤٦ - ٥٠).

ويأتي الإسناد في إخراج الروح في بعض الآيات إلى الله سبحانه وتعالى مباشرة حيث الفاعل على الحقيقة هو الله ولا أحد سواه. قال تعالى [إله يتوفى الأنفس حين موتها] {الزمر/

أصابته الشوكة}. قالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجنوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل، ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا تسأل عن كربيه وألمه [١٣].

إخراج الروح:

وقد وكل الله سبحانه وتعالى ملائكة يقومون بإخراج الروح من البدن قال تعالى: [قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربيكم ترجعون] (السجدة/ ١١) وملك الموت الموكل بأرواح الأميين هو عزرائيل عليه السلام ويساعده في ذلك عدد غير معروف من الملائكة. قال تعالى: [إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم. قالوا فيم كنتم. قالوا كنا مستضعفين في الأرض. قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك متوآمهم جهنم وساءت مصيرا] {النساء/ ٩٧}. وقال تعالى [ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم] {الأنعام/ ٩٢}. ولو رأينا ذلك لرأينا أمرا مهولا مرعبا. وعلى العكس من ذلك تقوم الملائكة بتبشير المؤمنين الذين عملوا الصالحات وتسلم عليهم وتنزع أرواحهم نزعا رفيقا. قال تعالى: [الذين تتوفاهم الملائكة طبيين يقولون سلام عليكم] {النمل/ ٢٢}. ولا ينفي ذلك كرب السياق وآلام النزع فقد تألم خير الخلق وأكرمهم على الله سبحانه تعالى محمد (صلى الله عليه وسلم) وكرب في نزعه حتى قالت فاطمة رضى الله عنها «أكرب ابتاه» فقال لها: لا كرب على أبيك بعد اليوم [١٤]، ولكن ما يخفف عن المؤمن آلام النزع وكرب السياق ما يراه من البشائر عند قدوم الملائكة. قال تعالى [يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فإدخلي في عبادي وإدخلي جنتي] {الفجر/ ٢٧ - ٣٠} قال المفسرون يقال لها ذلك عند النزع وعند البعث [١٥]، وقال ابن



العظام ثم ينشؤها الله خلقاً آخر فينفخ فيها الروح [١٣].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في غير ما آية من القرآن الكريم هذه المراحل والاطوار التي يمر بها الجنين قبل أن تنفخ فيه الروح التي بها يصير الجسد إنساناً ٠٠ قال تعالى {ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً} (نوح/ ١٣، ١٤) ثم فصل هذه الاطوار فقال عز من قائل: {يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم. ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا} (الحج/ ٥).

حديث نفخ الروح:

وتضافرت الأحاديث الصحيحة على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد مرور الجنين بمراحل متتالية ابتداء من النطفة فالعلقة فالمضغة ثم ينفخ فيه الروح. أخرج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أخبرني الصادق المصطفى أن أحدهم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً. ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يبعث إليه ملك بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ووزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح.

وهناك اختلاف طفيف جداً في رواية مسلم عن رواية البخاري بل هناك اختلاف طفيف يسير في روايات البخاري نفسه (كتاب الأنبياء وكتاب القدر وكتاب التوحيد وكتاب بدء الخلق) وفي الأربعين النووية «إن أحدهم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح» وجمهور العلماء يجمعون على أن الروح لا تنفخ

(٤٢)، والله سبحانه وتعالى هو الفاعل لكل شيء في هذا الكون صغيره وكبيره. والملك مأمور بفعل ما أمره به ربه سبحانه وتعالى.

الروح وتأثيرها في البدن:

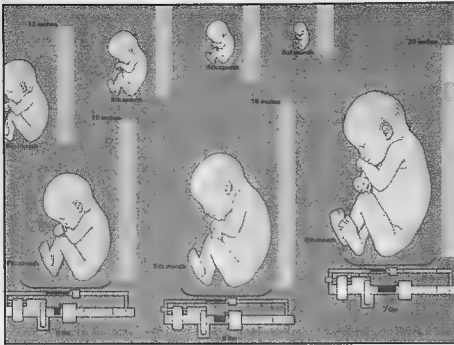
اتفق جمهور علماء أهل السنة على أن الروح هي المحركة للبدن وأنها هي المتصرفة فيه والموت هو مفارقة الروح للجسد وانقطاع تصرفها عنه بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات الروح كما يقول الامام الغزالي. والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء عن فعل الروح. والروح هي المدركة للعلوم وآلام الغموم وذات الأقرح، كما يقول الغزالي في الاحياء (سبق أن نقلنا قوله كاملاً).

والروح التي نفخها الله في آدم عليه السلام هي أمر علوي سماوي لا تتركه الأبصار ولم ينفخ الله الروح في آدم إلا بعد أن سواء جسداً من الطين. (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين).

الروح في الجنين:

وكذلك الروح في الجنين لا تنفخ فيه إلا بعد كمال تسوية الجسد. قال تعالى: {الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواء ونفخ فيه من روحه} (السجدة/ ٦ - ٨). وقال تعالى: {ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة. فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين} (المؤمنون/ ١٢ - ١٤).

قال المفسرون (ثم أنشأناه خلقاً آخر) أي نفخنا فيه الروح. وذلك لا يكون إلا بعد المرور بالتارات السبع تكون تراباً ثم تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاماً ثم تكون لحماً يكسو



ازدياد وزن وطول الجنين ابتداء من الشهر الثالث وحتى الشهر التاسع من الحمل

الا بعد مرور مائة وعشرين يوما منذ بدء الحمل (أي تكون الزيجوت أو اللقيحة أو النطفة الأمشاج) .. ويقولون إن حديث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم لا يعارض ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود لأنه لا ذكر لنفخ الروح في حديث حذيفة بن أسيد ونصه: «إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها

كان فيه حركة وإحساس أم لا؟ قيل: كان فيه حركة النمو والابتداء كالنبات ولم تكن حركة نموه واعتدائه بالارادة فلما نفخت (روحه) انضمت حركة حسيته وارادته الى حركة نموه واعتدائه» [١٤].

وقال الامام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وهو يتحدث عن أول الأعضاء تكونا في الجنين: «وقيل الكبد لأن منه النمو والابتداء الذي هو قوام البدن، رجحه بعضهم بأنه مقتضى النظام الطبيعي لأن النمو هو المطلوب أولا: ولا حاجة له حينئذ إلى حس ولا حركة ارادية لانه حينئذ بمنزلة النبات. وانما يكون له قوة الحس والارادة عند تعلق النفس به» [١٥].

والمفقت للنظر حقا أن يجعل هذان الامامان العظيمان نفخ الروح مرتبطا بالاحساس والارادة أي بالجهاز العصبي بل بالداغ. فإذا لم يكن هناك حس ولا إرادة فلا روح هناك، وإن كانت بعض الاعضاء بل كل الاعضاء تعمل.

ولذا فإن بعض الفقهاء اعتبر الجنين كالجماد أو ما هو أشبه بالجماد وأباح بعضهم الإجهاض حتى

وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها. ثم قال يارب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ريك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يارب رزقه فيقضي ريك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص!.

وقد قام العلماء الأجلاء من أمثال ابن القيم والنووي وابن حجر العسقلاني وغيرهم بمحاولة الجمع بين الحديثين وقد استعرضت ذلك كله في كتابي «خلق الانسان بين الطب والقرآن» وكتاب «الجنين المشوه: أسبابه وأحكامه» فليرجع اليهما من أراد التفاصيل.

تكوّن الدماغ وعمله

دليل على نفخ الروح:

والخلاصة أن الفقهاء مجمعون على أن الجنين لا يد أن يمر بمرحل متعددة قبل أن تنفخ فيه الروح وهي التي بها الارادة والفكر ويها يصير الانسان إنسانا.

قال الامام ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن: «فإن قيل الجنين قبل نفخ الروح فيه هل



التلقيح)، إذا ثبت وتأكد بتقرير لجنة طبية من الأطباء المختصين الثقات وبناء على الفحوص والوسائل المخبرية أن الجنين مشوه تشويها خطيرا غير قابل للعلاج، وأنه إذا بقي وولد في موعده ستكون حياته سيئة وآلاما عليه وعلى أهله فعندئذ يجوز إسقاطه بناء على طلب الوالدين».

والمجمع الفقهي الموقر لم يبيع إسقاطه الا لأنه لم تتفخ فيه الروح (الانسانية) بعد ولا حس ولا إرادة له... وحتى من اعترض من الفقهاء على ذلك قبل الاسقاط قبل الأربعين أخذوا بالأحوط ويحدث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم والذي ذكرناه قريبا... فهؤلاء جميعا أباحوا الاجهاض لأن الجنين لم تتفخ فيه الروح بعد. وإن كان الجنين قد مرّ بمراحل متعددة من الخلق وتعدى مرحلة النطفة الى العلقه فالمضغة فالعظام فاللحم يكسو العظام... وتصورت كثير من أعضائه وهي كلها حيّة ولكن لا يحكم له بالحياة الانسانية بذلك الا بعد نفخ الروح... ولا يحرم قتله (بدون سبب) الا باعتبار ماله ومصيره لا باعتبار انه حي حياة انسانية.

حكم المولود إذا لم يستهل:

بل إن الفقهاء لم يحكموا للجنين بعد ولادته بالحياة الا إذا استهل صارخا وعلمت فيه آثار الحياة واستدلوا على ذلك بقوله [صلى الله عليه وسلم] «إذا استهل المولود ورث» [١٦] وقول جابر بن عبد الله والسور ابن مخرمه رضي الله عنهما: «قضى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] لا يرث الصبي حتى يستهل» [١٧].

فإذا كان المولود حديثا وقد نفخت فيه الروح منذ أشهر عديدة لا يحكم له بالحياة الا عندما يستهل صارخا أو يستدل على حياته بأمارات موثقة عندهم فإنه من العجيب جدا أن لا يحكم لمن مات دماغه وبالتالي فقد الاحساس

بدون عذر وذلك قبل نفخ الروح وخاصة قبل الأربعين... وإنما حرم من حرم قتل الجنين قبل نفخ الروح فيه باعتبار ماله ومصيره الذي سيصير اليه فإذا حرم كسر بيض الحرم باعتبار ماله فمن باب أولى يحرم قتل الجنين باعتبار ماله وما سيصير اليه.

قال الامام الغزالي في الاحياء: وليس هذا (أي العزل) كالأجهاض والوآد لأن ذلك جناية على موجود حاصل والوجود له مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة. وافساد ذلك جناية، فإن صارت نطفة مخلقة كانت الجناية أقبح. وإن نفخ فيه الروح واستتوت الخلقة إزدادت الجناية تفاحشا. ومنتهى التفاحش في الجناية هي بعد الانفصال حيّا.

وقال الشيخ الجليل يوسف القرضاوي في كتابه الحلال والحرام في الاسلام: «واتفق الفقهاء على أن إسقاطه بعد نفخ الروح فيه حرام وجريمة لا يحل للمسلم أن يفعله لأنه جناية على حي متكامل الخلق ظاهر الحياة».

الجنين قبل نفخ الروح فيه ليست فيه حياة إنسانية:

وأما قبل نفخ الروح ففيه الخلاف حيث ذهب بعض الفقهاء الى السماح بالاجهاض وخاصة قبل الأربعين باعتباره كالجماذ أو أشبهه بالجماذ... وأما جمهور الفقهاء فلم يسمحوا بالاجهاض باعتبار ماله ومصيره وإن لم ينفخ فيه الروح. ومع ذلك سمحوا بالاجهاض متى كان الحمل بشكل خطرا على حياة الحامل أو على صحتها أو كان الجنين مشوها تشويها شديدا. وفي هذا الصدد أباح المجمع الفقهي لرابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة في دورته الثانية عشرة (١٦ - ٢٢ رجب ١٤١٠هـ / ١٠ - ١٧ فبراير ١٩٩٠م) إسقاط الجنين المشوه قبل نفخ الروح (١٢٠ يوما منذ

صارخا، ولو تحرك أو بال أو رضع) إن هذه الفقرة تجعل مقياس الحياة الصوت، وقد فصل اللخمي ما تكون به الحياة فقال: اختلف في الحركة والرضاع والعتاس فقال مالك: لا يكون له بذلك حكم الحياة- قال ابن حبيب: وإن أقام يوما يتنفس ويفتح عينيه ويتحرك حتى يسمع له صوت وإن كان خفيا. قال اسماعيل: وحركته كحركته في البطن لا يحكم له فيها بحياة. قال عبد الوهاب: وقد يتحرك المقتول. وعارض هذا المازري وقال: لا معنى لانكار دلالة الرضاع على الحياة لأننا نعلم يقينا أنه محال بالعادة أن يرضع الميت. وليس الرضاع من الأفعال التي تكون بين الطبيعة والاختيارية، كما قال ابن الماجشون أن العتاس يكون من الريح، والبول من استرخاء المواسك (العضلات العاصرة)، لأن الرضاع لا يكون إلا من القصد اليه. والتشكك في دلالة على الحياة يطرق إلى هدم قواعد ضرورية. والصواب ما قاله ابن وهب وغيره: أنه كالاستهلال بالصراخ» [٢٣].

ما لم تكن حياة مستقرة فلا حياة:

ويقول الدكتور محمد سليمان الأشقر في بحثه نهاية الحياة المقدم إلى ندوة الحياة الإنسانية في الكويت [٢٤]: «ولابد للحكم بموته من أن تتعدم كل أمارات الحياة. ويذكرون ذلك في استهلال المولود ليرث، قالوا: لابد أن يفصل حياة مستقرة، فلو مات بعد انفصاله حياة مستقرة فنصيبه لورثته. ويعلم استقرار حياته عند الحنابلة والشافعية إذا استهل صارخا أو عطس أو تشعب، أو مص الثدي، أو تنفس وطال زمن تنفسه، أو وجد منه ما يدل على حياته، كحركة طويلة ونحوها فلو لم تكن حياة مستقرة بل كالحركة اليسيرة والاختلاج والتنفس اليسير لم يرث، لأنه لا يعلم بذلك استقرار حياته، لاجتماع كونها كحركة المذنب، أو كما يقع للانتشار من ضيق أو استواء اللتوي (العذب الفائض في

جاء في الموسوعة الفقهية [١٨]: «وتعرق حياته (أي المولود) بالاستهلال صارخا واختلف الفقهاء فيما سوى الاستهلال. فقالت طائفة: لا يرث حتى يستهل صارخا. وهو المشهور عن الامام أحمد» [١٩]. وروي عن كثير من الصحابة والتابعين مستدلين بأن مفهوم قول النبي (صلى الله عليه وسلم) (إذا استهل المولود ورث) أنه لا يرث بغير الاستهلال [٢٠] ولأن الاستهلال لا يكون إلا من حي. والحركة تكون من غير حي» [٢١].

«وروي عن أحمد أنه قال: يرث السقط ويورث إذا استهل قليل: ما استهله؟ قال: إذا صاح أو عطس أو بكى. فعلى هذا كل صوت يوجد منه تعلم به حياته فهو استهلال، وهذا قول الزهري والقاسم بن محمد لأنه صوت علمت به حياته فاشبه الصراخ، وعن أحمد رواية ثالثة بصوت أو حركة أو رضاع أو غيره ورث وبثبت له أحكام المستهل لأنه حي. وبهذا قال الثوري والأوزاعي والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه» [٢٢].

الامام مالك لا يعتبر الجنين حيا ما لم يستهل ولو تنفس أو تحرك أو بال- ويقول فضيلة الشيخ محمد المختار السلامي: يرى الامام مالك بن أنس رضي الله عنه أن المولود إذا لم يصرخ لا يعتبر حيا ولو تنفس أو بال أو تحرك. ومعنى هذا أنه لا يحكم له بالحياة بمجرد التنفس حتى يقرن بها البكاء. وقال ابن الماجشون: إن العتاس يكون من الريح والبول من استرخاء المواسك (أي العضلات العاصرة)، فما لم يكن الفعل اراديا استجابة لتنظيم الدماغ لا يعتبر اماراة حياة. (الزرقاني على الخليل ج٢/١١٢). انتهى كلام فضيلة الشيخ محمد المختار السلامي. ويقول فضيلته أيضا في بحثه المقدم إلى الدورة الثالثة لجمع الفقه الاسلامي مفصلا وموضعا أقوال المذهب المالكي: «يقول خليل بن اسحاق (ولا سقط ما لم يستهل

تعريف الحياة المستقرة:

ويعرف بدر الدين الزركشي في كتابه «المنثور من القواعد» الحياة المستقرة بقوله:

«الحياة المستقرة هي أن تكون الروح في الجسد ومعها الحركة الاختيارية، دون الاضطرارية كما لو كان إنسان، وأخرج الجاني أو حيوان مفترس حشوته وأبانها لا يجب القصاص في هذه الحالة».

«وأما حياة عيش المذبوح فهي التي لا يبقى معها ابصار ولا نطق ولا حركة اختيارية» [٢٥]، وقال الرملي في نهاية المحتاج: «وإن أنهاه (أي المجني عليه) رجل إلى حركة مذبوح بأن لم يبق فيه ابصار ونطق وحركة اختيار، وهي المستقرة التي يبقى معها الإدراك ويقطع بموته بعد يوم أو أيام، ثم جنى عليه الآخر، فالأول قاتل لأنه صيره إلى حالة الموت، ومن ثم أعطي حكم الأموات مطلقاً ويعزّر الثاني لهتك حرمة ميت» [٢٦].

ويعلق على تلك العبارة الدكتور محمد نعيم ياسين فيقول: «وهذا الذي ذهب إليه الفقهاء في هذه المسألة يشير إلى أنهم اعتبروا فقدان الاحساس والحركة الاختيارية علامات تورث غلبة الظن بوصول المجني عليه إلى مرحلة الموت، وأن الحركة الاضطرارية الصادرة من المجني عليه لا تعطي غلبة الظن ببقاء الروح في الجسد إذا كانت وحدها، ولم تقتصرين بأي نوع من الاحساس أو الحركة الاختيارية والا لجعلوا القصاص من نصيب الجاني الثاني، إذ يكون فعله القاتل وارداً على جسد فيه روح، ولعلمهم في هذا تأثروا بما قرره علماء الطائفة الاولى أمثال ابن القيم والغزالي من أن الروح ترحل عن جسد صاحبها في اللحظة التي يصبح فيها الجسد عاجزاً عن الانفعال للروح بأي نوع من الاحساس والاختيار» [٢٧].



حركة المذبوح:

وقد أجمع الفقهاء على عدم اعتبار حركة المذبوح بل لو أن حيواناً مفترساً أو شخصاً قام بالاعتداء على آخر وأفقده النطق والابصار والاحساس والإدراك ولم يبق منه الا ما يسمى حركة المذبوح ثم جاء آخر فاجهز عليه فإن القاتل هو الأول وإنما يعزّر الثاني لانتهاكه حرمة الميت. فمهما كان قلبه ينبض وهو يتنفس ويتحرك الا أن هذه الحركات اضطرارية فلا يحكم له فيها بحياة.

بل وصل بعض الفقهاء إلى ما هو أعجب وأغرب من ذلك. فقد زعم ابن القاسم أن عمر رضي الله عنه لما طعن كان معبوداً في الأموات وأنه لو مات له مورث لما ورثه، وأنه لو قام رجل بالتدفيف على عمر فقتله لا يعتبر الثاني قاتلاً لأن القاتل هو الأول وهو أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبه. وقد استدلووا على موت عمر بزعمهم ذاك أن الطبيب سقى عمر لبناً فخرج اللبن من الجرح ومعنى ذلك أن الطعنة كانت نافذة حتى وصلت إلى الأمعاء أو المعدة، ومثل تلك الحالة لا تعيش في ذلك الزمان ورغم أن عمر كان يتكلم ويعهد وبقي ثلاثة أيام على ذلك الا أن ابن القاسم اعتبره في عداد الأموات [٢٨]!! ولم يعتبر كلامه وإدراكه ومنطقه دليلاً على الحياة باعتبار ما سيؤول إليه، وهو الموت. والحق أن ما ذهب إليه ابن القاسم كان شططاً ولم يقبله جمهور الفقهاء بل اعتبروا أن عمر كان لا يزال حياً عندما كان يعهد ويتكلم ويدرك الأمور، وإذا أمضوا وصيته [٢٩].

مما سبق يتبين الآتي

بالنسبة إلى الروح:

(١) أن دخول الروح إلى الجنين لا يتم الا بعد مرور فترة زمنية تكون أعضاء الجنين قد تكونت والقلب ينبض (منذ اليوم الثاني والعشرين منذ التلقيح) والنورة الدموية موجودة ومع هذا فقد

مركز الأحاسيس والارادة والفكر والزوية وهو ما اتفق عليه علماء الاسلام بأعطائه صفة الروح، لأنها هي المدرك وهي المحاسب والمعاقب والمعاقب والمطالب، فإن وجود هذه العلامة الفارقة العجيبة، وتطابق الطب الحديث مع ما جاء في الاحاديث الصحيحة يجعل لهذه الاحاديث إعجازاً وقهما عجيبياً.

(٢) تصافرت النصوص القرآنية والحديثية في أن آدم عليه السلام لم تنفخ فيه الروح الا بعد أن اكتمل بناء جسده من الطين. وإن اليس اللعين كان يتعجب من خلقه ويصوت فيه قبل نفخ الروح ويقول «لأمر ما خلقت!!».

(٣) أن أهم وظائف الروح هي العلم والادراك، يقول الامام الغزالي: «الروح هي المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغصوم وذات الأفرح» والروح تؤثر في البدن الانساني وتحكم فيه. والأعضاء آلات للبدن فإذا استعصت الأعضاء على عمل الروح فإن الروح تغادر البدن. فكل الاعمال الاختيارية والادراك والاحساس من عمل الروح والأبدان آلات للروح.

ولكن هذا لا يعني أن خروج الروح يستتبع فقدان كل حركة في الجسم وموت كل خلية فيه. فقد اتفق الفقهاء كما أسلفنا أن الجنين قبل نفخ الروح فيه كانت فيه حركة النمو والاعتداء، بل إن القلب ينبض ويعمل منذ اليوم الثاني والعشرين منذ التلقيح وتبدأ الدورة الدموية عملها منذ تلك اللحظة ومع هذا لم يقل أحد من علماء الاسلام أن الروح قد نفخت في هذا الجنين في هذه الفترة بل أجمعوا أو كانوا على أن نفخ الروح لا يكون الا بعد مرور مائة وعشرين يوماً منذ بدء الحمل ولم يشذ من ذلك الا فئة قليلة لم تحد وقتاً لنفخ الروح ولكنها أخذت بحديث حذيفة بن اسيد الذي رواه مسلم وحددت بالتالي بداية الحياة بعد مرور الأربعين الأولى.

أجمع الفقهاء وعلماء الاسلام أن الجنين قبل نفخ الروح بمثابة الجسد ولا يحكم له فيها بالحياة الانسانية التي بها الاحساس والادراك (وهي التي لا تظهر الا بعد تكون الدماغ واتصال المناطق المخية العليا بالمناطق السفلى. وذلك لا يكون الا بعد مرور مائة وعشرين يوماً منذ التلقيح كما اثبت الدكتور كورين في بحثه الرائد الذي ألقاه في مؤتمر أخلاقيات زرع الاعضاء المنعقد في أوتوا بكندا في ٢٠ - ٢٤ أغسطس ١٩٨٩م حيث ذكر أن الاتصالات والتشابكات بين المناطق المخية العليا والمناطق الاسفل منها لا تبدأ الا بعد مرور الجنين بفترة مائة وعشرين يوماً).

وحتى لو قلنا بفترة الأربعين التي وردت في حديث حذيفة بن أسيد، وفي هذه الفترة يبدأ جذع الدماغ بالعمل، واعتبرنا ذلك علامة على بداية الحياة ونفخ الروح فإن ذلك لا يغير من الحقيقة شيئاً. وهي أن الجنين يبقى فترة أربعين يوماً لا يعتبر فيه حياً حياة انسانية.

اعجاز أحاديث المصطفى { صلى الله عليه وسلم }:

وهذه الاكتشافات الحديثة تكون اعجازاً لاحاديث النبي { صلى الله عليه وسلم } في هذا الباب. ففي حديث حذيفة ابن أسيد الذي رواه مسلم يؤمر الملك بتشكيل كافة الاعضاء بما فيها الاعضاء التناسلية بعد الأربعين الاولى من عمر الجنين. وفي هذه الفترة المعروفة لدى علماء الأجنة بفترة تكوين أو تخليق الأعضاء - Organogene . sis

يبدأ جذع الدماغ في التكوين ويبدأ أول نشاطه في اليوم الثالث والأربعين وقد أمكن تسجيل نشاطه الكهربائي. أما المناطق المخية العليا فتظل بدون نشاط وهي مثل المصبة (المصباح) بدون كهرباء ولا يتم توصيل الكهرباء اليها الا بعد مرور مائة وعشرين يوماً وأنداك تعمل. وبما أن المخ هو



النطق والإرادة عند هؤلاء الفقهاء دليل على فقدان الحياة يقول الدكتور محمد نعيم ياسين في بحثه «نهاية الحياة الانسانية في ضوء اجتهادات الفقهاء تحت عنوان خلاصة تصور علماء الشريعة عن الروح وعلاقتها بالجسد» [٣٠]:

إن الانسان في تصورهم جسد وروح ولا يكتسب وصف الانسانية بواحد من العنصرين نون الآخر وأن الجسد مسكن الروح في هذه الدنيا طوال فترة الحياة المقررة للانسان وأن العلم والادراك والحس والاختيار أهم وظائف الروح.. وأن الجسد الانساني لا يصدر عنه أي نشاط اختياري في هذه الدنيا بغير أمر الروح وأن كل ما يصدر عنه هو بتأثيرها الذي أودعه الله فيها. وأن الموت معناه مفارقة الروح للجسد وأنه يحصل عند صيرورة الجسد عاجزاً عن انفعال الروح وأن وجود أي نوع من الحس والادراك والحركة الاختيارية يدل على بقاء الروح في الجسد. وغياب هذه المظاهر غياباً كاملاً يدل على مفارقة الروح للجسد.

وأن مجرد وجود حركة اضطرارية لا معنى له سوى وجود بقايا الحياة المجردة عن معية الروح. وفي موضع آخر من بحثه يقول الدكتور محمد نعيم ياسين: «ويفهم من ذلك أن العلماء المسلمين يرون أن الحركة الاضطرارية التي لا اختيار فيها ليست أثراً من آثار الروح.. ومقتضى ما تقدم من تصورهم لوظائف الروح أن الحركة الاضطرارية الناشئة عن هذا النوع من الحياة ليس فيه دلالة على وجود الروح».

ثم يخلص الباحث الى محاولة الجمع ما بين أقوال اطباء و الفقهاء من اتفاق واختلاف الذي سنذكره فيما بعد عند الانتهاء من تشخيص الموت وعلاماته عند الفريقين. وما يهمنا هنا هو التأكيد على أن الفقهاء لم يجعلوا الحركة

وقد أسلفنا القول في أن الفقهاء لم يحكموا بحياة الجنين حتى بعد مولده وانفصاله حياً من أمه الا إذا استهل صارخاً أو ظهرت عليه أمارات الحياة. ومنهم من لم يقبل التنفس ما لم يستمر وقتاً طويلاً. وكذلك لم يقبلوا الحركة دليلاً على الحياة. بل ولا البول لأن ذلك يكون من استرخاء المواصل (العضلات العاصرة) وبالغ بعضهم في عدم قبول العطاس والرضاع دليلاً على الحياة كما أسلفنا.

وأما حركة المذبوح أو من اعتدى عليه وحش أو انسان حتى فقد الادراك والنطق والبصر والاحساس فإن حركته لا اعتبار لها عند الفقهاء واعتبروه ميتاً رغم أن قلبه لا يزال ينبض وبورته الدموية لا تزال كاملة ومعظم أعضاء جسمه لا تزال تعمل.

بل بالغ بعضهم مبالغة شديدة مثل ابن القاسم عندما زعم أن عمر رضي الله عنه بعد أن طعن اعتبر في عداد الموتى رغم أن عمر رضي الله عنه كان يعهد ويتكلم وبقي على ذلك ثلاثة أيام كاملة وهو يحس ويدرك.. ولا شك أن من قال بذلك قد خرج عن الطور المعهود وجانب الصواب، فعمّر نون ريب كان حياً. ولو عاش في زمننا هذا لأمكن بكل يسر انقاذ حياته باذن الله تعالى. وكمن حالات أشد بكثير من حالات عمر أمكن انقاذها. فقد امكن انقاذ الرئيس الامريكي الاسبق ريجان بعد ان اخترقت الرصاصة صدره ووصلت الى غشاء قلبه (التامور) وحطمت أجزاء من رثته. ومع ذلك أمكن انقاذه وحالته لا ريب أشد عسراً بكثير من حالة عمر رضي الله عنه.

(٤) اتفق الفقهاء جميعاً على أن حركة المذبوح ليست دليلاً على الحياة وأن الحركات الاضطرارية (الافعال الانعكاسية من الجسم) التي لا اختيار فيها ليست أثراً من أثر الروح. ورغم وجود هذه الحركة فإن من فقد كل إحساس وإدراك مع فقدان

- (٦) الشيخ بكر أبو زيد: مجلة مجمع الفقه الاسلامي النورة الثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧ م، ج ٢، ٥٢٩/٢ - ٥٤١.
- (٧) إحياء علوم الدين ٤/ ٤٦١.
- (٨) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي) وابن ماجه في سننه واحد في مسنده.
- (٩) الروح لابن القيم ص ١٨٠.
- (١٠) الروح ص ١٨٤.
- (١١) المصدر السابق (أخرجه الشيخان).
- (١٢) الروح ص ٤٦.
- (١٣) ابن رجب العسلي، جامع الطوبى والحكم ص ٤٦ (دار المعرفة بيروت).
- (١٤) ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن ص ٢٥٥.
- (١٥) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب القدر ١٨٣/ ٤٨٢.
- (١٦) أخرجه أبو داود ج ٣/ ٨٢ والبيهقي ج ٧/ ٢٥٧.
- (١٧) أخرجه ابن ماجه حيث رقم ٢٧٥١.
- (١٨) الموسوعة الفقهية وزارة الأوقاف الكويت الطبعة الثانية ١٩٨٣ ج ٦٦٣.
- (١٩) وهو أيضا قول الامام مالك.
- (٢٠) يسمى هذا مفهوم المخالفة عند علماء الأصول.
- (٢١) للقصور بالحركة هنا الحركات الاضطرابية مثل حركة المذبح أو غيرها من المركبات الانعكاسية والتي قد تحدث حتى في حالات موت الدماغ وتعرف بالأفعال الانعكاسية الشوكية.
- (٢٢) المغني ج ٧ ص ١٩٧ - ٢٠٠.
- (٢٣) محمد المختار السلافي: الانعكاش - مجلة مجمع الفقه الاسلامي النورة الثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧ م، ج ٢، ٦٨٥ - ٦٩٤.
- (٢٤) محمد سليمان الأشقر: نهاية الحياة، ندوة الحياة الانسانية والمنشور أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي النورة الثالثة، مجلد ٣، ج ٢/ ٦٦٢.
- (٢٥) بدر الدين الزركشي: للتطور في القواعد ج ٢/ ١٠٥.
- (٢٦) الرملي: نهاية المحتاج ج ٧/ ١٦٠ نقل عن د. محمد نعيم ياسين: نهاية الحياة الانسانية في ضوء اجتهادات علماء المسلمين، ندوة الحياة الانسانية الكويت والمنشورة أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي، مجلد ٣، ج ٢ ص ٦٢٥ - ٦٦٠.
- (٢٧) المصدر السابق.
- (٢٨) مفتي تونس الشيخ محمد المختار السلافي: مجلة مجمع الفقه الاسلامي النورة الثالثة ١٩٨٧ م، ج ٢، ٦٨٥ - ٦٩٤.
- (٢٩) الزركشي: المنشور في القواعد ج ٢/ ١٠٥، نشر وزارة الأوقاف، الكويت الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م.
- (٣٠) د. محمد نعيم ياسين: نهاية الحياة الانسانية في ضوء اجتهادات الفقهاء، ندوة الحياة الانسانية بدايتها ونهايتها، منشورة أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي العدد الثالث ٢/ ٦٢٥ - ٦٦٠.

الاضطرارية دليلاً على وجود الروح، بل على العكس من ذلك. كما أنهم لم يجعلوا انتظام نظم القلب وضرياته ووجود النورة الدموية في الجنين دليلاً على نفخ الروح فيه، بل اعتبروا ذلك كله بمثابة النبات أو الحيوان وليس فيه أي دليل على نفخ الروح في الجنين. وقد أخبر المعصوم (صلى الله عليه وسلم) عن موعد هذا النفخ وأنه لا يكون الا بعد مرور الجنين بمراحل متعددة ابتداء من النطفة ومروراً بالعلق والمضغة والعظام واللحم الذي يكسو العظام ووجود أمارات التخليق ووجود الاعضاء المختلفة من كبد وقلب وورثة وكلى... ورغم أن النورة الدموية والقلب يبدأ عملهما مبكراً جداً (في اليوم الثاني والعشرين منذ التلقيح) الا أن الفقهاء لم يغيروا ذلك اهتماماً لوجود النص... واتفق جمهور الفقهاء وعلماء الشريعة والعلوم الدينية أن نفخ الروح لا يكون الا بعد وصول الجنين الى اليوم العشرين بعد المائة.

وهذا دليل قوي في عدم اعتبارهم للنورة الدموية كدليل على وجود الروح إذ يمكن أن تكون هناك نورة دموية كاملة والقلب ينبض دون وجود الروح وهذا بالضبط ما يقول الاطباء حيث إن القلب يمكن أن يستمر في النبض والنورة الدموية بمساعدة العقاقير والاجهزة وبوجود منقصة تقوم بعملية التنفس ولا يعتبر الشخص في تلك الحالة حياً بل هو ميت إذا مات دماغه بشروط معينة لا بد من توافرها في تشخيص موت الدماغ.

« للمبحث صلة »

الهوامش:

- (١) إحياء علوم الدين باب حقيقة الموت ج ٤/ ٤٩٣ - ٤٩٤.
- (٢) ابن القيم: الروح ص ٣٤.
- (٣) محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين ج ٤/ ٤٩٣ - ٤٩٥.
- (٤) كما ينقله عنه الامام ابن القيم في كتابه الروح.
- (٥) المصدر السابق.



جار الله الحميد



ابراهيم الناصر الحميدان



محمد علوان



عبد العزيز مشري

عن السوق الأدبي، حتى إن بعضهم أطلق عليها مصطلح «حمار المبعين» كما هو الحال في بحر الرجز الذي اعتبره الأوائل «حمار الشعر» لسهولة البحر وقابليته الكبيرة للتطويع لصالح الشاعر، ما رأيكم في ذلك؟

** في ظني أن القصة القصيرة في أدبنا الحديث والمعاصر، تشهد رواجاً وازدهاراً في عصرنا الراهن باعتباره عَصْرُهَا الذهبي.. ويعتبارها فناً من فنون النشر، فهي فن من الفنون التي لا تزال قادرة على مواكبة إيقاعات العصر

المتسارعة، هذا العصر الذي يموج بحركة الحياة المؤارة، كما يتدفق نهر الواقع فيه موجة في إثر موجة بشكل يشي بالسرعة والتكثيف والإقتصاد.. وهو ما يتناسب مع إيقاع القصة القصيرة التي أراها فناً سيظل مواكباً إيقاعات الواقع والحياة اليوم، وربما الغد.. لكونها فناً لم يستنفد جميع أغراضه في عصر السرعة الذي يحيا فيه الإنسان العربي المعاصر.

المنهل:

لا تحسب بحال أن الكتابة الأدبية مجرد ابداع لا يتقيا تنمية مجتمع أو اصلاح عرف أو غرس قيم أكثر في الحياة؟

** لعل من مهام الرواية والقصة القصيرة الإسهام في توعية المتلقي، وفي تعليمه، وفي رفع

مهموم الإنسان وقضاياها، ومؤكداً أهمية الإبداع بوصفه إنجازاً فذاً يتحلى بالصدق والجدة والأصالة والمرونة والمعاصرة.

المنهل:

هل من الصحة بمكان أن يقال بأن الرواية ديوان العرب في العصر الحديث أم أن هناك تحفظات على هذا القول حتى لا يفقد الشعر العربي مكانته التي توارثها منذ العصر الجاهلي وحتى عصرنا الراهن؟

** ترددت في الآونة الأخيرة - مقولة «الرواية ديوان العرب في العصر

الحديث» في أراء بعض كتابنا ونقادنا، إلا أنني غير موافق على ما ذهب إليه أصحاب هذه الآراء، لأن الشعر هو ديوان العرب منذ القديم حتى اليوم، فالشعر هو الشعر.. والفنون الأدبية أياً كانت تحيا. في ظل مناخ أدبي لا يعترف بالمنافسة وإحلال بعضها محل بعضها الآخر، ويبقى للشعر لدينا مكانته في الوجدان العربي وفي الأدب العربي مثلما كانت مكانته منذ العصر الجاهلي، ولا تستطيع الرواية أو غيرها من الفنون الأدبية أن تأخذ مكانة الشعر فله مكان الصدارة عريقاً ووجدانياً.

المنهل:

هناك رأي عند بعض النقاد بأن القصة القصيرة قد استنفدت جميع أغراضها وحن وقت رحيلها

حوار: عقيل بن ناجي الحكين
- الرياض -

يعود ما يحدث في واقعنا النقدي كله إلى حالة من الفوضى، والإنهيار بالغرب، والإستلاب، والإغراق في الذاتية المتورمة، والميل إلى الظهور والمخالفة والمعارضة في الرأي، ولا أدري لماذا لا نحاول أن نمد جسراً بين نقدنا اليوم ونقدنا القديم، وأن نسعى إلى إيجاد مناخ نقدي صحي يحفل بتعدد المناهج النقدية... ويصل جدينا بقدينا.

المنهل

يجذب بعض كتاب القصة القصيرة بأن يخرجوا عن المؤلفات في كتاباتهم كالأسلوب السردي القديم والقصص القائمة على الحدث والعقدة والحل، والحيل التكنيكية الكلاسيكية، وأجأوا إلى الرمز والأسطورة واللوعي، ما هو السبيل القويم برايمك في العملية الإبداعية إذا خرج القاص عن الأساليب المعتادة وأجأ إلى الأساليب الأخرى؟

** التجريب في الإبداع الأدبي عملية جائزة وضرورية في الكتابات الإبداعية الجديدة سواء عبر استحداث أشكال أو أساليب أو طرائق بشرط أن تأتي بجديد يثري الرؤية شعراً أو نثراً... وذلك من أجل تواصل العملية الإبداعية تأصيلاً وتجديداً، إنني مع التجريب ما دام هذا التجريب يسهم في إثراء الإبداع، وخروج القاص عن الأساليب والطرائق المألوفة أمر لا بأس به طالما جاء ذلك في نطاق التجريب والتجديد ولا يصح - في النهاية - إلا الصحيح.

المنهل

ظهرت على الساحة الأدبية بعض القصص والروايات الفارقة في الغموض والرمزية المكثفة، فهل لهذه الأساليب جلوى في تقدم الرواية والقصة؟ أم أن ذلك من الأمور التي تدعو لها حركة الحداثه وما بعد الحداثه مع ما فيها من الغموض واللفه الإشارية وعدم تواصل الجمل المعبرة عن النص وظاهرة التعقيد المعنوي.

** ربما كان الغموض سمة من سمات الإبداع حتى يبعده عن المباشرة والتقريرية. أما الغموض من أجل الغموض، والإغراق في الرمزية التي

مستواه الثقافي، لأن الفنون، بصفة عامة، تفتح آفاقاً جديدة ليس في التوعية أو التعليم فحسب بل في اكتشاف الحقيقة والوصول إلى مرافئ كانت مجهولة من قبل، من أجل رفعة شأن الإحساس بالواقع، والكشف عن مناطق جديدة من الحس المرهف بالأشياء والأمور، وطرح التساؤلات في الكون والحياة وفقاً لما ينادي به الدين الإسلامي الحنيف.

المنهل

من الملاحظ أن الحركة النقدية للرواية والقصة غير قائمة على أسس ومراكز ثابتة وموحدة، فهل يرجع السبب إلى تعدد المناهج النقدية؟ وما هو انطبائكم الخاص في العملية النقدية؟ وما هي الصورة المثلى في النقد لتناول أي نص روائي أو قصصي؟

** لو نظرنا إلى المشهد النقدي لدينا في واقع الحركة النقدية للرواية والقصة القصيرة بصفة خاصة، والأدب والفن بصفة عامة، لوجدنا أن كثيراً من الجهود التي تقدم في الساحة العربية نقدياً لا تقوم على أساس متين قوي، إذ أنها تعتمد على جهود هشة وغير موضوعية، لأنها لا تركز على التحليل والتطبيق، والمقارنة والدراسة المتأنية، فضلاً عن الإعتماد - أحياناً - على الأحكام العامة الجاهزة من قبل، أو الأفكار المستوردة التي لا تناسب بيئتنا... مع ميل إلى الهدم لا البناء... مما يجعل المسألة تصيب مرة، ولكنها تخبث مرات. ومن ثم تصبح المسألة برمتها اجتهدات شخصية بعيدة عن الموضوعية والعلم، والنقد - في أساسه - إبداع مواز للعمل الإبداعي رصداً وتحليلاً ومقارنة... وليس انطباعاً عاماً وحكماً جائزاً.

أما الصورة المثلى في النقد حين يتناول نصاً أدبياً أياً كان نوعه، فهي أن ينطلق الناقد من داخل هذا النص مضيقاً له ومحللاً لجوانب القوة فيه وجوانب الضعف أو ماله وما عليه، بحثاً عن جماليات العمل الإبداعي ومقوماته، من أجل أن يقيم جسراً بين المثلي والإبداعي المنتقد، وربما

بجمعية الثقافة والفنون بالرياض، كما عملت عضواً بهيئة تحرير «الأدبية» بالنادي الأدبي بالرياض، كانت التجربة مفيدة ومثمرة بالنسبة لي فقد فتحت لي أفقاً على واقع ثقافي وأدبي جديد .. وأضافت ثراءً جديداً في تجربتي الأدبية إبداعاً ونقداً بشكل عام.

المختل:

ما هو رأيكم في التطور النوعي والكمي في الساحة الأدبية بالملكة وخصوصاً في الرواية والقصة والمسرحية، وما هي الأسماء البارزة في هذه المجالات الأدبية حسب اطلاعكم وملاحظاتكم؟
** أرى أن الساحة الأدبية بالملكة تشهد في الوقت الحاضر تطوراً نوعياً وكمياً في فنون الرواية والقصة القصيرة والمسرحية على أيدي الأجيال الجديدة من الأدباء المبدعين الذين جاؤا امتداداً لجيل الرواد الأوائل الذين حملوا مشعل الريادة وأضأوا الطريق أمام المبدعين الجدد، فالرواية والقصة القصيرة هما رافدان من روافد الرواية في الوطن العربي وكذلك القصة القصيرة، ولا يقل مستواهما هنا عن مثيله في بقية أقطار وطننا، وإن كانت المسرحية أقل تطوراً من حيث النوعية والكم نظراً لحدثة عمر تجربتها في الأدب السعودي، ومن البارزين في الرواية هنا مثلاً وليس حصراً:

حامد دمنهوري، إبراهيم الناصر، عبد العزيز مشري، أمل شطا.

وفي القصة: عبد الله الساطي، حسين على حسين، محمد علوان، جبار الله الحميد، تركي ناصر السديري، شريفة الشملان، خليل الفزيع، أميمة الخميس.

وفي المسرحية: إبراهيم الحمدان، محمد العثيم، علي السعيد.

المختل:

هناك مقولة «كاتب متخصص» ومقولة أخرى «كاتب موسوعي» أين تقع نفسك من هاتين

تستغل على الفهم، فهما من الأساليب التي تعد فحاً يسقط فيه بعض شعرائنا وروائيينا وقاصينا في كتابات تدرج في عداد ما يسمى حركة الحدثة وما بعد الحدثة، كما يراها دعائها في الغرب، إن ما يصلح في الغرب لا يصلح بالضرورة لبيئات أخرى بما فيها البيئة العربية التي عرفت بالمحافظة والتماسك والتعامل مع الواقد الجديد بحذر.

المختل:

من براك يتصدر الساحة الأدبية على مستوى الوطن العربي بشكل عام في الرواية والقصة القصيرة؟

** كثيرون يتصدرون الساحة الأدبية في الوطن العربي في الرواية منهم على سبيل المثال لا الحصر: نجيب محفوظ، يحيى حقي (من مصر)، وحنا مينة (من سوريا)، والطاهر وطار (من الجزائر)، ومحمد زفزاف (من المغرب)، وعبد الرحمن الربيعي (من العراق)، وليلي العثمان (من الكويت)، وعبد العزيز مشري (من السعودية) وإبراهيم الكوني (من ليبيا) والطيب صالح (من السودان) وغيرهم.

وفي القصة القصيرة هناك: محمد المخزنجي وسليوى بكر (من مصر) وزكريا تامر (من سوريا) وجار الله الحميد (من السعودية) ومريم جمعة فرج (من الإمارات) ومحمد عبد الملك (من البحرين) وسواهم من فرسان الرواية والقصة.

المختل:

من خلال خبرتكم الطويلة في العمل بالملكة نود أن تلقى الضوء على هذه المرحلة العملية وما أثرها في أدبك وكتاباته؟

** أقمت في بلدي الثاني المملكة العربية السعودية ما يقرب من أحد عشر عاماً وذلك على فترتين أولاهما من عام ١٣٩٩هـ حتى ١٤٠٥هـ والثانية من عام ١٤١٠هـ حتى الآن .. عملت في هذه السنين مستشاراً ثقافياً ومشرفاً ومسكرتيراً لتحرير ملف الثقافة والفنون ومجلة «التوياد»

قصة قصيرة:

القيافة

تَلَقَّتْ، رصد في نهاية الشارع عربة نقل
النفايات وعمال شركة النظافة، فتح باب
عربيته، ادار المحرك ..

السابعة من صباح يوم بارد من تشرين،
أخذ مساره المعتاد الى المكتب، في داخله
هاجس مجهول الهوية خلق بوادر ارتباك وقلق
يعني انهما علامتا يوم ملتهب، أول من قابله
سكرتير الشيخ اقبال احد
رجال الاعمال المعروفين.



مهدى المنصور
القطاف
- الطائف -

- اهلا اسامة ..
- اهلا استاذ حامد ..
دخل المكتب، اخذ يلقب
بعض الاوراق ..

- استاذ حامد .. متى
يتم تعيد المؤسسة بالعمل؟!
- اذا وصلت موافقة
الادارة العامة ..

- الحال متوقف ..
- ليه ..؟

- الشيخ مسافر من شهرين (وما فيه) احد
يصرف رواتبنا .. حديث اعتاد سماعه .. اسامة

المقالتين؟

** است كاتباً موسوعياً لأن الكاتب
الموسوعي يمثل دائرة معارف بشرية، ويلم
بكل شيء في العلوم والآداب والفنون ..
ولعلي أمثل واحداً من الكتاب المتخصصين
في النقد بوجه عام، وفي النقد الأدبي
والنقد المسرحي بوجه خاص .. بحكم
التخصص الدراسي العلمي.

المنهل:

يعتبر النقد عملية إبداعية أخرى
منفصلة عن النص الذي يتناوله الناقد وكتبه
يبدع نصاً جديداً خارج نطاق النص الذي
تناوله على طاولة النقد، ما مدى صحة هذه
الفكرة؟

** يعد النقد عملية إبداعية موازية
 لعملية كتابة النص الأدبي سواء أكان
قصيدة أم قصة قصيرة أم رواية أم
مسرحية .. هذه العملية النقدية لا تبدأ من
فراغ بل من داخل النص الأدبي إضافة
ورصداً وتحليلاً وتقويماً .. أي أن مفاتيح
التعامل مع النص الإبداعي - نقدياً - ينبغي
أن تستخرج من داخله لا من خارجه
فيعني الناقد باستنطاق النص عبر
معطيات هذا النص حتى لا تكون قراءة
النص قراءة منفصلة أو ملحقة في آفاق
بعيدة عن معطياته ودلالاته.

المنهل:

هل لديكم كلمة أخيرة لقراء المنهل؟
** في الوقت الذي أستعد فيه للعودة
إلى أرض الوطن بصفة نهائية، أقدم لقراء
مجلة «المنهل» وللشعب السعودي الشقيق
أرق التحايا .. مقرونة بعظيم التقدير مع
أسمى التمنيات بدوام الخير والرفي.

قرر دعوته لتشريف المنزل لزيارة حان وقتها .
انتهى الدوام ، ذات الطريق . والقلق
والتوتر ، استقبلته نجوى ضاحكة ثم طرحت
أسئلتها المكررة . تذكر أنه نسي الخبز واللبن ،
استلقى على ظهره أمام شاشة التلفزيون .
مشاركاً طفله ذا السنوات الأربع متابعة أفلام
الرسوم المتحركة ، حدد الساعة مساءً للزيارة ،
أخذ يتذكر العنوان ، أوصل نجوى لمنزل
والتيها ، اقترب من العنوان مع ارتفاع أذان
العشاء . أسامه يقف في عرض الطريق ، لَوْح
له .

أوقف العربية . .

سبقه إلى بوابة مشرعة لشقة في الدور
الأول . . الهدوء مخيم ، ولجا غرفة جلوس مليئة
بالدمى والرسوم ، توقف عند صورة مطقة
فوق التلفزيون . .

لاحظ أسامه ذلك فقال :

- المدام ليلة الفرح .

- متى ١٩٠٠

جاءت سانجة . . وصوت حركة في مكان
آخر ، خرج أسامه من الغرفة ثم عاد يحمل
طبقاً فيه بعض البسكويت والمكسرات .
وبخلت خلفه تحمل دلة القهوة بيد
والفناجين باليد الأخرى ، تأملها والتفت إلى
الصورة . كانت هي . .
- تصيب العرق في داخله . تناول فنجان
القهوة بيد مرتعشة .

جلست . .

استأنن أسامه ، لم يحسب الوقت ، شعر
أنه تأخر ، انتهى من شرب القهوة ليجد أمامه
كوباً من عصير الليمون .

تطلع في ساعته ، نهض ، وقفت في فتحت
الباب تحاول منعه من المغادرة ، مهمم بكلمات ،
صرخت فيه ، انبثق باب الشقة عن خلق كثير .
تذكر طفله . . وزوجته .

حضرت الشرطة . . أنكر أسامه معرفته
بضابط المركز ، شعر بموقفه ، أمر الآخرين
بمغادرة الغرفة ، دعاه إلى الجلوس بالقرب منه
. . انصت له :

طلب منه كتابة اقرار خطي بأقواله ودُعي
أسامه لإقفال ملف القضية . . حيث تنازل عن
الادعاء مع حفظ حقوقه من التعدي عليه .

طلب منه الضابط البقاء .

- كيف وقعت ١٩٠٠

- إنه معرفة . . ويراجع في أعمال . .

- لا بد أن وراء ذلك قصد !

- لقد تأخرت ، ابني لوحدته في الدار

وزوجتي عند أهلها . .

غادر مركز الشرطة . .

كانت نجوى قلقه على ابنها . . باب
الشقة مفتوح ، لا أحد هناك ، اتجهت إلى غرفته
الصغيرة ، كانت المربية ترقد على الأرض
وهو نائم في سريرته .

شيء من الهدوء سرى في داخله ، أخذ
يبذل ملامحه . .

سمع نجوى تصرخ .

أسرع ، كانت غرفة الجلوس خالية من
التلفزيون وجهاز الفيديو والمسجل ، عاد إلى
غرفة النوم فتح الابراج لم يعثر على علبة
الحلي .

اتصل بالشرطة .

بنة البنة البنة البنة البنة



في البلدان والعمران ..
في التلال والأمرات
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستلهم الملاح ويرسم التوحة



سنا فورة
أعياد
لا تنقطع

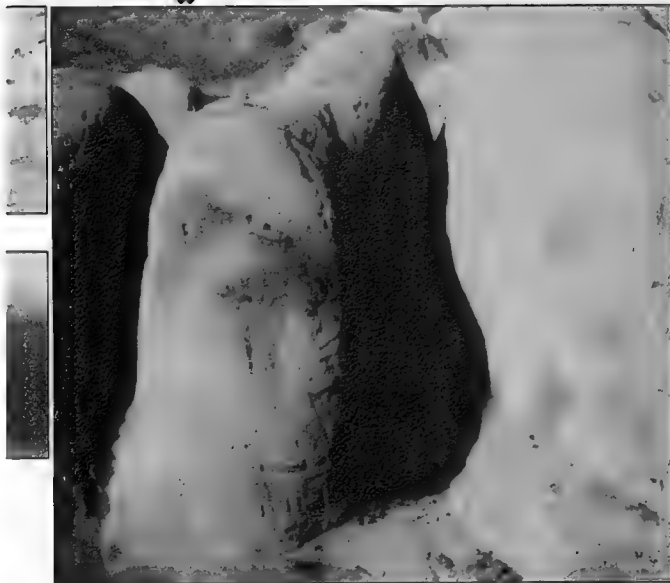
مشاهدات
من فستام



في هذا العدد من

نح

الصحراء المكنونة .. في الصحراء



الصحراء المكنونة

وذاثرات الصحراء المفروزة في رمالها من
شياطين الجن.

وسط صحراء المقاطعة الشمالية لاستراليا توجد
هناك (صخرة) تمثل مرتفعاً انقطع به السبيل عن
رفقائه فأصبح وحيداً في هذا الامتداد المخيف.

هذه الصخرة أحاط بها جمع من سكان

امتداد الصحراء، يعني امتداداً في الخيال،
خيال بعمق المد غير المرئي لرمال الصحراء،
تذهب بالرؤى بعيداً تلقها أمواج رمالها الحمراء،
والصفراء البلورية.

لكن ماذا ينتج خيال أهل الصحراء؟
ينتج الأساطير والخرافات، وأحاجي الفيلان،



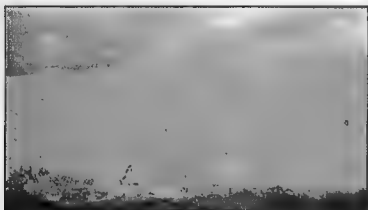
غرة المليون



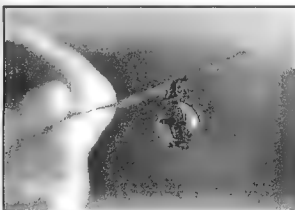
سما الصحراء الرائعة



الصخرة الحمراء في وسط استراليا



لحظة شروق الشمس في الصحراء



نمل الصل

سكان الصحراء (نوع الحياة). يبدو أن (أسطورية) هذه الصخرة لم تتوقف عند حدود الصحراء وأهلها، بل انتقلت أسطورتها إلى أهل الحضرة. هذه الصخرة أصبحت طابع بريدي يرمز للقارة الاسترالية بكاملها. وأصبحت تنصدر الاعلانات والنشرات السياحية، حتى لقد هام بزيارة تلك الصخرة مئات الآلاف من الزوار والسائحين من داخل استراليا ومن خارجها. ترى .. مما السرّ المكنون في هذه الصخرة الملعون.

الصحراء، أحاطوها بقدر هائل، مخيف ومرعب من الأساطير، حتى بلغ حدّ التقديس لهذه الصخرة من أهل هذه الصحراء. ظنوا بها الخوارق، وافاضوا عليها من معجزات الخلق. من قطع حجراً منها تصاحبه اللعنة، من صعد قممتها يهلك، من .. من .. هكذا حسب ظنهم وخيالهم. ومعلوم أن الانسان في بداوته يحتاج الى (انموذج) يتعلق به، ويتقرب إليه حتى وان كان حجراً، فما ظنك بصخرة كاملة. فقد اعتبرها

**** السياحة، قراة ذكية للشعوب ، عاداتهم ، أعرافهم ، تقاليدهم ، في المسكن والملبس والمآكل . . في السلوك والمعاملات . . في الجماعات والافراد . في أديانهم وعقائدهم وطقوسهم . . كل ذلك يعطي صورة حقيقية عن طبائع البشر ومعطيات حياتهم .**
هذه حلقات متتالية للأستاذ العبودي، مشاهدات وقراءات وتأملات في شعب فيتنام.

١ هوانيت الاكتاف:

على كتفيه الاثنان ويمسكها بيديه فترى الكفتين يتأرجحان يمين جسمه ويساره، وهو يسير هكذا ببضاعته يعرضها على الناس، فمن أراد أن يشتري منه أوقفه ونظر في بضاعته، وغالباً ما تكون من الفواكه والخضار أو من الأطعمة القليلة. والحوانيت - كما نعلم - هي الدكاكين.

ولم أر ذلك شائعاً إلا في بلدان الجنس الملايوي ومن شابههم، وقد رأيتها كثيراً في هذه المدينة.

لم أسمع بهذه التسمية من قبل ولكنني أطلقتها على ما رأيته في بلاد الجنس الملايوي في إندونيسيا وقرى تايلند وأمثالها، وذلك في أن يجعل البائع أو البائعة البضاعة في وعائين اثنين معلقين بعضا غليظة ويحملها على كتفيه على هيئة الميزان بأن يجعل إحدى الكفتين تتأرجح في الأمام والأخرى في الخلف بالنسبة إليه، أو أن يحملها

والغريب أنه في مثل هذه البلدان يكثر أن تكون الحاملة لهذه الأشياء امرأة عليها قبعة عريضة تقيها أشعة الشمس التي تكون استوائية أو قريبة من الاستوائية، إضافة الى كون القبعة العريضة تثبت بنفسها على الرأس ولا تحتاج إلى تعهد وعناية.

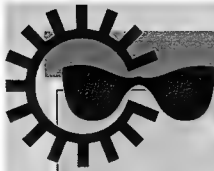
القبعات الفيتنامية:

بالنسبة الى القبعات الفيتنامية فإنها ذات شكل متميز عن غيرها من قبعات الأنونيسييين والتايلنديين وإن كانت تجمع بين تلك القبعات صفة الاتساع وكونها تتسع من القش أو الخوص.

فالقبعة الفيتنامية تتنحيز بتقعرها بمعنى أنها أشبه بغطاء الطبق الذي تراه مرتفع الوسط إذا وضعته على الأرض أو على طبقه، وليست مستوية التسطیح، كما أن مكان الرأس منها صغير إلى درجة تكاد معها أن تسارع فتجزم إذا رأيت القبعة

مشاهدات في





جني المحصول يتم بالميكنة الحديثة

موضوعة على الأرض بأن رؤوسهم صغيرة مع أن الفيتناميين متميزون بالذكاء وليسوا من صغار الرؤوس الذين لا يتميزون بذكاء غير معتاد.

ومررنا بمعبد بوذي ذي طبقات عديدة، والغريب في الأمر هنا ليس في وجود المعابد البوذية، وإنما الغريب في قلتها، فالقوم باكثريتهم الساحقة بوذيون قدماء في اعتناق البوذية، والمفروض أن تكون المعابد لديهم كثيرة كثرتها في تايلند التي هي ذات أغلبية بوذية مثلهم، وقد قرأت أن في تايلند خمسمائة ألف معبد بوذي طبقاً لإحصاء تايلندي حكومي.

وربما كانت القلة

الظاهرة في المعابد البوذية هنا هي بسبب استيلاء الشيوعيين على الحكم الذين يحاربون الأديان ويتبنون سياسة الإلحاد، (والبوذية ذاتها إلحاد) ولذلك لا تنشأ في ظلهم معابد جديدة، وإنما يبقون في الغالب على المعابد القديمة ذات الأهمية الأثرية.

مسجد جامع المسلمين:

كان أول ما أدهشنا من هذا المسجد رؤية

منارته من على البعد ٠٠ وهي وان لم تكن شامخة فإنها متميزة، ثم رأينا اسم المسجد مكتوباً بالعربية على لائحته وواجهته (مسجد جامع المسلمين)، وجامع هذه ليست مرادفة لكلمة مسجد كما صار بعض الناس في لبنان مثلاً يطلقونها على المسجد أي مسجد، وإنما المراد من ذلك أنه مسجد تصلى فيه الجمعة. وفوق اللافتة صورة الهلال تتوسطه نجمة وهو الشعار الذي صار

شعاراً للمسلمين على طول العالم وعرضه في مقابل الصليب الذي هو شعار المسيحيين.

ويقع المسجد على شارع رئيسي مليء بحركة الدراجات ومعها بعض السيارات لأنه الشارع الواسع الذي يفضي من قلب المدينة إلى المطار ويسمى (انقوين مان ترو).

بني المسجد في عام ١٩٧٣م، بناه الحاج عمر علي - رحمه الله - وكان مفتياً لفيتنام، ذكروا أنه أحضر النقود التي بناه بها من المملكة العربية السعودية، ومن ماليزيا وأن (تافوق عبد الرحمن) رئيس وزراء ماليزيا السابق ساعده على ذلك.

والمسجد متوسط السعة ومع ذلك أخبرونا أن عدد الذين يؤنّون صلاة الجمعة فيه لا يقل عن مائتين كل أسبوع، وأنه يضيق بهم وعللوا ذلك بأن بيوتاً للمسلمين كثيرة تحيط به، كما ذكرنا أن عدد الذين يؤنّون الصلوات الخمس المفروضة في الأيام المعتادة يتراوح ما بين ٢٠ إلى ٤٠ مصلياً. ويقع المصلى الرئيسي في الطابق العلوي إذ يتألف المسجد من طابقين أحدهما أرضي فيه المدرسة الإسلامية والثاني علوي فيه المصلى الرئيسي.

كما أخبرونا أن المصاريف المتكررة للمسجد من ماء وكهرباء وأمثال ذلك يحصلون عليها من تبرعات المسلمين وبخاصة بعد صلاة الجمعة حيث يتبرع المسلمون بما يتيسر فيجمعونه وينفقونه على المسجد، ولم ترد إليهم أية إعانات مالية من خارج بلادهم كما ذكرنا لنا.

جمعية معلمي هوشي منه:

توجهنا إلى مقر جمعية مسلمي (هوشي منه) ويقع في زقاق جانبي متفرع من الشارع الرئيسي، خلف المدرسة الإسلامية الواقعة في الطابق الأرضي من (مسجد جامع المسلمين هذا)، وهي كالمسجد تقع في حي فيه بيوت للمسلمين ذكرنا أن مجموع سكان المسلمين فيه ٧٧٠ مسلماً وأسم

الحي (تون يانغ).

وجدنا الجمعية قد أعدت فوق مائدة مستطيلة، أوراقاً وأقلاماً لتقييد ما يحتاج إليه، كما أحضرت شياً من الشاي الفيتنامي الذي يشبه الشاي الصيني فهو خفيف لونه بين الخضرة والحمرة ساذج لا سكر فيه ولا حليب. ولا يحضرون ذلك لمن يطلبه لأن الشاي الأحمر المعروف لدينا ولدى الأوروبيين غير مستعمل عندهم.

وقد حضر الجلسة عدد من أعضاء الجمعية منهم رئيس المسلمين السابق عبد الحليم سليمان، أما الرئيس الحالي للجمعية، وهو بحكم رئاسته لها يعتبر رئيساً للمسلمين واسمه (إمام إبراهيم) فإنه لم يحضر لكونه موجوداً خارج المدينة، وذكرنا أنه سوف يحضر بعد ذلك. كما حضرها نائب الرئيس الأخ الحاج إدريس ساميل وقد لازمنا طيلة وجودنا في (هوشي منه) وكان وجوده معنا دائماً لا سيما أنه يتكلم قديراً لا بأس به من الإنكليزية. كما حضر أمين الجمعية (طبيب فهمي).

ذكرنا أن جمعيتهم هذه تمثل المسلمين في هذه البلاد رغم كونها خاصة بمسلمي هوشي منه، ورغم وجود أعداد كبيرة من المسلمين في منطقة تشامبا على الحدود ما بين - كمبوديا وفيتنام - لكونها الجمعية المنظمة القائمة في هذه المنطقة.

وأخبرونا أن جمعيتهم تهتم بالأمور الدينية العائدة للمسلمين وإن من عملها أعداد طعام الفطور في أيام رمضان، حيث يجمعون المال والطعام من القادرين ويقدمونه للفقراء والمحتاجين، كما ذكرنا أنهم يدفعون رواتب لاثنتين وأربعين معلماً من معلمي الدين الإسلامي في الكتابات، وأن راتب المعلم منهم هو (٨٠) ألف دونغ ويساوي ذلك حوالي ٦ دولارات أمريكية.

ولذلك يعطون أئمة المساجد مبالغ أقل من ذلك لأن هذه هي قدرتهم التي يستطيعونها (لا يكف



علي جانب احدي الانهار التي تشق مدينة هوشي منه

الله نفساً إلا
وسعها} .
وأكدوا على
حاجتهم
للمساعدة
بقولهم: إن ٦
لولايات في
الشهر التي
نعطيها لمعلمي
الدين نعرف أنها
لا تكفي ولكن
ماذا نصنع؟
ونحن لا نستطيع
الحصول على
أكثر من ذلك.

إلى القدمين أيضاً، ولكنه يكون منشقوقاً من
الجهتين اليسرى واليمنى، إلى ما فوق الورك، بل
قد يصل شقاه إلى الجنبين، وذلك بحجة عدم عرقلة
السير، ويبين منه السروال كله أو يكاد .

وقد غرقنا ونحن راجعون إلى الفندق في
فيضان الدراجات الذي رأيته، بل يمكن أن يتغلب
في ذلك على الصين المعروفة بكثرة دراجاتها، وقد
ذكرت مشاهداتي في الصين في عدة كتب أكبرها
كتاب: (داخل أسوار الصين) .

وأكد الإخوة المرافقون أن سبب الزحام
الشديد من الدراجات وبخاصة منها النارية
الكثيرة العدد هو أن هذا الوقت الخامسة إلا ربعاً
هو موعد انصراف الموظفين من المكاتب الرسمية
بين حكومية وغيرها إذ ينتهي العمل اليومي عندهم
في الرابعة والنصف .

ويلاحظ من عادات النساء هنا الشائعة في
الصين أيضاً أن تجعل المرأة وبخاصة من

ومن اللطيف الذي صنعوه رغم قلة إمكانياتهم
أنهم أوضحوا أماكن المساجد الموجودة في هذه
المدينة (هوشي منه) وعددها (١٤) مسجداً على
خارطة للمدينة مفصلة قد ذكرت فيها أحيائها
بالتفصيل .

وقد استمرت هذه الجلسة المفيدة بعض الوقت
معهم حصلنا فيها من المعلومات عن اوضاع
الإخوة المسلمين في هذه البلاد على ما لم نكن
نعلمه .

الباس التقليدي:

وفي طريق العودة إلى الفندق رأيت امرأتين
عليهما لباس النساء الخاص بهذه البلاد الذي
تلبسه العاملات في النواثر الحكومية التي تحافظ
على المظهر الوطني ومن ذلك العاملات في المطار
وهو سروال طويل غالباً ما يكون أزرق اللون يصل
إلى القدم وليس ضيقاً كسراويل الأوروبيات ولا
واسعاً كالذي يكون على الباكستانيات وفوقه
قميص طويل من نفس لونه وفي مثل طوله إذ يصل



المساقط المائية علامة مميزة في فيتنام

الشابات شعر
رأسها جديدة
واحدة خلف
رأسها مع طول
شعرها.

**مساعدة
فيتنامية:**

كان الأخ
عثمان بن المفتي
السابق عمر علي
رحمه الله قد
دعانا إلى مأدبة
عشاء يقيمها في
بيته هذه الليلة،
ودعا أيضا الشيخ

تنتج الموز، ومعه نوع من الحلوى التي صنعت في البيت، وكانت المأدبة أسرية حضرتها أسرة المذكور وفيهم أمه وهي عجوز جيدة الصحة سليمة الحواس مع أنها في حدود الخمسين وزوجته وابنته مع زوجها وهما شابان ليس لهما إلا طفل واحد، وكانوا يؤانسسون بالكلام، ويظهرون الود والاحترام.

ولم أر نساءهم المسنات يحتشمن من الرجال الأجانب فكن يجلسن معنا ويتحدثن بواسطة المترجم، ووجدنا أن أعظم امنياتهن أن يحججن بيت الله الحرام.

وقد استقرت المأدبة حوالي الساعتين، وكانت مفيدة لنا لأننا سمعنا خلالها ما لم نسمعه من قبل عن أحوال المسلمين في هذه المنطقة من جنوب فيتنام وعن أحوالهم في منطقة (تشاميا) التي هي الوطن الرئيسي للمسلمين وتقع على حدود فيتنام وكمبوديا ومنها أصل الأخوين كليهما وهما: الداعي عثمان، والمترجم محمد يوسف. وعندما

محمد يوسف إمام الجامع الكبير، وذلك لكون وجوده ضرورياً للترجمة إذ بدونه لا يمكن التفاهم معهم بشيء.

كانت المأدبة فيتنامية بطعامها الذي تألف من الأرز الأبيض الساذج الذي لم يخالطه مخالط غير الماء حتى الملح لا يضعونه فيه، ومعه نوعان من المرق الغليظ المسمى بالكاري في كل واحد منهما نوع من لحم الدجاج أعد بطريقة تختلف عن الطريقة التي أعد بها النوع الآخر. كما أحضروا بطاطس مقلياً على طريقة خاصة بهم، وكان الشراب فيتنامياً خالصاً يشبه الكوكا كولا ولكنه يعتمد على الدارصيني وهو القرفة بلغة المصريين المعاصرين وهو ينتج من بلادهم بكثرة وكان معه نوع آخر من عصير أخضر اللون ذكروا أنه من فاكهة غير معروفة لنا، ولكنها تكثر عندهم.

أما الفاكهة فكانت موزاً صغيراً لذيق الطعم رقيق القشر، غالي الثمن بالنسبة إلى أنواع الموز الأخرى وقد عرفته بذلك قبل ذلك في البلدان التي

استأذنا في الإنصراف. اعتذروا لنا بأنه لا توجد لديهم الآن إلا دراجة نارية واحدة سوف نتقلنا إلى فندقنا بالتناوب فتحملني أول الأمر حيث أركب خلف سائقها ثم تعود إلى مرافقي الشيخ علي عيسى، وبعد ذلك تعود لتحمل الشيخ محمد يوسف إلى الجامع، وذلك لعدم وجود سيارات الأجرة، ولأن دراجات الركشا غير لائقة كما أنها فيما يقولون غير آمنة في الليل.

ومع أننا عدنا في الليل فإننا لم نسلم من فيضان الدراجات حيث ظللنا نخوض فيه من بيت الداعي إلى الفندق، ولم تكن توجد في هذه الساعة سيارات بل كان الزحام كله من الدراجات النارية. جدد الفندق تحبته التي هي من الفاكهة التي تكثر في هذه البلاد، وكانت من الموز الأصفر الصغير ومن البرتقال الأخضر واليوم جاؤوا بها من التفاح الذي يأتيهم من مناطق جبلية في شمال بلادهم ومن ثمرة واحدة من جوز الهند وهو ثمار النارجيل. وعندنا أن أشجار التفاح والنارجيل لا يجتمعان في مكان واحد ولكن هذه البلاد ممتدة ولذلك اختلف الجو الجبلي في شمالها عن جنوبها الحار.

جمع الطعام:

اعتدنا في البلدان البوذية أن نرى صغار الرهبان وهم الشباب ومن في حكمهم يدورون في الشوارع ويقفون عند البيوت يلتصقون من الناس أن يعطوهم من الطعام الذي هو الأرز ما تيسر، ولا طعام في هذه البلدان البوذية إلا الأرز فلا أعرف شعباً بوذياً يأكل أهله الخبز بصفة رئيسية، ولذلك يمكن القول: إن البوذية والأرز متلازمان وهذا هو الواقع القديم وقت أن كانت كل البلاد يقتصر أهلها على الطعام الموجود أصلاً لديهم.

وقد رأيت جمع الرهبان البوذيين للطعام واضحاً كل الوضوح في بورما وبعض المدن

الصغيرة في تايلند. واليوم رأيت منه شيئاً مختلفاً في هذه البلاد، ففي الصباح بعد الباكر أي في حدود الساعة الثامنة والنصف رأيت صفاً من الرهبان البوذيين الكبار الحليقي الرؤوس الحفاة الأقدام الذين يرتدون ملابس مصبوبة باللون الأصفر وهم في صف واحد كل واحد منهم يسير وراء الآخر بحذاءه لا يميل عنه يسرة ولا يمنة، ومع كل واحد منهم وعاء من الخشب قد رفعه فوق يديه وقد مدهما كأنما تهيأن لأخذ ما يلقي في هذه الإناء من طعام.

وهم يمشون الهويناً بخلاف الشبان من الرهبان الذين يسيرون بصفة معتادة، ولكنني لم أر أحداً وضع في الأواني التي معهم شيئاً مع أنني تابعتهم وصورتهم وهم يقطعون شوارعين اثنتين، وذلك بخلاف ما رأيته في بورما حيث يرى المرء في الأواني التي يحملها الرهبان أرزاً يكون مطبوخاً.

وملابس هؤلاء الرهبان مثل ملابس أولئك مؤلفة من قطعتين أشبه ما تكونان بلباس الإحرام المؤلف من إزار ورداء، وهم يلبسونها في العادة كما يلبس المحرم ثياب الإحرام.

جولة على المساجد:

ذهبنا إلى مكتب للسياحة واقع على ميدان ركس الجيد الذي يقع عليه فندقنا فاستأجرنا منه سيارة صغيرة مكيفة الهواء جديدة من الساعة التاسعة صباحاً حتى السادسة مساءً بـ ١٦٠ ألف لونغ ويساوي ذلك (١٢) دولاراً أميركياً أو خمسين ريالاً سعودياً على وجه التقريب، وهذا رخص بالغ، والغربة جاءت في كثرة الإجراءات وتعقيدها حيث إن المكتب حرر عقداً بيننا وبينه أشبه بالاتفاقية الرسمية مكتوباً بالإنكليزية فأعده موظف ووقعته عن الشركة موظفة، ثم قبض النقود رجل آخر

وأعطينا إيصالا بها موظفة أخرى.

جامع السعادة:

مررنا بالشيخ محمد يوسف الذي غدا لساننا الناطق في هذه البلاد فبدونهم لا نستطيع أن نفهم من أحد ولا أن نفهم أحداً ما نريد أن نقوله وذلك لعدم وجود من يتكلم العربية غيره، ولقلة من يتحدث الانكليزية من الإخوة المسلمين.

وانطلقنا إلى (مسجد السعادة) مع الشوارع بالسيارة ووسط فيضان الدراجات المعهود، وفوق هذه الدراجات النارية المعتادة الحجم أجسام ضئيلة لذلك غالباً ما تكون أكثر من واحد.

ولاحظت أنهم يمتون بصلة ولو صلة الموقع الجغرافي بالجنس الملايوي، من عادة الابتسام السريعة عند الفريقين فما أن يرى الواحد أو الواحدة منهم أنك تنظر إليه وهو راكب على دراجته وأنت راكب في سيارتك حتى تتفرج شفاته عن ابتسامة عفوية معروفة عند الجنس الملايوي.

وفي هذه الساعات المليئة بالحركة لأنها ساعات الذهاب إلى العمل رأينا الحافلات كثيرة، والزحام فيها شديد، ولكنه دون شدة الزحام في كثير من المدن الكبيرة المزدحمة كالقاهرة مثلاً، وعجبت لماذا لا تكون الدراجات كثيرة في شوارع القاهرة كثرتها في هذه المدينة، وذكرت أن السبب في ذلك هو سهولة تملك السيارات في مصر لمن يملكون ثمنها بخلاف هذه البلاد، وتعجبت من كثرة السكان الذين ضاقت بهم شوارع هذه المدينة وكثرتهم لم يحاربوا من قبل ولم تقتل الحرب منهم أعداداً كبيرة، وتذكرت أن سكان مدينتي (هوشي منه) وحدها هم أربعة ملايين ونصف الملايون وأن عادة هذا الجنس الأصفر هي الإكثار من النسل.

ومررنا بحي يسمى (ني يو) متوسط أي ليس بالريدي ولا بالجيد كالذي فيه فندقنا الذي لم تتفعه جودته القديمة عند ردايته الجديدة بسبب الإهمال

الناتج عن قلة المال والأعمال عند سائر الناس.

ومنازل حي (ني يو) هذا مبنية من الإسمنت لأن هذه المدينة كانت عاصمة لفيتنام الجنوبية وكانت مزدهرة من الناحية التجارية والاقتصادية.

وفي هذا الحي ميدان غير واسع اسمه على اسمه، وقد لاحظنا كثرة الميادين في هذه المدينة إلا أنها غير بالغة السعة، وذلك لكونها أنشئت قبل التطور الأخير الذي استمر في البلدان الرأسمالية الحرة، ووقف بل تجدد في البلدان الشيوعية.

كما مررنا باماكن مستديرة وهي الواسعة كالميادين الصغيرة ولكنها تكون مفروشة بالأعشاب ومزينة بالزهور يجعلونها في مفارق الطرق المتشعبة يستغنون بها عن إشارات المرور لأنه ليست في بلدتهم جسور للسيارات.

ولمناسبة الحديث عن المرور أقول: إن أكثر المفارق غير المستديرة يكون فيها شرطة المرور يديرونه بالإشارة بأيديهم، وذلك لعدم الجسور كما قدمت.

سوق شعبي:

مررنا بسوق شعبي مزدحم فأوقفنا السيارة ونزلت أصور ما فيه من أناس ويطائح ولكن المصورة خانتني فلم ينجح الشريط الذي صورت فيه.

والسوق الشعبي هذا أكثر ما فيه الأطعمة من خضروات ولحم ويقول، وكل ذلك غرض طري، وذلك لقلة التلajas الضخمة التي تحفظ فيها الأغذية أو لاتعدها عند التجار، فرأينا الموز أنواعاً متنوعة، وهذا ليس بعجيب لأن البلاد حارة رطبة، وهذه هي أمانة أشجار الموز.

كما رأينا لحم عندهم من لحم الماعز الذي نبيع لتوه يبيعون الكيلو الواحد منه بـ ١٨ ألف تونغ أي بـ ١٠٠ دولار وثلاث أو نحو خمسة ريالات سعودية.



الدراجات تمثل الركن الاساسي في المواصلات في فيتنام

ولحم البقر يباع
الكيلو منه بـ ١٦
ألف، والدجاجة
الواحدة بـ ١٤
ألفاً أي حوالي
الدولار، ولحم
الأرنب عندهم
بكثره يباع الكيلو
منه بـ ٣ آلاف
دونغ أي أقل
قليلاً من ربع
الدولار وهناك
خضروات غريبة
وأشياء معروفة
الاسم مجهولة

القوم من أكلة لحم الخنزير، وذلك لسهولة تربية
الخنزير في مثل هذه البلاد الخضراء الكثيرة
القمامات المتولدة من أوراق الأشجار المتساقطة على
المستنقعات والأراضي الندية التي تألف الخنازير
أكلها كما تألف أكل القمامات.

ويقع هذا السوق في حي اسمه (آن دونغ) أي
الشرق الأمن فآن آمن، ودونغ تعني الشرق.
ويبوت هذا الحي كسابقه من الإسمنت من طابقين
وطابق واحد مستمة السقوف اتقاء للمطر الكثير
في هذه البلاد المطيرة.

وبعض البيوت المجددة هي من لبن الإسمنت
لأنها بنيت أو جددت في هذا العهد الشيوعي الذي
لم تبق فيه ثروة بيد أحد من الشعب.
وفي آخر هذا الحي كنيسة تبلى مبنية على
طراز بعض الكنائس الموجودة في فرنسا، وذلك
لكونها بنيت إبان الاستعمار الفرنسي لهذه البلاد.
وعلى ذكر الكنيسة نقول: إن نسبة النصارى

الرسم عندها مثل ثمار التمر الهندي الطازجة
وشمار الكاكاو الطازجة أيضاً، وهي في نهاية
الرخص ومثل عروق الزنجبيل الطرية، وقيل مثل
ذلك عن الليمون (البزهرير) والبصل الصغير وكل
البصل الذي رأيته هنا صغير وليس في جودة
بصلنا، وثمان الكيلو منه ٨ آلاف دونغ أي أقل قليلاً
من ثلثي دولار، وكذلك الثوم كالموجود عندهما وهو
بعشرة آلاف دونغ أي حوالي ثلاثة ريالات سعودية
لكيلو الواحد.

وهم كسائر أهل جنوب شرق آسيا يعتبرون
من أكلة الثوم المكثرين حتى يتضايق الزائر
لبلادهم من ذلك، وأذكر أنني كنت في كوريا
أتضايق من رائحة المصعد عندما أدخله فأجد
رائحة الثوم قد صبغت مع أنه ليس فيه أحد، ولكن
كان الذين استعملوه قبلي ياكلون الثوم بكثرة.

وفي السوق لحم خنزير كثير لم يرض أخونا
ومتزجنا الشيخ محمد يوسف أن نقف عنده أو أن
نسأل عن ثمنه استقذاراً له، مع أننا نعرف أن



يكثر الرمي حينما يكثر العشب

في هذه البلاد لا تتجاوز ٤٪ رغم جهود المنصرين في زمن الاستعمار الفرنسي ثم في زمن التحالف مع أمريكا، ومع ذلك فإنهم موجودون، وكنائسهم موجودة ويعرف بعض المثقفين الكبار السابقين الذين تسلموا وظائف عالية

أكثرها بالفعل وأقول هذا أنا الذي رأيت العالم كله تقريباً في أي اتجاه اتجه المرء إليه من الكرة الأرضية.

ولاحظت أن اللافتات مكتوبة بلغتهم الفيتنامية ذات الحروف الغريبة التي قد تشبه على البعد بعض الحروف الصينية ولكنها غيرها. بل لا صلة لها بالصينية، وفي بعض الحالات يكتبون اللافتة بالإنكليزية وتحتها اللغة الوطنية. وهذا قليل.

أما اللغة الفرنسية لغة المستعمرين السابقين فإنه لم يبق منها من اللافتات شيء.

وعندما أمعنا في ضواحي المدينة قلت للشيخ محمد يوسف مرافقنا والمترجم لنا: إنني أعتقد أننا ذاهبون الآن جهة قرية (نام يو) التي هي قرية مسلمة للمسلمين الفيتناميين الأصلاء الذين هم من الجنس الفيتنامي الغالب على هذه البلاد فقال: هذا صحيح، هذه هي جهتها، فقلت له: ألا نستطيع أن نذهب الآن إليها لأنها لا تبعد عن مدينة (هوشي منه) إلا بـ ٢٧ كيلومتراً وهذه السيارة معنا؟

بانهم كانوا من المسيحيين، لأنهم هم الذين أتيت لهم فرص التعلم والمهارة في عهد الاستعمار.

طريقة طريفة:

من ألطف ما رأيته في زحام الدراجات النارية وغيرها من الدراجات الركشوائية والهوائية أن رجلاً راكباً على دراجة نارية ليس لها صحن توضع فيه الأشياء الثقيلة، وحتى لو كان فيها مثل ذلك الصحن فإنه لن يتسع لما معه، وذلك أن الذي معه هو إطارات السيارات غير المنفوخة، فما كان منه إلا أن أدخلها واحداً فوق الآخر من رأسه إلى أسفل بطنه فصارت حول جسمه حلقات متتابعة، وقد استطاع بهذه الطريقة أن يحملها على دراجته وإن شئت النظر فقلت: إنه حملها على جسمه وهي مع جسمه محمولة على دراجته، وهذا من لطيف الحيلة.

هذا، وقد ظلنا فترة نشير في داخل هذه المدينة الكبيرة التي وإن لم تكن من عمالة المدن فإنها من أكثرها دراجات بدون شك، إن لم تكن

حي (نام كاو) الذي وصلنا إليه بعد (كاي فو)، ودخلنا في شارع قرعي يسمى (ين تن) وذلك من أجل الوصول إلى مسجد السعادة الذي يسكن حوله ما لا يقل عن ستمائة من الأخوة المسلمين.

ويكثر الصينيون في حي (نام كاو) يظهر ذلك واضحاً من وجود الطلاسم وهي تماثيل منحوتة، وجمل مكتوبة بالصينية يضعونها على بيوتهم من أجل حمايتها من الأضرار، وهم بطبيعة الحال من الصينيين الكفار.

ولكن بيوتهم صغيرة حقيرة فتجد البيت وأغلبها من لبن الإسمنت من طابقين لا يزيد عرضه على الشارع عن أربعة أمتار أو ثلاثة، وفوقه طابق مغل، ويستعملون الشرفات في البيوت كثيراً وأغلبها مكشوفة ليس لها حيطان إلا قضبان من الحديد تمنع السقوط وذلك من أجل ألا تحجب الهواء الذي يكون رطباً في الصيف وحتى في هذا الفصل الذي يعتبر بارداً لا يكاد المرء يستغني عن المروحة أو المكيف، غير أن المكيفات والمراوح عندهم تكاد تكون معدومة بسبب الضيق الاقتصادي الذي فرضه عليهم الشيوعيون، وأما لباسهم فإنه لا يبعد عن ذلك فاكثريهم - والمقصود بهم الصينيون من سكان هذا الحي ليس على القسم الأعلى من أجسامهم شيء من اللباس بسبب الحر وعدم المبالاة وأطفالهم الصغار شبه عراة.

مسجد السعادة:

وجئنا في الاستقبال عند وصول المسجد طائفة من الإخوة المسلمين من أهل الحي الذي ذكروا أن فيه ستمائة من المسلمين على رأسهم رئيس جمعية المسجد الاخ (الحاج عثمان) ولم يستطيعوا أن يزيدوا في اسمه على (الحاج عثمان) مع أن وصفه بالحاج قد اكتسبه بعد أن

فقال: وهذا أيضاً صحيح، ولكننا لا نستطيع أن نذهب إليها، لأنها خارج المدينة، ولا يستطيع أحد من الأجانب أن يذهب خارج المدينة إلا بإذن ونخاف نحن من الحكومة إذا ذهبنا بدون إذن، وكنت أردت أن نزور أولئك الأخوة المسلمين الفيتناميين ونشجعهم ونقوي الصلة بهم عسى أن يكون في ذلك ما يكون سبباً في دخول أناس جدد من بني قومهم في الإسلام خاصة إذا ساعدناهم على توسعة مسجدهم، أو على إرسال مدرس أو مدرسين لهم لتدريس صغارهم وإرشاد كبارهم وترجمة الموضوعات الإسلامية المهمة إلى لغتهم التي هي لغة الأكثرية من أهل البلاد.

هي كاي فو:

مررنا بحي شعبي آخر ذي منازل متصلة وأحياناً تكون متلاصقة اسمه (كاي فو)، وهو حي شعبي أكثر ما فيه ظهوراً بسطات أي بضائع قليلة تعرضها النساء للبيع كما هي العادة في الأحياء الشعبية في بلاد الصفر في جنوب شرق آسيا كله، وفي البلدان الإفريقية. والحوانيت متصلة في الشوارع وأكثرها كما أخبروا مملوكة لسائر الناس والمراد بذلك أن البضائع التي فيها هي ملك لأشخاص وليس للحكومة. وإن كان بعض أهل الحوانيت هذه إنما هم بمثابة وكلاء البيع للحكومة التي تحتكر الاستيراد والتصدير كما تحتكر المشروعات الكبيرة من الصناعة والزراعة.

ولاحظنا أن الزفت في الشوارع ليس في حالة جيدة كما هي في قلب المدينة التجاري مثل الحي الذي فيه فندقنا، فذلك شوارعه جيدة الزفت.

وكذلك الأرصفة التي تكون في أكثر الأحيان موجودة ولكنها على حالة رديئة من بعد عهدها بالصيانة والعناية.

هي نام كاو:

تركنا الشارع العام الذي كنا نسير فيه في

أحدًا من جيرانهم الصينيين الكفار دخلوا في الإسلام.

ولا شك أن السبب في ذلك هو ضعفهم في الدعوة، وتدني أحوالهم الاقتصادية الذي يجعل الناس من غير المسلمين ينظرون إليهم وكأن دينهم دين الفقر والتخلف، وإلا فإن الفقر وحده ليس مانعاً من الدعوة إلى الإسلام ولا صادراً عن الدخول فيه، لأن كثيراً من المسلمين الفقراء ذوي البصيرة في الدين قد ادخلوا أعداداً من الناس في الإسلام حتى من الأغنياء.

وذلك بتمثلهم الإسلام حقيقة. ثم بتمثيلهم له أمام الناس قولاً وعملاً واعتقاداً ونشاطاً في الدعوة إلى الله.

أحضر هؤلاء الإخوة الكرام دفتر الزيارات الخاص بالمسجد والمدرسة فلم أر فيه ولا كتابة واحدة بالعربية، وليس فيه ذكر لأي شخص عربي زارهم قبلنا، مما جعلنا نعتقد أنهم منسيون أو كالمسيين من إخوانهم المسلمين في الحواضر الإسلامية.

ولذلك سألتهم عما إذا كانوا قد تسلموا تبرعات من إخوانهم المسلمين من خارج البلاد غير قومهم الفيتناميين؟ فأجابوا أنهم لم يتسلموا أي شيء إلا أنهم يذكرون أن رابطة العالم الإسلامي كانت قد أرسلت قبل ٩ سنين عشرة آلاف دولار أمريكي تم توزيعها على المساجد والمؤسسات الإسلامية في فيتنام.

المدرسة الإسلامية:

وبجانب المسجد مدرسة إسلامية في مقر متصل بالمسجد بل هو جزء منه رأينا فضلاً فيه مقاعد خشبية جيدة وسبورة عليها كتابة بالعربية مع أننا جئنا إليهم نون موعد مسبق، وإن كانت الكتابة تدل على عدم معرفتهم بالشهور العربية وهي السبت ٤ ربيع الآخر ١٤١١هـ، بسم الله

كبير وأدى فريضة الحج، وقالوا: هذا هو اسمه الكامل عندما سألته عن اسمه الكامل.

وفيه أيضاً الأخ (محمد يوسف) خازن جمعية المسجد.

حدثنا عن بناء المسجد بأن ذلك كان في عام ١٩١٨م وأنه بني في ذلك التاريخ لأول مرة يعني أنه لم يكن في مكانه مسجد قديم صغير جدوا بناءه.

وذكروا أنه بني من التبرعات - وهذا ظاهر - ولكن أي تبرعات، قالوا: إن بناءه وكذلك الإنفاق المتكرر عليه وعلى مدرسة إسلامية إنما هو من (خيرات) المسلمين.

وكلمة (خيرات) يراد بها هنا تبرعات أو صدقات، فسألته من أين لهم الصدقات وهم فقراء؟ فأجابوا: بأنها ليست منهم وإنما هي من إخوانهم المسلمين المهاجرين في فرنسا يرسلون إليهم الخيرات قبيل شهر رمضان من أجل توفير طعام الإفطار لفقراء المسلمين، كما يرسلون إليهم التبرعات للإنفاق على المسجد.

ولا شك أن ذلك قليل كما أخبرونا وأنه لا يفي بالصاجة ولكن هو الذي باستطاعتهم الحصول عليه.

كما ذكروا أنهم يستعينون أيضاً بتبرعات محلية صغيرة من المسلمين الموجودين في الحي على قلة ذات اليد عندهم.

وأخبرونا أن عدد المصلين في المسجد يوم الجمعة يتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠ وفي الأوقات المفروضة المعتادة ١٥ إلى ٢٠.

وهذا قليل بالنسبة إلى عدد المسلمين هنا، ولكن بعضهم بعيد عن المسجد، وبعضهم أثرت فيه التربية الشيوعية القائمة على الإلحاد.

ولذلك عندما سألتهم عما إذا كان المسلمون يزيرون، ذكروا أنهم لا يزيرون وأنهم لا يعرفون أن



احدي حلقات الدرس في المدرسة التابعة للمسجد

الرحمن الرحيم:
وتحت ذلك
بالعربية أيضاً،
الإسلام يعلو ولا
يعلو عليه، قبلنا
ونون معرفة
ربنا.

يراد أنهم
قبلوا بالإسلام
ديناً دون أن يروا
الله سبحانه
وتعالى، وهذا
مثل قول العامة
في بلادنا: (الله
ما شيف بالعين

لكن عرف بالعقل) وشيف: رؤى.

أخبرونا أن تلاميذ المدرسة عددهم (٥٠) وهم
مختلطون ما بين الذكور والإناث، وعدد المدرسين
ثلاثة، ومع ذلك يعانون صعوبة في توفير الرواتب
للمدرسين ويستعينون على ذلك ببعض ما يدفعه
القادرون من أولياء أمور الطلبة.

ورأيت سيورة أخرى قد كتب عليها بالحروف
العربية (لا كوافاتحه) ذكروا أنها من لغة تشامبا
وأن معناها قراءة الفاتحة على أرواح الموتى من
المسلمين.

وقد تجولت في الحي بعد ذلك وألح علي طائفة
من الأطفال عندما رأوا المصورة بيدي في التقاط
صورة لهم وانضم إليهم بعض النسوة، وصفقوا
عندما لمع نور المصورة ورفضوا فرحاً كما يفعل
بعض الإفريقيين.

ولاحظت أن في هذا الحي كما في أكثر
الأحياء الشعبية شياً كبيراً بأحياء التايلانديين،
فالنساء يطبخن الطعام في الشارع يبعثه على

المارة، ومن ذلك: قالية الموز وهي التي تباع الموز
المقلي بالزيت حاراً، بل إنها تقليه أمامك وهو
رخيص ولذيذ اشتري أحد الإخوة المرافقين لنا
شيئاً منه. وهو منظر مألوف في أكثر بلدان
تايلند، بل هو مألوف في أكثر البلدان الاستوائية
في آسيا وإفريقية.

وهنا لا بد للسائح أن ينظر في وجوه الناس
ليقارن في نفسه بينها وبين من رآهم قبل ذلك،
فكانت المقارنة أن البائعات لسن على شيء من
الجمال وأن عيون الناس هنا صغيرة تكاد تختفي
من وجوههم عند الضحك بل حتى عند الابتسام.

وببعد هذا الحي ٨ كيلات عن فندقنا، وكل ذلك
عبر شوارع مكتظة بالناس والدراجات، لذلك
استغرق وصولنا إليه من الفندق ٥٠ دقيقة.

كررت السؤال عن قرية (تام بو) قرية
الفييتاميين المسلمين الأصلاء التي ذكروا أن فيها
مسجداً لهم، وأنها تقع إلى هذه الجهة التي فيها



مبان سكنية موازية لمجري المياه

مسجد السعادة هذا، ولكنها خارج مدينة (هوشي منه) فتذكروا صعوبة الوصول إليها لأنه لا بد من إذن من حكومة فيتنام التي تحظر على الأجانب أن يغادروا العاصمة إلى البلدان التي تقع خارجها إلا بإذن خاص، ذكروا عائناً أخسر وهو أن طريق السيارات التي يذهب جهتها لا يصل إليها وإنما ينقطع قبل الوصول

إليها بثلاثة كيلوات لا بد للمسافر أن يقطعها على قدميه لأن السيارات لا تستطيع السير عليها . وقال آخرون: إن هناك طريقاً آخر بعيداً يحتاج فيه إلى ركوب قوارب في النهر .

إلى هي نونج تاي:

ويبعد عن مسجد السعادة هذا بثلاثة كيلومترات ويعتبر في وسط مدينة (هوشي منه)، والقصد من ذلك زيارة مسجد كبير هناك، ذهبنا إليه مع شارع واسع ذي اتجاهين تفصل بينهما جزيرة فيها حشائش وحشية أي غير مزروعة ومع ذلك هي مهمة .

واشتد الزحام كالعادة من البراجات يتوابعها في هذه الشوارع ولكن الملاحظ أن عدم السرعة هو الغالب عليهم سواء من كان منهم على سيارة مثقالاً وهو قليل أو من كان على دراجة نارية .

وصلنا للجامع الذي يقع على شارع مهم اسمه (ون داي) فوجدنا اسمه عليه بالعربية (جامع المسجد) ویراد بذلك (مسجد الجامع) أو (المسجد الجامع) وتحت بالعربية ١٣٥٥هـ، ١٩٣٢م

وفوق ذلك البسمة أي (بسم الله الرحمن الرحيم)، ولكنها غير مكتوبة بالحروف وإنما بالأرقام التي ترمز إليها وهي (٧٨٦)، وهذه عادة رأيها مستعملة كثيراً في بورما، حيث يكتب المسلمون على الأبنية الضخمة التي يملكونها هذه الأرقام (٧٨٦) التي تعني (بسم الله الرحمن الرحيم) بحساب الجمل .

والمسجد فخم المظهر له أربع مآذن عالية وقبة، وقد بناه الهنود كما كانوا قد بنوا المسجد الأول الذي رأيناه، فهذا هو ثاني مسجد لهم في هذه المدينة (هوشي منه) التي كانت تسمى (سايقون) في السابق، وليس لهم مسجد ثالث .

ومصلاه الرئيسي مستطيل كما هو طابع المساجد في هذه البلاد بأن بينها مستطيلة نوعاً ما وليست عريضة أو مربعة كما يفعل بعض الناس في مساجدهم ويجانبه بركة للوضوء مليئة بالماء على عادة أهل الهند وبخاصة في الجنوب هناك حيث أكثر المسلمين يتمة هيون يذهب الإمام الشافعي، وفيه رواق خارجة يصل في أيضاً إذا



الركشا أداة النقل المنتشرة في فيتنام

امتلا المسجد بالمصلين مع أنهم أخبرونا أن عدد المصلين قليل بالنسبة إلى ضخامة المسجد، وبالنسبة إلى عدد المسلمين الذين كانوا موجودين في هذه البلاد قبل استيلاء الشيوعيين على الحكم، إذ رحلوا مثلما رحل غيرهم من التجار وأرباب الأموال. عقدنا جلسة مفيدة

في داخل المسجد مع رئيس جمعية المسجد

مظهر جاوي فهو من قبيلة تشامبا ويضع (غتره) على كتفه.

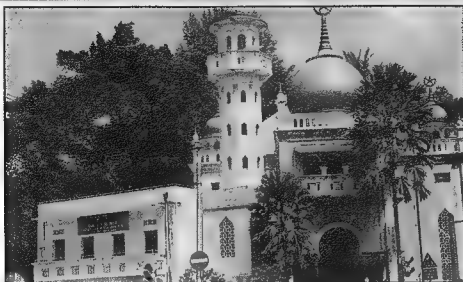
وقد أخبرونا أن الذين يصلون الجمعة فيه لا يزيدون على ٤٠ والصلوات اليومية ١٠٠ مصلين، وذلك لكون المسلمين الهنود الذين كانوا يسكنون في هذه المنطقة الغالية من وسط المدينة قد رحلوا ويصلي الآن فيه أخوة من (تشامبا) القبيلة المسلمة المشهورة في هذه البلاد.

وللمسجد فناء مكشوف غير واسع ولكنه مظلل بأشجار ضخمة يأسفة رأيت تحت أحدها عجوزاً من المسلمات قد جلست فوق أرجوحة معلقة في غصن قوي من أغصان الشجرة ما أن رأنا وصلنا إليها حتى بادرت بتغطية رأسها وشعرها، أما الحجاب بمعنى تغطية الوجه فذلك غير موجود في هذه البلاد بين المسلمات، بل غير موجود في المنطقة كلها.

«للرحلة صلة»

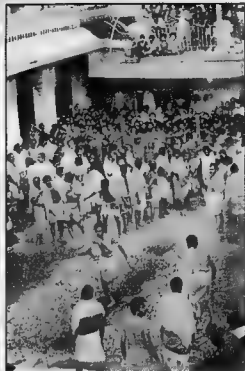
الأخ محمد صالح بن يوسف وهو موظف حكومي يعمل في الكهرباء وإمام المسجد (حاجي محمد إدريس بن يوسف)، وعدد غيرهم من المسلمين.

نذكروا أن المسجد يحتاج إلى إصلاح فسقف الرواق يكف أي ينزل منه المطر، كما يحتاجون إلى إصلاح آخر مجموعه (٢٠) مليون دونغ ويساوي ذلك ألفاً ومائة دولار أمريكية، وأنهم عاجزون عن توفير هذا المبلغ، مع أن المسجد كانت له أوقاف كثيرة منها خمسون بيتاً، ولكن الحكومة الشيوعية صادرتها وأسكنت فيها أناساً من الذين تقول إنهم لا بيوت لهم مع أن توفير حاجتهم من البيوت من مسؤولية هذه الحكومة التي تعلن أنها شعبية جاءت لتوفير ما تحتاجه عامة الشعب من مأكول وملبس ومسكن، وقد وعدناهم بإرسال هذا المبلغ من رابطة العالم الإسلامي وبأننا سوف ندفع مبلغاً رمزياً من المال لمساجد هذه المدينة سنسلمه للجمعية الإسلامية هنا غداً، أما الإمام الأخ (محمد إدريس يوسف) فيتقاضى راتبه من (الخيرات) كما يقولون أي من التبرعات، وهو نو





- التتن أحد معالم عيد رأس السنة الصينية.



- المشي على الجمر للتقد، أحد مظاهر الفرح
عنهم.



- مسابقات التجديف خاتمة مهرجاناتهم.

الاسلامي - شهرا للصوم المفروض من طلوع
الفجر حتى غروب الشمس عند المسلمين، وهو
ايضا من افضل ايام السنة لتذوق الحلويات
الماليزية حينما توضع هذه المأكولات المغرية على
الاطباق عند حلول الظلام في الاحياء المسلمة
كشارع البصرة.

ويطبخ «هاري رايابواسا» (عيد الفطر) نهاية
شهر رمضان، وهو الفرصة المختارة لتوثيق
الروابط الاسرية في احتفالات خاصة، وبعضاء

الورقية والمصابيح وبالموسيقى والرقص
التقليدي وبالبسطات الملونة لبيع أدوات
الصناعة اليدوية وقطع الطوى فابحث
عن الكتابات التي تعلق في البيوت لجلب
الحظ واكتشف البسطات المغطاة بزهور
الصفصاف الابيض والليمون والاقحوان.

تحتفل تشينغاي بالسنة القمرية
الجديدة بموكب صاخر الالوان لا يمكن
نسيانه، وعلى «أوريكيد رود» وفي المنطقة المحصورة
بين «سكوتس رود» و«دهوبي غاوت» تتوقف حركة
المرور لفسح المجال امام الجمهور، وتجلب العربات
الزاهية ورقصات الاسد والبهالين ويشيع
المصارعون والمغنون على العكاكيز الخشبية
والفرق الموسيقية والراقصون الماليزيون
والمشاركون الاجانب جوا دوليا للحدث.
ويعتبر رمضان - الشهر التاسع من التقويم

ويذهب معتقد صيني إلى أن أبواب الجحيم تفتح على مصاريعها في الشهر السابع من السنة القمرية وأن ارواح الموتى تكون حرة في التجول عبر «عالم النور» لمدة ٣٠ يوما، وخلال «عيد الاشباح الجائعة» يقدم الصينيون القرابين ويوقدون الشموع والاوراق المغطاة وعيدان البخور خارج المنازل والمكاتب لتهدئة الارواح المخلوعة

والتائهة وخلال شهر، وفي ملتقيات الطرق في الحي الصيني وايضا خارجه في المدينة تقام الولائم تحت الغيام الكبيرة والصفلات الموسيقية والعروض المسرحية (وايانغ) في الهواء الطلق.

وفي التاسع من اغسطس (آب) تحتفل سنغافورة بعيدها الوطني «اليوم الوطني» ففي هذا اليوم تتابع بشكل مؤثر المواكب والالعب النارية ويستمر كرنفال اليوم الوطني عشرة ايام وهو اكبر التظاهرات التي تتضمن الالعب والملاهي في سنغافورة وتجذب اكثر من

مليون من الناس وفي نفس الفترة يحتفل بـ «سوينغ سينغابور» وهو الطيبة السنغافورية لثلاثاء المرفح او عيد الجعة، ويطلق اوركيد رود في وجه حركة المرور لفسح المجال امام موكب ضخم يجمع بنصف مليون شخص من المقيمين والسياح، انه موعد للموسيقى والانوار والرقص طوال الليل. ويجري مهرجان كعكة القمر في الليلة الخامسة عشرة للشهر القمري الثامن ويرتبط هذا العيد الصيني بكل انواع القصص الغريبة، وتروي

الحي القديم في جيلانغ بصفة خاصة بأكمله وتزين البيوت المائليزية بالفوانيس كما ترتاد البازارات في الشوارع.

وفي عيد ميلاد الامير الثالث يكرم إله طفل - هكذا في معتقدهم - يمتطي «دواليب الريح والنار»، ويحمل سوارا سحريا ورمحا، ويقوم وسطاء خارجون عن أطوارهم بطعن أجسادهم بالخناجر

والسيوف، وتراق دماؤهم على طلائس من ورق اصفر يحتفظ بها المتدينون بحرص شديد، وتقام هذه الطقوس في المعابد الصينية او في اماكن اعدت على عجل في الهواء الطلق.

اما «يوم فيسك» فهو يوم احياء ذكرى ميلاد بوذا - عند البوذيين - ودخوله «الفيرقانا» وهي حالة من السكينة - فالرهبان في ثيابهم الزعفرانية ينشدون «السوترا» وغيرهم يصلون ويتأملون في المعابد، والطيور تحرر من أقفاصها وعندما يحل الليل تؤذن مواكب الشموع بنهاية الاحتفال.



- يقام الام والسهم مغرزة في صدره وفمه.

كل سنة، يكرم مهرجان قوارب التين شاعرا قديما ورجل دولة صينيا كان قد اغرق نفسه احتجاجا على الفساد السياسي والظلم، وتروي الاسطورة ان الصيادين يتسابقون في محاولة لانقاذه وانهم يقرعون الطبول والصنوج والاجراس بنشاط ويرمون الارز في البحر ليمنعوا الاسماك من التهامه، وأهم لحظات الاحتفال هي مسابقة التجديف العالمية حيث تتواجه فرق الجادفين من عشرين دولة.



من الاحتفالات لديهم



شراء الحلويات استعدادا للعيد

امسا «ديافالي» او عيد الانوار وهو تظاهرة هتوسية سارة تبرز انتصار النور على الظلمات والخير على الشر، وتقصد المعابد للصلاة لكن عطر الطوى يملأ معظم المنازل وتزين المعابد والشوارع في الحي الهندي بأشـرطة الزينة والانوار الازهار.

(هـ) هذا المقال مترجم عن كتاب:

Surprenante Singapore, Singapore
Tourist Promotion Board, PP: 16 - 19

احدى الاساطير ان الرسائل السرية تخفى في الحلويات المتنوعة على شكل البدر من طرف الوطنيين الصينيين الذين يرومون الاطاحة باسرة يوان المغولية، وكيفما كان اصله فانه يعتبر من أكثر الاعياد طرافة، فالاطفال يتجولون بفوانيس ذات اشكال حيوانية، وفي المساء تعرض الفوانيس الصينية من كل الاشكال ومن كل الاحجام في الحديقة الصينية، وتحشى كعكات القمر بسكاكر غريبة وتوجد في جميع اشكالها بديكاكين الطوى وفي المخازن الكبرى وفي الحي الصيني.

كل سنة ، واثناء الحج الى جزيرة كوسو يأخذ الصينيون زورقا الى «جزيرة السلحفاة» (كوسو) لالتماس الرفاهية والسعادة والخصب في معبد «توايكونغ».

وتكرس الليالي التسع لـ «نافاراثيري» للصلوات الحارة لزوجات الثالوث الهندوسي بينما يسعى الاتباع الى الارتقاء ويبلغ ذروته بالموكب الى معبد

«تاتك رود» وترافق الصلوات في المعابد الهندوسية كل مساء، الموسيقى الهندية والرقصات التقليدية.

ويعتبر «ثيمييتي» احتفالا سنويا للمشى على النار، وتفرغ الجماهير الى معبد «سري ماريامان» على طريق الجسر الجنوبي لمشاهدة المتعبدين الهندوس وهي مندهشة يمشون دون ان تخور قواهم على الجمر المتقد وتبدأ الاحتفالات في الساعة الثانية صباحا حين توقد النيران ويبدأ المشى على النار حوالي الساعة الثانية بعد الزوال.

التاريخ السعودي

وجيء بالفرارة لم تتغير، وكان صاحبها قد وصل إلى وطنه فأرسلها الإمام عبد العزيز إلى أمير الزبير، وأمره أن يرسلها إلى صاحبها في ناحية العجم.

وفي حادثة أخرى وقعت في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد أيضاً يقال إن رجلاً من سُرَّاق الأعراب وجدوا عنزاً ضالة في رمال نفوذ السر المعروفة في نجد، وهم جياع وكانوا مقيمين يومين أو ثلاثة في جوع شديد، فقال بعضهم لبعض لينزل أحدكم على هذه العنز، فيذبحها لنا لنأكلها فكلّ منهم يقول لصاحبه إنزل إليها، فلم يستطع أحد منهم النزول خوفاً من العقاب على الفاعل، فألحوا على رجل منهم فقال: والله لا أنزل إليها فتركوها وهم في أشد الحاجة إليها [٤].

حق قديم وعدل مقيم:

يحكى أنه في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود خرجت امرأة من أهل بريدة كانت ذات مال وجاه، إلى البرية أيام الربيع، ومعها بعض خدمها، فلما أرادوا الرجوع إلى البلد جنّ عليهم الليل فضلّوا الطريق، فلما قرب الصباح انفردت هي عن جواربها لوقوعهن بين تلال فصادفها رجل سارق، فيه سمات الخبث

والإثم، فقال لها: من أنت؟ قالت: فلانة، وكانت مشهورة بالصدق أيضاً، فلما سمع بها وهو يعرفها بالاسم والصيت، قال لها: أهلاً وسهلاً، وكان طامعاً بها فلم تجبه إلى أكثر من قولها: انظر من خلفك؟ خفاف، فالتفت ملياً فلم ير أحداً فقال لها: من ذا الذي تهربيني به؟ قالت: عبيد العزيز آل سعود، فإن كنت عاقلاً فلا تطمع،



إعداد:
عبد الله بن ناصر الحديب
- السعودية -

أمن وعدل:

في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد [١] أتى حاج من العجم ونزل قرب واد تقيم حوله إحدى القبائل فسُرّق من الحاج غرارة [٢] فيها من الحوائج ما يساوي عشرة قروش وكانت للعشرة قروش آنذاك قيمة - فكتب صاحب الغرارة إلى الإمام عبد العزيز - إمام الدولة السعودية الأولى -

يخبره بذلك، فأرسل إلى رؤساء تلك القبيلة، فلما حضروا عنده قال لهم: إن لم تخبروني بسارق الغرارة وإلا جعلت في أرجلكم الحديد وأدخلتكم السجن، وأخذت نكالا [٣] من أموالكم، فقالوا:

ذرنا نصل إلى أهلينا ونسأل عنه ونخبرك، ولم يكن بدّ من إخباره، فلما أخبروه به، أرسل إلى ماله وكان سبعين ناقة فباعها وأدخل ثمنها بيت المال

طوسون فعادت هذه الحملة تشكو الحر والجوع، وأماً الحملة الثانية فقد عادت بتحدث عن بدوية بأسلة كانت في طبيعة العربان تحرضهم على القتال هذه البدوية هي غالبية وقد هاجمت بنفسها جيوش «مصطفى بك» قائد الحملة فهزمتهم شر هزيمة[٨]. فتعال لتعرف خبر وقصة غالية:

ولدت غالية في «تربة» قرب مدينة الطائف الواقعة غربي شبه الجزيرة العربية، وعاصرت الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وتغلطت دعوته في قلبها فبذلت من أجلها الغالي والنفيس ومكثت زمناً تدعو إلى الحق وترك زيارة القبور للدعاء أو التبرك وحذرته من الشرك والخرافة.

وبسبب مناصرتها لدعوة الشيخ لقبت بـ «غالية البقمية أو الوهابية» وكما هي سنة الصراع بين الحق والباطل فقد شن أعداء الحق حربهم على الدعوة التجديدية المباركة[٩].

يقول محمود فهني المهندس متحدثاً عن غالية: «لم يحصل من قبائل وعشائر العرب القاطنين بالقرب من مكة المكرمة مقاومة ولا مبارزة أشد مما أجراه عرب البقوم في تربه». وكان قد لجأ إليها معظم عساكر الشريف غالب، وصارت تربة نقطة تجمع انصار الدعوة المباركة الموجودين في الجهة الجنوبية - كما أن الدرعية نقطة تجمعهم في الجهة الشمالية - وكان قائد هؤلاء العربان في هذا الوقت امرأة أزملت اسمها غالية كان زوجها أشهر رجال هذه الجهة وكانت على غاية من الغنى والثروة ففرقت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يريدون القتال»[١٠].

«وكانت مائدتها دائماً معدة لكل اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المخلصين الذين يعقد زعمائهم مجالسهم في بيئتها، وبما أن هذه السيدة الكبيرة كانت مشهورة بسداد الرأي

فأخذ يتملق ويلتمس منها المقاربة حتى غلب على أمرها بأخذ المال الذي معها من الحلي وتخليفة سبيلها، فاستغتمت ذلك، وهي عارفه أن المال لا يفوت، فلما بزغت الشمس، عرفت السبيل المفضي بها إلى البلد، فسلكته حتى انتهى إلى بيئتها، وكانت ذات زوج فسلكت عن حالها بالأمس، وسبب التخلف، فقصت عليه القصة، فما كان منه إلا أن رفعها إلى الإمام عبد العزيز فجعل عبد العزيز يسأل ويتفحص ويبحث ويلح في البحث معلناً ومسرراً، وكلما مرت الأيام اقتربت منه المعرفة وكشفت الجريمة عن بعض ملامحها. أما السارق الأثيم فكان كلما مرت الأيام ومرت الشهور والسنين اطمأن وهدأ وأيقن أن الجريمة قد ماتت في أكفان الزمان.

وبعد أربعة عشر عاماً، عرف الإمام عبد العزيز خبر ذلك السارق وأنه ينتمي لقبيلة معروفة في نجد، فأرسل في طلبه، فلما جاءه قال له:

أندري مالنا عليك من الدين؟

قال: أيها الإمام، إنني لم أقترض منك ديناً!

قال الإمام عبد العزيز: بل الحلي التي سلبتها! فإنها دين يجب أن يؤدي، لكن الرجل حاول المزاوغة والاحتتيال والكذب، فحاصره الإمام بالأدلة، ولم يزل به حتى خارت قواه فاقتر بجريمته، فحكم عليه الإمام برّد ماله من الحلي.

وضمان ما فقد منها، ثم أوقع به عقوبة الدين[٦].

غالية:

أثناء الحملات العثمانية التي سعت للقضاء على الدولة السعودية الأولى، توجهت حملة سيرها: حاكم مصر محمد علي باشا باتجاه «تربه»[٧] في صيف ذلك العام بقيادة ابنه

والمعرفة الدقيقة بأمور القبائل المحيطة بها فإن صوتها لم يكن مسموعاً في تلك المجالس فقط وإنما كان هو المتبني بصفة عامة [١١].

وفي ذي الحجة ١٢٢٨هـ (نوفمبر ١٨١٣م) هاجم طوسون تربة ومعه ٢٠٠٠ نفس ولكن أهلها - الذين كان وجود غالبية بينهم يزيدهم حماساً وإصراراً - تصدوا بشجاعة للهجوم، واضطر جنود طوسون إلى التقهقر وتركوا خيامهم وأسلحتهم وقتل منهم ٧٠٠ شخص ومات كثير منهم جوعاً وعطشاً [١٢].

لقد أبلت «تربة» بلاءً حسناً في مقاومة العدو. وتآلفت «غالية» بحكمتها وبذلتها وتنظيمها للصفوف وتحريضها على القتال حتى لقيت بـ «الأميرة» لم تكف غالبية بتربية الناس وتعليمهم، بل حرضتهم على الجهاد، وضربت لهم أروع الأمثلة في التضحية والعطاء [١٣].

وقال مؤرخ مصر «الجبرتي» في حوادث صفر ١٢٢٩هـ: وفي يوم الاثنين الثاني من شهر صفر وصل مصطفى بك أمير ركب الحجاج إلى مصر وسبب حضوره أنه ذهب بعساكره وعساكر الشريف من الطائف إلى ناحية تربة، والمتأمر عليها امرأة فحاربتهم وإنهزم منها شر هزيمة، فحقن عليه الباشا وأمره بالذهاب إلى مصر مع الحمل [١٤] «وقد ذاع اسم غالبية في كل البلاد منذ الهزيمة الأولى لمصطفى بك قرب تربة». وسرعان ما ضاعف مخاوف الجنود الأتراك منها نفوذها وأهميتها ورووا أسخف القصص عن قواها [١٥]، واعتقلوا أنها ساحرة وأن لها قدرة على إخفاء رؤساء واتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أعينهم [١٦]. وما إن تسمع جيوشهم باسمها حتى يجبنوا عن القتال، ويعوبوا القهقري، وبدأوا يروون عنها العجائب والخرافات وربما كان رؤساء الجيش الغازي يروجون هذه

الخرافات والأكاذيب ليبرروا سبب هزيمتهم ظناً منهم أن هذه الحرب الإعلامية ستكون من صالحهم، ولكن ما حدث كان خلاف ذلك فقد ثبتت هذه الأكاذيب من هم جيشهم، وياتوا في هلع وجبن وخوف وخور عن مقاتلة غالبية وجيشها [١٧]. وجاء في حوادث جمادي الأولى ١٢٢٩هـ (٢٤ أبريل ١٨١٤م) من تاريخ الجبرتي ما يلي: وفي اليوم الرابع وصلت هجانة من ناحية الحجاز، وأخبر المخبرون أن طوسون باشا وعابدين بيك ركباً بعساكرهما على ناحية تربة التي بها المرأة التي يقال لها غالبية، فوقعت بينهم حروب ثمانية أيام، ثم رجعوا منهزمين ولم يظفروا بطائل [١٨].

وفي مطلع سنة ١٢٢٠هـ جرت معركة «بسمل» المشهورة - مكان قرب تربة - بين الجيش السعودي والجيش الغازي بقيادة محمد علي باشا الذي أقبل بعدد هائل من مصر لما رأى ابنه يتجرع الهزيمة تلو الأخرى وتولى محمد علي القيادة العامة للجيش وتقابل الطرفان الجيش السعودي ثلاثون ألفاً وجيش محمد علي يفوق هذا العدد بكثير علوة على تفوق جيشه في العدة والعتاد والآلات الحربية، وجرت معركة يشيب لهولها الوليد وانجلت عن انتصار جيش محمد علي وبعد هذا الانتصار بدأ الغزاة بتتبع قادة الجيش السعودي ليتم ترحيلهم إلى القسطنطينية ليتم إعدامهم، وحرصوا أشد الحرص على القبض على غالبية، التي كانت قد لجأت بعد الهزيمة إلى إحدى القبائل واختفت بينهم، فراسلها الغزاة وأمنوها بالوعود وأعطوها المواثيق والعهود لتخرج ولكنها أبدت رفضها، لأنها اعتادت منهم الغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهود، ولأنها توقعت أن مصيرها سيكون مصير العشرات قبلها ممن أعطاهم هؤلاء الغزاة

الدرعية ثم اطلقت عليه نيران المدفع نفسه لترديه قتيلاً، وكان إبراهيم باشا يريد: «من خان لك خان عليك» [٢٣] ويقصد إبراهيم باشا بذلك أن هذا الثائر على الإمام عبد الله بن سعود قد خان قائده وإمامه لذلك فإنه سوف يأتي اليوم الذي يخون فيه ذلك الثائر ويغدر بإبراهيم باشا، ولذلك كان مصير ذلك الخائن القتل.

قصير لا يهدم:

بعد أن تم لمحمد بن عبد الله بن رشيد القضاء في معركة حريملاء سنة ١٢٠٩هـ على آخر حكام الدولة السعودية الثانية الإمام عبد الرحمن بن فيصل كانت هذه المعركة بمثابة الإعلان عن نهاية تلك الدولة فأمر محمد بن رشيد بهدم قصر الحكم بالرياض [٢٤] الذي كان مقر حاكم الدولة السعودية الثانية - والتفت ابن رشيد إلى أحد أصحابه وقال: أترى هذا البيت يقوم ثانية؟ قال له الرجل مجابلاً: لا يا الأمير ولا يوم يبعثون... وكان ابن رشيد عاقلاً حصيفاً فقال: لا يا بعد حيي والله الذي لا إله إلا هو إنه سيقوم وستسمع «لينة طينة» [٢٥] فتعجب الرجل من رد ابن رشيد وقال: وماذا عندك من استنباط؟ قال: يا بعد حيي آل سعود مؤسسون على نية صادقة وعلى دعوة ابن عبد الوهاب وهي المستمدة من أصول الإسلام وتعاليمه [٢٦].

وصدقت توقعات ابن رشيد عندما تمكن صقر الجزيرة الملك عبد العزيز من انتزاع الرياض واستعادتها سنة ١٢١٩هـ من عبد العزيز بن متعب بن رشيد ومن ثم شرع البطل عبد العزيز في بناء ما تهدم من قصور الرياض وأسوارها خلال بضعة أسابيع من استعادته لها.

ابن سعود وأهل القصيم:

أثناء معارك الملك عبد العزيز مع خصمه الكبير الأمير عبد العزيز بن متعب آل رشيد في

العهد والمواثيق والأيمان المغلظة ثم غدروا بهم شر غدر، واختفت غالبية واختفى خبرها معها فلا ندري عنها شيئاً بعد ذلك إلا ما ذكره صاحب «الدر المفاخر في أخبار العرب الأواخر» من أنها ذهبت إلى الدرعية وعاشت فيها [١٩] إلا أن هذا الاحتمال غير مؤكد [٢٠].

من خان لك خان عليك:

أثناء حصار الدرعية على يد إبراهيم بن محمد علي باشا سنة ١٢٣٣هـ الذي استمر أكثر من ستة أشهر أبدى أتباع الإمام عبد الله خلالها شجاعة فائقة، وتكبدوا - كما كبدوا عدوهم - خسائر فادحة، لكن موقف هؤلاء الأتباع كان يضعف تدريجياً بسبب طول الحصار وما يصل إلى قوات إبراهيم من إمدادات متوالية من جهات مختلفة، وبدأ اليأس يدب في نفوس بعض المدافعين، فترك جماعة منهم الدرعية ولم تقف الحال ببعضهم عند حد الهروب من الدرعية نجاة بأنفسهم من المصير المخيف، بل إن منهم [٢١] من خرج وانضم إلى إبراهيم باشا وكان من أبرزهم رجل ثار على الإمام عبد الله بن سعود نتيجة خلاف بينهما، ولا شك أن ذلك كان ضربة قاسية للمدافعين السعوديين، إذ أن ذلك الثائر كان يعرف مواطن الضعف في دفاعات الدرعية، ومن المرجح أنه أرشد إبراهيم إلى تلك المواطن فركز نيران مدفعيته عليها [٢٢] ولهذه الخيانة قصة حيث نصح القائد الثائر - بحكم معرفته مواطن الضعف في أسوار الدرعية - قائد الحملة إبراهيم باشا بأن يضع فوهات المدافع على ربوة مرتفعة ومحاذية لأسوار الدرعية وبالفعل عمل إبراهيم بتلك النصيحة ورأى آثارها يتهدم جزء كبير من سور الدرعية - حاضرة الدولة السعودية الأولى - ومكافأة من إبراهيم لذلك الناصح له فقد أمره بالثول أمام المدفع ذاته الذي هدم أسوار

يريدون ذلك، فصاح: هذا رأيك فقط! وأخذ ابن رشيد يتوعد الرشودي وأهل القصيم، فقام من عنده الرشودي فرعاً وابن رشيد يقول له: والله لو أن الله ولاني عليكم لأفعل كذا وكذا.

ثم عاد الرشودي إلى الملك عبد العزيز فقال له: ما عندك يا فهد؟ قال: أريدك على انفراد، قال: لا، قل ما عندك لقومك علناً فالأمر يهكم أنتم يا أهل القصيم قبلي، فتحدث الرشودي بما سمع ورأى ثم قال عبيد العزيز: هاه يا للمسلمين [٢٨]؟ فقالوا بصوت واحد: الآن جد الجد وأنت يا عبد العزيز ونحن معك على السراء والضراء، وعزموا على الحرب بجهد مضاعف في دفع الرجال والأموال حتى تم لهم ما أرادوا [٢٩] وبذلك دخلت القصيم في طاعة الملك عبد العزيز سنة ١٢٢٤هـ حيث قتل في هذه السنة عبيد العزيز بن رشيد في معركة روضه منها ليسدل الستار عن منافس خطير للملك عبد العزيز في نجد.

يطلب ملكاً لا تجارة:

يقول الأستاذ: صالح الزمام حدثني والذي محمد الزمام رحمه الله أنه حدثه من يثق به قال: لما فتح جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله الأحساء سنة ١٢٣١هـ وكانت في ذلك الوقت تحت سيطرة الدولة العثمانية وجد مبلغاً كبيراً من المال فأمر خادمه الخاص ويقال له «شلهوب» بأن يوزع المال على الرجال الذين مع الملك في ذلك اليوم، فوزع شلهوب المال وأراد أن يبقى جزءاً منه احتياطاً إذا دعت إليه حاجة يقول شلهوب: فذهبت لأستاذنه في ذلك فغضب ونظر إليّ شرراً وأهوى إليّ برجله فلو أصابتنني لقتلتنني وقال لي: وزع المال كله، أتراني تريد الملك أم التجارة لا أم لك؟ فوزعها كلها ولم يبق منها شيئاً [٣٠]، ويروي أن الملك عبد العزيز كان في وقت من

القصيم اشتد الأمر على أهلها، وقد كانت القصيم مسرح العمليات للمعارك بين ابن سعود وابن رشيد لا سيما وأنها قد شهدت معركة البكيرية، ومعركة الشنانة، وأخيراً معركة روضة مهنا. وأحس الملك في عبقريته نادرة ما يجول في بعض النفوس من التملل وأراد أن يشد أزر القوم بأن يقودهم بقلوبهم وليس بأبدانهم فقط، وأراد الإعذار وتبيين الأمر لهم بأنه ليس في صالحهم أن يتركهم الإمام عبد العزيز ويتولى عليهم الأمير الصارم، فجمع أهل الحل منهم مثل آل أبا الخيل وآل الرشودي، وآل الجربوع، وآل الربدي، وآل الشريدة. وبقي رؤسائهم وقال لهم: «يا أهل القصيم أنا أحبكم ولا أضمر لكم إلا كل خير، وقد رأيت ما فعلت الحروب بنا وبكم وأنا لا أكرهكم على الحروب، وأود الصلح بيني وبين هذا الرجل - يعني ابن رشيد - فأنا عازم على الرحيل وابعثوا من تثقون به منكم ليكلم الأمير عبد العزيز بن رشيد، فإن رحل وترككم فهذا والله خير لنا جميعاً، يذهب إلى الجبل - أي جبل شمر - وأذهب إلى الرياض وأنتم أحرصار في بلدكم [٣١]. وقد لقي هذا الاقتراح من الإمام عبد العزيز قبولا في النفوس، وفعلا أرسل أهل القصيم فهد العلي الرشودي - أحد الأعيان وكان ذكياً عاقلاً شجاعاً - كمندوب لمحادثة ابن رشيد في هذا الموضوع، وذهب إليه الرشودي وكان معسكراً قرب قصر ابن عقيل بعد معركة الشنانة، وما أن وصل الرشودي حتى بادره ابن رشيد قائلاً: ماذا تريد يا فهد الرشودي؟ فأجابه قائلاً: أيها الأمير تريد منك أن تضع الحرب عناً ويضع ابن سعود الحرب كذلك وكل يبقى في بلده، فرمجر ابن رشيد وقال: تبقى لي «جبه» يا بعد جني لينسحب عنكم ابن سعود وأبقى أنا. فقال الرشودي: أخشى أن أهل القصيم لا

أجر المحسنين ومن تلك الصادقة إلى يومنا هذا آليت على نفسي أن لا أدخر وسعاً من فعل الخير ما استطعت إليه سبيلاً [٢٣].

دهاء ملك :

في إحدى الليالي كان الملك عبد العزيز سارياً نحو أحد أعدائه، ومعه ثلثة من جنده، وكان راكباً فرسه، ومستعداً لأي طارئ أو مفاجأة تحدث، وعثر على رجلين من رجال البادية على جمل لهما، فأوقفهما وسألهما عن الجهة التي يقصدانها، والجهة التي أقبلتا منها، فأخبراه، فلم يقتنع بما قالوا، وشعر بفتنته وتجربته أنها غير صادقين، وأنهما بما قالوا يغطيان عن الجهة الحقيقية التي يقصدانها. ففاجأهما باتهامهما أنها «سبور لعنوه» [٢٣] فأنكروا، فانتزع أحدهما من مكانه، وبك بين يديه على سرج الحصان وذهب به بعيداً حتى أخفاهما الظلام. فسمع أصحابه طلق نار مرتين من مسدس، وبعد لحظات عاد عبد العزيز، وأهوى لينتزع الثاني، فانهار، وأقر بالحقيقة. وأخبر أنه وزميله كانا في مهمة تجسس لعدو الملك عبد العزيز، وأنه في المكان الفلاني. فسأله الملك عبد العزيز: ما اسم زميلك الذي انتزعت من خلفك قبل قليل؟ قال: فلان. قال الملك عبد العزيز ناده. فناداه فجاء يجري، ولم يكن أصيب بسوء. وقد استعمل الملك عبد العزيز هذه الخدعة ليقر هذا بما لم يقرأ به من قبل وأوهم هذا أنه قتل زميله، وأنه سوف يلحقه به، ونجحت كما رأينا وقد أبقاهما الملك عبد العزيز معه. وقال لهما إنه سوف يُغير على عدوه هذه الليلة، فإن وجد أنهما صادقان فيما أخبرا عن محل عدوه، فسوف يُخيرهما بين أن يذهبا أو يلتحقا بخدمته هو وإن تبين له أنهما كاذبان فسوف ينالهما عقابه [٢٤].

الأوقات في عسرة ضبانكة من قلة المال، وفجأة وصلت إليه مبالغ تقوق ما كان يتوقعه فأخذ يفرقها، وكانت ذهباً أحمر، فنظر إليه أحد محبيه وجلسائه نظرة عتاب، وفهم الملك عبد العزيز قصده، فقال له رحمه الله: أردت أن أجرب نفسي، هل «أقواها» أو «تقوانا»؟ وأني هل أتقلب عليها وهي تدعوني إلى الامساك أم اغلبها بالانفاق؟ [٢١].

صنائع المعروف تقي مصارع السوء :

في وقعة الشعيبه التي وقعت سنة ١٢٣٧هـ بين جنود الملك عبد العزيز وقبيلة شمر وكان من بينهم رجل من الوييار يقال له «حداد بن مجلوب» قال: كنت من نفر الذين أصيبوا في تلك المعركة إصابات قاتلة عديدة، ولكن أحياني الله بالرغم من أن الأعداء لم يتركوني إلا وهم يعتقدون أنني في حساب القتلى. والواقع أنني بقيت أياماً في وسط القتلى كواحد منهم بلا شعور ولا إحساس، اللهم إلا شعوراً نسبياً لا أستطيع أن أعبر عنه إلا أن أقول إنه شعور أكمل من شعور النائم وأقل من شعور الإنسان عندما يكون في يقظته الكاملة، وعندما أبلغ هذه الدرجة التي بين النوم واليقظة أشعر كأن إنساناً يحلب ناقتي التي لا أنكرها، فإذا انتهى منها ناولني حليبها الذي لا أنكر بالدنيا طعماً إلا منه، وبقيت تلك المدة أنعم بهذا الغذاء إلى أن عاد إلي إحساسي وشعوري وكامل صحتي، فوجدت نفسي أشبه ما يكون بالمرء الذي استيقظ بعد رقاد طويل، وعند ذلك ذهبت أفكر في سرّ حليب هذه الناقة التي كنت أسقى حليبها عندما كنت في تلك الحالة الخطرة وإذا بي أنكر أنها ناقتي التي وهبتها لأيتام توفي والدهم وهو لا يملك من حطام الدنيا درهماً، فذهبت ووهبتهم هذه الناقة فظلوا يشربون حليبها. وهكذا زاد إيماني بالله بأنه لا يضع

مقتلة هواشيش :

في سنة ١٣٢٢هـ وبعد معركة البكيرية بشهور يم عبد العزيز بن متعب بن رشيد أطراف بريدة بقواته ونزل «روضة مهنا» وهي مرعى خصيب مرع تسيم فيه الابل والأنعام كما يقصدها فقراء القصيم والمعوذين يأخذون الاعشاب والحشائش يرتزقون ببيعها في المدن والقرى، حتى اذا نزلها ابن رشيد - وهو ممثليء غيظاً وحقناً من توالي الهزائم عليه وخسائره الفادحة في الحرب وتمكن خصمه منه - وجد بها أربعين كهلاً فانياً من الفقراء العاجزين، ومع بعضهم اطفال لا يتجاوز أكبرهم العاشرة من عمره، اتواها كعادتهم يحصلون الحشائش وبييعونها وينفقون ثمنها على أنفسهم، وكانوا من أهل القصيم - والقصيم قد دخلت تحت طاعة الملك عبد العزيز - فما كان من ابن رشيد إلا أن أمر رجاله أن يأتوه بهم ووقفوا بين يديه ويبد كل منهم منجله يحصد به والمكتل يضع فيه الحشائش، وقد عرف هؤلاء المساكين مصائرهم من معاملات رجال ابن رشيد القاسية وأذاهم اياهم فوجموا، كما انتفض بعضهم هلعاً، وأجهش الاطفال بالبكاء والتوسلات . فلم يأن ابن رشيد ليكانهم، ولم يرق قلبه لدمعهم . . لقد أتى بالاربعةين الطاعنين في السن ورصدهم على أبعاد متساوية وجر رؤوسهم، كما قتل أولئك الاطفال الابرياء، واذ أتى دور شيخ بيض الدهر مفرقه، وتيقن أنه لا محالة قتل نظر إلى ابن رشيد بعينين مكودتين، ودمعة حزن واشفاق تتحدر على وجنتيه المتجددة وأمسك بطفله وقال: أيها الأمير، أفعل بي ما تريد وأبق على هذا الصبي، فان ورأى أيامي لا يعولهن غيرنا! فما كان جوابه إلا رأس الطفل يتدحرج على الاعشاب . . رأى الشيخ ما حل بفلذة كبده، فما

كان منه إلا أن انبجست عيناه الغائرتان بالعبرات الحارة وتحركت شفتاه الضامرتان بالفاظ متم بها، فجذبه ابن رشيد بتلابيبه جذبة قوية ظن منها ان روحه انتزعت منه انتزاعاً وهوى السيف على عنقه فسقط على الأرض ودمه يسيل عليها [٣٥].

لم يلدأ ابن رشيد بنوم من يوم تلك المذبحة حتى يوم مصرعه . . فكان يهب فزعاً صائحاً من نومه كائما يترأى له الشيخ والطفل والشهداء في أيديهم البواتر والرماح يسدونها إلى مقتله أو يخزونه بالابر، أو يضعونه في سفود ثم يضعونه على جاحم يتصرم [٣٦].

مكث ابن رشيد على هذا الحال سنة كاملة يتعذب قلبه وروحه فلا يهنا بطعام ولا يجد للنوم سبيلاً ويتقضي سنة ١٣٢٣هـ وتطل السنة التالية، وفي ليلة الثامن عشر من صفر من سنة ١٣٢٤هـ تنور معركة «روضة مهنا» بين الملك عبد العزيز وعبد العزيز بن متعب بن رشيد ويقتل في هذه المعركة ابن رشيد، وتشاء عدالة السماء أن لا يموت ابن رشيد إلا في الموضع الذي قتل فيه اولئك الابرياء الكهول فارتمى جسده فوق الصعيد الذي حصدهم فيه، وكذلك جزاء الظالمين [٣٧].

الهوامش:

- (١) هو الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولد سنة ١١٣٣هـ حكم الدولة السعودية الأولى بعد وفاة والده الإمام محمد بن سعود - مؤسس الدولة السعودية الأولى - سنة ١١٧٩هـ وكان عبد العزيز تلميذاً للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان لعبد العزيز ثلاثة من الابناء هم الإمام سعود، وعبد العزيز وعمر، توفي الإمام عبد العزيز سنة ١٢١٨هـ رحمه الله .
- (٢) الفارغة عبارة عن كيس مصنوع من شعر المعز توضع فيه الحوائج .
- (٣) النكال: هي غرامة مالية من نقد أو بهيمة الأنعام .
- (٤) الشيخ عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مطبوعات داره الملك عبد العزيز، ط ٤، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، الجزء

(٢٢) د. عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، مطابع الشريف الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، الجزء الأول، ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢٣) رواية شافعية عن ناصر بن محمد الحبيب.

(٢٤) يقع قصر الحكم القديم في قلب مدينة الرياض على مساحة نصفين من الجانب، وهو قصر آباء الملك عبد العزيز وأجداده ويمتد أن تولى جلالة الحكم والقيادة، سكن في القصر المذكور هو وعائلته بعد تعديله وإصلاح ما لزم إصلاحه آنذاك.

(٢٥) يقصد بها ما يورده العمال من غناء أثناء البناء مع العلم للحدث على سرعة البناء وإنجازه خاصة حين يتم صف اللبن وبقاء الجدار.

(٢٦) صالح محمد الزمام، نوافر من التاريخ، شركة مطابع نجد التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، الجزء الرابع، ص ٥٥، ٥٦.

(٢٧) تكشف لنا كلمة الملك عبد العزيز هذه عن حكمه سياسية رائعة هذا من جانب، ومن جانب آخر يمنح أهل القصيم حق تقرير المصير في بلادهم، تمكيناً لحرية الرأي وإقرار مبدأ العدل.

(٢٨) أراد الملك عبد العزيز بذلك أن يتبين رأي أهل القصيم بعد مقابلة الرشودي لعبد العزيز بن رشيد.

(٢٩) صالح محمد الزمام، نوافر من التاريخ، الجزء الثالث، ص ١٥٨، ١٥٩، كما وردت القصة ذاتها مع اختلاف يسير في كتاب «سفر الجزيرة» المجلد الأول الجزء الثاني ص ٣٦٤ - ٣٦٨.

(٣٠) صالح الزمام، نوافر من التاريخ، الجزء الأول ص ٤٨.

(٣١) أي بُني، د. عبد العزيز بن عبد الله الشويط، مطبعة سفير، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٥٢.

(٣٢) صالح الزمام، نوافر من التاريخ، الجزء الرابع ص ١١٢، ١١٣، و«من شيم العرب» فهد المارك، المكتبة الأهلية، بيروت، الجزء الثاني ص ٢٩٢، ٢٩٣.

(٣٣) هم الذين يتقدمون الجيش لسبر حالة العدو قبل الهجوم عليه.

(٣٤) أي بُني، مرجع سبق ذكره ص ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨.

(٣٥) لقد رتبَ هذه المنجحة في الاتفاق، ورويت حسداها جزية العرب كلها، فقد هزمت مشاعر القبائل العربية سواء من يسكن منها الصحراء أو المدن والقرى وأصبحت تُعرف منجحة الروضة باسم «مقلقة حواشيش» كما سميها البدو حتى أن جماعة من رجال ابن رشيد قد انقضوا من حوله لكي لا يكونوا على مقربة من الظالم ينظرون أعماله الوحشية ولا يستطيعون نصحه أو منعه.

(٣٦) نظم الأستاذ خالد بن محمد الفرج في ملحمته أبياتاً رائعة تصور مقتله حواشيش.

(٣٧) أحمد عبد الغفور عطار، سفر الجزيرة، ص ٥، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٣٧١ - ٣٧٦.

الأول، ص ٢٦٨، ٢٦٩.

(٥) المقصود به الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.

(٦) مؤلف مجهول، لم الشهاب تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد الطيف بن عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، المطابع الأهلية للأوقاف، الرياض، ص ٥٧، ٥٨، وكتاب عبد العزيز سيد الأهل، «داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب» دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م، ص ١١٨، ١١٩.

(٧) تقع بؤادي تربة بمنطقة مكة المكرمة على دائرة عرض ١٣° ٢١' شمالاً وخط طول ٤٩° ٤١' شرقاً.

(٨) أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته مؤسسة دار الريحاني، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م، ص ٨٢.

(٩) مجلة الأسرة، شوال ١٤١٥هـ - مارس ١٩٩٥م، العدد ٢٠.

(١٠) محمود فهمي المهندس، البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر، الجزء الأول، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣١٢هـ، ص ١٨٣.

(١١) الرحالة جوهان لوفنيغ بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، طبع بشركة الميكان للطباعة والنشر، الرياض.

(١٢) خير الدين الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، أيار - مايو ١٩٨٠م، الجزء الخامس، ص ١١٥.

(١٣) مجلة الأسرة، شوال ١٤١٥هـ - مارس ١٩٩٥م، العدد ٢٠.

(١٤) الصلاة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، الجزء الثالث، ص ٤٧٧.

(١٥) الرحالة جوهان لوفنيغ بوركهارت، مرجع سبق ذكره، ص ١٤١.

(١٦) خير الدين الزركلي، مرجع سابق الذكر ١١٥/٥.

(١٧) مجلة فواصل، فبراير ١٩٩٦م، العدد ٢١.

(١٨) الجبرتي، مرجع سبق ذكره، ٤٥٢/٣.

(١٩) إن أشد ما يعجب منه القارئ حينما يعلم أن مؤرخي نجد والعجانب لم يترجموا لغالية ولم ينكروا شيئاً من أخبارها - ولأسف - حتى قال الزركلي: «لم أجد في كتب مؤرخي نجد والمجانب ذكراً لأصلية الترجمة»، ومن حفظ تاريخ غالبيه ويطولاتها المخزان المصريان الأول: عبد الرحمن الجبرتي في كتابه «تاريخ عجائب الآثار» والثاني: محمود فهمي المهندس في كتاب «البحر الزاخر»، كذلك تحدث الرحالة السويسري جوهان بوركهات عن غالية، أما الرحالة الفرنسي موريس تاميزية فقد ذكرها في نص مقتضب مفيد.

(٢٠) مجلة فواصل، فبراير ١٩٩٦م، العدد ٢١.

(٢١) يذكر ابن بشر أن هناك عدداً من القادة الذين انضموا لآراهيم باشا، ومنهم رئيس الخيالة في الدرعية.

من الكلمة إلى الفكرة (٨)

وأما الحكمة
فوصول إلى غاية

الطريق.

تتشترك الحكمة في جذرها اللغوي مع ألفاظ أخرى هي امتداد لها ودوران في فلكها، ومن هذه الألفاظ: الحكم، والإحكام، والتحكم، والحكمة (بفتح الحاء والكاف)، وهي اللجام.

فالحكم قوامه إنعام النظر في شيتين أو عدة أشياء متعارضة بقصد استخلاص وجه الحق والصواب من تعارضها، ولا يكون الحكم صحيحاً إلا إذا انبنى على الإنصاف وسلامة التمييز ودقة الترجيح مع التبصر والأناة.

والإحكام
غايته منع
اختلال الفعل
بسد الشغرات
وشد حبال

الربط تجنباً لعوارض النقص والضعف والتفكك.

وأما التحكم فسبيله امتلاك القدرة على التصرف القويم في الأشياء القابلة للانفلات والتشتت.

والحكمة (بفتح الحاء والكاف) المراد منها ضبط وتيرة السير، وتوجيه حركته نحو غاية مقصودة بلا جماع ولا تعثر.

الحكمة تعطي بالصمت
أكثر مما تعطيه بالكلام
وبيان ذلك أن صاحب
الحكمة مجبول على

الحكمة مرتبة فوق
المعرفة، وهما مع
ذلك مرتبطان ارتباط الشعاع بمصدر
الضوء.

الحكمة مجالها النظر في الحقائق الكلية واكتشاف جواهرها من طريق الحواس الباطنة، وأما المعرفة فميدانها فحص الجزئيات التي لا سبيل إلى حصرها، ولا قدرة لمخلوق على الإحاطة بها.

يقول الغزالي:

«الحكمة حالة للنفس بها تترك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية» وقد يبدو بشيء من التأمل أن هذا التعريف ليس

بكاف من حيث إن
الحكمة ليست مجرد حالة

نفسية تقف عند حد الإدراك النفسي وذلك أن أحوال النفس من شأنها التغير، والحكمة من طبيعتها الثبات في طريق نشدان الكمال الذي يقتضيه إحكام القول وإتقان العمل.

وإذا كانت الحكمة تجمع بين القدرة على إدراك الحق والصواب وبين الاستعداد النفسي للعمل بهما، فإن المعرفة سعي إرادي غايته اكتشاف المسائل الغامضة ومحاولة تفسيرها، فهي بمثابة المشي في طريق مجهول،

بقلم
محمد العربي الخطابي

- الرباط -

التأمل، مدفوع بفطرته إلى الغوص في عمق الحقائق، طويل النفس في التنقيب عنها والتقاط جواهرها، وهو يزن الأشياء كلها بميزان القلب والعقل، ولذلك نراه يطيل الصمت ويجد في اللغو آفة تضعف التفكير وتقطع حبل التدبر، وربما أورثت الشك وزعزعت اليقين.

الحكمة شعبتان: شعبة تتطلق من كمال العقل، وشعبة تتبثق من فضيلة النفس، فإذا اجتمعتا في إنسان بانتهى له الحقائق، واستقر في وجدانه اليقين، واقتدت بسيرته وعمله الخلاق.

الخشية رأس الحكمة، والعدل نبراسها، والجمال صورتها، والمحبة مادتها، وإشاعة الخير والفضيلة مطلبها. فمن خاف الله أحبه الله، وأدخله في زمرة أوليائه، وجعل بينه وبين طغاة الإنس حجاباً مستوراً، ووهبه القوة حتى لا يخاف في الحق أحداً من دونه.

ومخافة الله إقرار بوحديته، وتسليم بمشيئته ومطلق تدبيره، واهتداء بشرائعه ورضاً بقضائه وقدره، وإنصاف لنوي الحقوق من خلقه حتى ينتشر العدل ويعم الأمان.

الحكمة من الله إبداع دائم، وآيات بينات لا ينقطع سناؤها ولا يخبو نورها، فهي تتوالى على مخلوقاته وتنتشر كالنجوم النيرات في عوالمه، فعيون تبصرها فتهتدي، وعيون يصيبها العماء دونها فتضل، وقلوب تستوعبها فتعلوها

السكينة، وقلوب تغفل عنها فيلفها الظلام. {أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سروباً على صراط مستقيم} (الملك/ ٢٢).

مصدر الحكمة هو الخالق - عز وجل - فمعه تتبثق أنوارها وتسري في عوالم ملكه كي تستقر في نفوس من يشاء من خلقه «يؤتي الحكمة من يشاء» فإذا نفذ نورها في قلب بشر تفتحت بصيرته، واستقام فعله حتى لا يرى إلا الحق، فإذا رآه اطمأنت نفسه إليه، وسار على هديه، وعمل على نشره. يقول الحق - سبحانه: {وممن خلقنا أمة يهتدون بالحق وبيه يعدلون} (الأعراف/ ١٨١)، فهؤلاء هم أهل الحكمة، وقد أوتوا خيراً كثيراً.

وإذا كان مصدر الحكمة واحداً فإن لها مع ذلك ينابيع تجري بإذن مؤتيها لترويه وتتعهد غرسها بالسقي والترطيب كي ينمو ويزدهر. فمن ينابيعها الجارية: الحق، والخير، والعدل، والإحسان، والبر، والمحبة، والسماحة، والرضا، والذكر.

الحكمة مطلوبة لذاتها ولما تؤدي إليه من صلاح وسعادة، وهي من أجل ذلك عزيزة المنال، ومثلها كمثل شجرة يتيمة يانعة الزهر طيبة الثمر، نابتة وسط غابة موحشة تعمرها الضواري المتربصة بفريستها آناء الليل وأطراف النهار. فكيف الوصول إلى شجرة الحكمة إذا كان هذا مثلها وكان الطريق إليها محفوفاً بالمخاطر، مفروشا بالأشواك، محجوباً عن إدراك البصر؟

■ ■ ■ عالمنا الاسلامي والعربي على امتداده يزخر بنماذج بشرية مثلت القوة في الاداء والعطاء من اجل الدين والوطن والامة... وهم باعمالهم تلك نماذج يقتدى بها... وعطاءات مخلصة رائعة ينبغي النسيج على منوالها... وهذه الشخصيات وأمثالها ينبغي ألا تُغيب وراء ضبابية النسيان ونكران الجميل... هذه الاعلام ينبغي الكشف عنها.

اعلام... وأعمال:

أبو العباس أحمد المقرئ من (روضة الآس) إلى (نفع الطيب)

١٠٤١هـ / ١٥٧٨ - ١٦٣١م) صاحب عملين فكريين جادين، بدأ بأولهما حياته في التأليف. وهو كتاب «روضة الآس العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين: مراکش وفاس» [١] وكان الثاني خاتمة مؤلفاته، عشية وفاته، وهو كتاب «نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب» [٢].

والمقرئ من أسرة علم بالجزائر، عاشت في قرية (مقرة) شرق مدينة (المحمدية) أي (المسيلة) حاليا، بنحو ثلاثين كيلومترا، وهي لا تزال تنطق هكذا (مقرة) حتى اليوم، بسكون القاف، فشيوع نسبته إليها اليوم بفتح على

من أعلام الفكر العربي في الجزائر أثناء عهدها العثماني (٩٣٠ - ١٢٤٦هـ / ١٥١٤ - ١٨٣٠م) شخصية متميزة فكريا، توزع هواها بين أقطار العروبة مشرقا ومغربا، ولد في الجزائر، وهام بالمغرب الأقصى كما كبر وجده بالحجاز، وأحب (دمشق) وأهلها. والقاهرة ورجال علمها، حيث لقي ربه، وفي نفسه حنين إلى وطنه الأول (الجزائر) وشوق الرحلة إلى (دمشق) التي حالت دونها المنية، بعد



بقلم: د. عمر بن قينة
معهد اللغة العربية وأدابها
جامعة الجزائر

ما ارتوى صدره من أريج الأرض الطاهرة في البقاع المقدسة.

إنه العلامة الأديب اللامع:
أحمد المقرئ (٩٨٦ -

بحرا، ومنها إلى الحجاز، فوصل (مكة) المكرمة في ذي القعدة (١٠٢٨هـ / ١٦١٩م) فاعتمر، ثم حج، وفكر في الإقامة، التي حالت دونها عوائق أشار إليها ولم يحددها، فعاد إلى (مصر) في شهر محرم (١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م) حيث أعاد الزواج من (مصرية) وشرع يدرس في الأزهر.

ومن (مصر) شرع يكرر رحلاته إلى البقاع المقدسة، فقال سنة (١٠٢٩هـ / ١٦٢١م) عن زيارته (مكة المكرمة) و(الدينة المنورة) و(بيت المقدس) أنه زار مكة «خمس مرات وحصلت بالمجاورة فيها المسرات، وأملت فيها على قصد التبرك دروسا عديدة.. ووفدت على طيبة المعظمة ميمما مذهبها السديدة سبع مرات، وأطفئت بالعود إليها بالأكباد الحار، واستضأت بتلك الأنوار.. وأملت الحديث النبوي برأى منه عليه الصلاة ومسمع.. ثم أبت إلى مصر مفوضا له جميع الأمور، ملازما خدمة العلم الشريف بالأزهر المعمور.. فتحركت همتي.. للعود للبيت المقدس وتجديد العهد بالمحل الذي هو على التقوى مؤسس فوصلت أواسط رجب وأقمت فيه نحو خمسة وعشرين يوما بدا لي فيها بفضل الله وجه الرشد وما احتجب، وألقيت عدة دروس بالأقصى والصخرة المنيفة، وزرت مقام الخليل ومن معه من الأنبياء ذوي المقامات الشريفة» [٤].

ومن هناك اتجه إلى (دمشق) حيث سرَّ كثيرا بأرضها وإنسانها، فدرَّس (البخاري) ولقى الإعجاب وحظي بتقدير عوضه ما عاناه في (مصر) فقرر الانتقال إليها من مصر بتشجيع من رجال دمشق أنفسهم فعاد إلى مصر للانتهاء من تحرير (نفع الطيب) وتصفية شؤونه فيها على نية السفر إلى (دمشق) لكن الأجل أدركه في (محرم) سنة (١٠٤١هـ / ١٦٣١م) وروَّخه في (دمشق) التي قال فيها أعذب المشاعر، كمشاعر

تشديد القاف «المقري» خطأ لا مبرر له، غير جهل بضبط النسبة إلى القرية المذكورة حتى في كتابات باحثين جزائريين منذ أوائل هذا القرن، مثل (الحفناوي) الذي بقي مترددا فقال: «المقري بفتح اليم وتشديد القاف .. وقيل بفتح اليم وسكون القاف لفتان .. قرية من قرى تلمسان» [٢] أو (الزب) فنقل مكان القرية من جنوب الجزائر الشرقي إلى غربيها.

انتقل جد (أحمد المقري) الأعلى من (مقرة) قرب (المسيلة) إلى (تلمسان) وبها برز علماء أجلاء في الأسرة، من بينهم عم (أحمد) العلامة (سعيد المقري) وفيها ولد المؤلف (أحمد بن محمد المقري) المكنى (أبا العباس) سنة (٩٨٦هـ / ١٥٧٨م) ودرس، على أمثال عمه السالف الذكر. وفي وقت كانت (الرحلة) إلى (العلم) من مكملات التكوين العلمي.

انتقل المقري إلى (فاس) سنة (١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م) للدراسة، حيث لفت أنظار رجال العلم والسياسة، ومنهم الشيخ (إبراهيم بن محمد الأيسري) الذي اصطحب (المقري) من (فاس) إلى (مراكش) حيث قدمه للسلطان (أحمد المنصور الذهبي) الذي أجله، كما أعجب (المقري) به، مثلما طرب للجو العلمي في (مراكش) ورجاله، ولم يكد يعود إلى (تلمسان) سنة (١٠١١هـ / ١٦٠١م) حتى شرع يبرح به الشوق إلى (فاس) ومناخها العلمي الزاخر، فسافر إليها سنة (١٠١٣هـ / ١٦٠٤م) إماما ومفتيا وخطيبا ذا مكانة مرموقة، غير أن هناءه وراحته نغصهما عليه الجو السياسي، في الصراع بين أبناء السلطان (أحمد المنصور) على السلطة، بعد وفاته (١٠١٢هـ / ١٦٠٣م) فقرر الرحيل تاركا أسرته بمدينة (فاس) في رمضان (١٠٢٧هـ / ١٦١٨م) متجها نحو الحجاز، لأداء فريضة الحج، فمر بوطنه، وتونس برا ثم إلى (مصر)

أما كتابه (نفع الطيب) فقد ختم به حياته العلمية، وأنجزه في (مصر) سنة (١٠٢٨هـ/ ١٦٢٨م). فقامت عليه شهرته بمادته وأسلوبه، أما المحرض على تأليفه فهو المحيط العلمي (الدمشقي) حين كان (المصري) هناك سنة (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م)؛ فلمس لدى القوم شغفا علميا، وودا صافيا طاهرا استحوذ على فؤاده، فيذكر أن حديثه لهم عن (الأندلس) و(لسان الدين بن الخطيب) جعل أحد علمائهم (ابن شاهين) يطلب منه تأليفا في الموضوع «كنا في خلال الإقامة بدمشق المحوطة، وأثناء التأمل في محاسن الجامع والمنازل والقصور والخطوة، كثيرا ما ننظم في سلك المذاكرة درر الأخبار الملقوطة، ونتفيا من ظلال التبيان مع أولئك الأعيان في مجالس مغبوطة، نتجاذب فيها أهداب الآداب، ونشرب من سلسال الاسترسال ونتهادى لباب الآليات . . ونستدعي أعلام الأعلام، فينجر بنا الكلام والحديث شجون، وبالتفتن يبلغ المستفيدون ما يرجون، إلى ذكر البلاد الاندلسية، ووصف رياضها السندسية. . فصرت أورد من بدائع بلغائها ما يجري على لساني، من الفيض الرحماني، وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلمياني . . ما تثيره المناسبة وتقتضيه، وتميل إليه الطباع السليمة وترتضيه من النظم الجزل في الجد والهزل.

فلما تكرر ذلك غير مرة على أسماعهم لهجوا به نون غيره حتى صار كائنه كلمة إجماعهم، وعلق بقلوبهم، وأضحى منتهى مطلوبهم، ومنية آمالهم وأطماعهم . . فطلب مني المولى أحمد الشاهيني إذ ذاك، وهو الماجد المذكور، نو البعني المشكور أن أتصدي للتعريف بلسان الدين في مصنف يعرب عن بعض أحواله وأنبائه ويدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك عصره

الحنين إلى وطنه، وهو القائل فيها «الاعتراف بالحق فريضة ومحاسن الشام وأهل طويلة عريضة، ورياضه بالفاخر والكمالات أريضة، وهو مقر الأولياء والأنبياء، ولا يجهل فضله إلا الأغمار الأغبياء» [٥].

وخلال رحلة الحياة الذاتية والروحية والعلمية، وجد (المصري) في (المغرب الأقصى) أولا وفي (المشرق العربي) ثانيا المناخ العلمي الصحي الذي فتق مواهبه الأدبية، وإمكاناته العقلية، فأثر في الحياة الدينية، خصوصا في (فاس) و(دمشق) وأنجز ما يقرب من ثلاثين كتابا، من بينها كتابان دلالتهما مهمة تعبيراً عن ميوله، وصلاته الفكرية أولهما كما سبقت الإشارة: «روضة الآس العاطرة الأنفاس» وثانيهما: «نفع الطيب».

بالكتاب الأول افتتح (المصري) حياته الفكرية والأدبية، وقد جاء من وحي المحيط العلمي الصحي الذي عاشه في (فاس) و(مراكش) فاختلف بعلماء البلد وفقهائه وسياسييه، وأعجب بهم، كما أعجبوا به، فشرع يكتب كتابه هذا في (فاس) بعد لقائه بالسلطان المغربي (أحمد المنصور) للتعريف بمن لقيهم من علماء المدينتين (فاس) و(مراكش) ليكون الكتاب هدية للسلطان في النهاية.

شرع يكتب عمله وهو في (فاس) وتابعه بعد عودته إلى (تلمسان) سنة (١٠١١هـ) لكنه حين عاد بالعمل جاهزا إلى (فاس) سنة (١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م) كان السلطان المغربي، قد لقي ربه قبل ذلك بسنة فبقي الكتاب هدية للمكتبة العربية في أكثر من ثلاثمائة وخمسين صفحة عن رجال الحاضرتين المغربيتين الذين بلغ عددهم أربعا وثلاثين شخصية، وتكفل بالسهر على طبعه وإخراجه إلى الناس، الأستاذ: (عبد الوهاب بن منصور) مشكورا .

الروحي بالبقاع المقدسة مهبط الرسالة المحمدية
مثملا بقي الشوق مقيما في نفسه إلى وطنه
(الجزائر) التي تنفّس هواها وهواها، مثل
(فاس) التي وضعت قدميه على طريق المجد عالما
فقيها مصنفًا أدبيا.

فكان علما عربيا، بحس قومي تغلغل في
أعماقه، وأنجز أعمالا خدمت أمته وعبرت عن
إمكانياته، وظروف عصره سياسيا، وأدبيا.

فإن بقي أول عمل له (روضة الأس) إحدى
الخطوات الأولى الناجحة له في معاجم الأعلام،
فإن آخر عمل له (نفح الطيب) صورة متوهجة،
حية، لآخر الأنفاس في (الأدب الجزائري) قبل
أن يتدرج نحو الهاوية في عصر (الظلمات)
كما هو صورة في الوقت ذاته لمستويات الكلمة
الشعرية في الأندلس بهذا الفيض من النماذج
التي أشبع بها المؤلف صفحات (النفح) التي
بلغت أربعة آلاف وثمانمئة وخمسين صفحة
(٤٨٥٠ ص) وهو تراث مشترك بين جناحي
الوطن العربي (مشرقه ومغربه) له كله على
(المقري) فضل، كما لهذا على وطنه الأكبر
جميعه دين، في تقدير جهده، المقرون بالحب
والإخلاص للذين يعطون أوطانهم بسخاء، من
دون من ولا أدنى.

الهوامش:

- (١) مطبوعات القصر الملكي، تقديم الأستاذ: عبد الوهاب بن
منصور، الطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٤م.
- (٢) من أهم طبعاته، الطبعة اللبنانية، في ثمانية مجلدات،
تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت (١٣٨٨هـ /
١٩٦٨م).
- (٣) أبو القاسم الصفاوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط٢،
ص ٥٨، المكتبة العتيقة، تونس، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- (٤) أحمد المقري، نفح الطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، ج: ١،
ص ٥٦ - ٥٧.
- (٥) المرجع نفسه، ص ٦٨.

وعلمائه وأدبائه، فحاول (المقري) الاعتذار لكن
صاحبه يلح فلم يقر على رد طلب ملح لعزیز،
فأقدم على عمله، وكله عزم وحزم، فقدم للمكتبة
العربية مرجعا هاما وتحفة أسلوبية ذات تميز
عربي، ببيانها على لسان أحد أبناء الضاد في
(الجزائر) خصوصا، وفي المغرب العربي عموما.
فكان (المجلد الأول) عن (الأندلس) تاريخا
ومدنا وإنتاجا، وطوائف وفتحا، وأعلاما، في
السياسة، والفكر والدين والشعر والأدب، (في
٧٠٤ صفحة).

وكان (المجلد الثاني) عن بعض «من رحل من
الأندلسيين إلى بلاد المشرق» فشمّل نحو (٣٠٧
شخصية) بينما ضم (المجلد الثالث) «بعض
الوافدين على الأندلس من أهل المشرق».

والحصيلة أكثر من (٤٧٥ شخصية) ويتلاحق
ذلك في معظم صفحات (المجلد الرابع)، أكثر من
(٧٠٠ شخصية) متبوعة بحديث عن «تقلب العدو
على الأندلس واستغاثة أهلها معاصريهم
لإنقاذها» في أكثر من (مئتي صفحة).

ثم يستأثر (لسان الدين بن الخطيب) بثلاثة
مجلدات: (الخامس) و(السادس) و(السابع) عن
أسلافه، ونشأته، ومشائخه، وصلاته بالملوك
والأكابر، مع جملة نماذج مطولة من إنتاجه: نثرا
وشعرا ثم أولاده، وبعض صلاته الأخرى
المختلفة.

وقد أفرد المحقق والناشر (المجلد الثامن)
للفهارس المختلفة ذات النفع الكبير بالنسبة
للباحثين عربا وأجانباً.

فالكتاب صورة أدبية فكرية سياسية قومية
للأندلس التي أنجبت رجالا واستقطبت أعلاما
فبنت لها مجدا أثلّفه (ملوك الطوائف) فسحقوه
تحت (حوافرهم) صراعا على المواقع و(المغانم).
لقد أحب (المقري) الأندلس وأديبها (ابن
الخطيب) كما أحب (دمشق) وأهلها، مثل هيامة

قراءات في التراث:

قراءة جديدة ٠٠ لنص قديم

والتحقق المقرئ في شبابه بعدد من الوظائف التاسع..

وكان السلطان برقوق قد عرض عليه مرارا أن

الحكومية فعمل أول ما عمل وهو في الثانية

والعشرين من عمره

موقعا بديوان الإنشاء

ثم تنقل في وظائف

أخرى فعين نائبا من

نواب الحكم عن قاضي

القضاة الشافعي - أي

قاضيا - ثم خطيبا

بجامع عمرو وبمدرسة

السلطان حسن وإماما

بجامع الحكم ومدرسا

للحديث بالمدرسة

الموايدية.

وفي سنة ٧٩١هـ

اختاره السلطان برقوق

محتسبا للقاهرة والوجه

البحري وقد ولي هذه

الوظيفة وعزل عنها أكثر

من مرة. يقول

السخاوي: «وحدثت

سيرته في مباشراته».

وفي عام ٨١٦هـ سافر المقرئ إلى دمشق

في صحبة السلطان الناصر فرج بن برقوق وعاد

معه وعقدت أواصر الصداقة بينه وبين الأمير يزيك

النوادر ونالته منه دنيا على

قول الشيخ السخاوي في كتابه

«الضوء اللامع في اعلام القرن

تقى الدين المقرئ من أشهر مؤرخي
الإسلام وقد افقت الباحثون العرب والأجانب
بكتابه الفريد «الخط والاثار» الذي سمي
أيضا بالخط المقرئ. وقد ولد المقرئ
واسمه تقى الدين أحمد بن علي سنة ٧٦٦هـ
في حارة برجوان بالقاهرة، وحارة برجوان
تنسب إلى الوزير برجوان الذي كان يعمل في
بلاط العزيز ثم في بلاط ابنه الحاكم ثم أحدث
برجوان من الأخطاء ما دفع الحاكم إلى
قتله. أما سبب تسمية المقرئ فذلك نسبة
إلى حارة المقارزة في مدينة بعلبك. وقد تربي
المقرئ في كنف جده لأمه ابن الصائغ
العنفي وقد كان في بداية دراسته العلمية
حنفيا ثم تحول إلى المذهب الشافعي شأن
كثير من أهل الكتانة: وقد درس العلم وتأثر
بصديقه وأستاذه ابن خلدون وألّ تأثره بذلك
الرجل هو الذي وجهه إلى علم التاريخ.

يوليه قضاء دمشق

ولكنه أبى وفي عهد ابنه

ولّي النظر على أوقاف

القلانسي والبيمارستان

النوري بمدينة دمشق

، وقام في نفس الوقت

بالتدريس في عدد من

مدارسها، وبخاصة في

المدرستين الأشرفية

والإقبالية وقضى بمدينة

دمشق عشر سنوات

عاد بعدها إلى القاهرة

فعرّف عن الوظائف

الحكومية من ذلك

الوقت ولزم داره حيث

توفر على القراءة

والدرس والتأليف.

وقد خرج إلى مكة

في صحبة أسرته سنة

٨٢٤هـ لأداء فريضة

الحج وجاور هناك نحو خمس سنوات شغل

فيها بالتدريس والتأليف كذلك ثم عاد إلى داره

بحارة برجوان فلزمها إلى آخر حياته يكتب ويؤلف

في علوم مختلفة ويوجه خاص

في علم التاريخ حتى نبغ فيه

ويز أقرانه ومنعاصريه من

بقلم: د. طاهر تونسي جامعة

الملك عبد العزيز - جدة -

الفاطميين الخلفاء» ثم أنصرف في أخريات أيامه الى تأليف مؤلفات صغيرة أشبه بالرسائل منها كتابه «النزاع والتخاصم فيما بين بنى أميه وبنى هاشم» ورسائله «ذكر ما ورد في بنيان الكعبة العظيمة» و«ضوء الساري في معرفة أخبار تميم الداري» و«الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك» و«البيان والإعراب فيمن نزل أرض مصر من الأعراب».

وستقلب معا كتابه «إعطاء الضفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» وقد قام بتحقيقه الأستاذ الكبير والمحقق السكندري الشهير جمال الدين الشيال والأستاذ الشيال معروف لقراء التاريخ الإسلامي فهو يعد في الرعييل الأول من أساتذة التاريخ الإسلامي شأنه شأن نظيره الآخر الدكتور حسن ابراهيم حسن صاحب التصانيف الكثيرة في التاريخ الإسلامي.

وقد قام الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال بتحقيق مخطوط «الذهب المسبوك بذكر من حج من الملوك» ومخطوط «إغاثة الأمه بكشف الغم» للمقريزي. ومن اعظم أعمال الدكتور الشيال في مجال التحقيق التاريخي تحقيقه لمخطوط ابن واصل «مفرج الكروب في تاريخ بني أيوب» ومن مؤلفاته كتابان أولهما: «أعلام الاسكندرية» وقد ترجم فيه لنفسه «وتاريخ دمياط» وليت احد الباحثين يجمع لقراء العربية ما تناثر من مقالاته التاريخية في شتى الصحف والدوريات.

أما تحقيق الأستاذ الشيال لمخطوطه «إعطاء الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» فقد أصدرته لجنة إحياء التراث الإسلامي في نكرى القاهرة الألفية.

وقد قدم للتحقيق شيخ المحققين محمد ايو الفضل ابراهيم مقدمة قال فيها «وكانت الدولة الفاطمية من أعظم الدول التي عاشت في مصر أكثر من قرنين وكان لها تاريخ حافل ولخلفائها في

والمقريزي مؤلفات عديدة وأنتاج تاريخي خصب وكثرة انتاجه تجعل القاري يعتقد أن المقريزي كان ممتشقا قلمه على الدوام. فمن مؤلفاته العظيمة «الخبر عن البشر» و«إمتاع الأسماع بما للرسول من الإيحاء والحفدة والمتاع» و«الدرر المضيئة في تاريخ النولة الإسلامية» أما مصر فكان نصيبها من المقريزي النصيب الأوفر.

فقد تناول التاريخ العمراني لمصر في كتابه العظيم «المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» وقد أرخ في هذا الكتاب للندن المصرية الهامة وما كان يكتنفها من خطط وحارات ودروب وأزقة وأسواق وما كان يتناثر فيها من دواوين ودور وقصور للحكمة والعلم.

يقول المقريزي في مقدمته: «وكانت مصر في مسقط رأسى وملعب أترابي ومجمع ناسى ومغنى عشيرتي وموطن خاصتي وعامتى. ولازلت منذ شئت العلم وأتاني منه ربي الفطانه والفهم، أرغب في معرفة أخبارها وأحب الإشراف على الاغتراف من أبارها وأهوى مسالة الركبان عن سكان ديارها فقيدت بخطي في الأعوام الكثيرة وجمعت في ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب، إلا أنها ليست بمرتبة على مثال ولا مهنبة بطريقة ما نسج على منوال، فزدت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية».

ويعد أن أرخ لمصر جغرافيا وعمرانيا توجه نحو التاريخ السياسي لمصر فآلف فيه. وقد قسم المقريزي جهوده الى ثلاثة أعمال تاريخية هامة. أما عمله الأول فهو كتابه «عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة القسماط» وهو كتاب مفقود أرخ فيه لمصر منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الإخشيدية. ثم توجه بيراعه الخلاب إلى العصر الفاطمي فآلف «إعطاء الحنفا بذكر الأئمة

البحث وجد من هذا الكتاب نسخة أخرى كاملة محفوظة بمكتبة سراي أحمد الثالث باستنبول فجدها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في تصويرها ثم قام الدكتور الشيال بإعادة تحقيق الكتاب عليها مرة ثانية بعد أن أضاف إلي جهده السابق مزيداً من التحرير والتحقيق وشرح المصطلحات والتعريف بالأعلام ما شاعت له معارفه التاريخية ومكانته العلمية وإطلاعه الغزير الوافر .

وقد تحدث الدكتور الشيال عن النسخة الكاملة المخطوطة بمكتبة سراي أحمد الثالث بقوله: «المخطوطة الكاملة الموجودة في مكتبة سراي أحمد الثالث رقم ٢٠١٢ هي النسخة الوحيدة من هذا الكتاب في العالم . وقد كتبت بقلم تعليق، ونقلت من نسخة المؤلف الخاصة المكتوبة بخطه كما نص على ذلك في أكثر من موضع بالمخطوطة وفي نهاية الكتاب وقد تم نسخها سنة ٨٨٤هـ (أي بعد وفاة المقرئ بتسع وثلاثين سنة فقط) على يد محمد بن أحمد الجيزي الأزهرى .

وكتاب «اعتاظ الحنفا» يؤرخ للدولة الفاطمية كلها مبتدئاً بذكر ثبت كامل وإف الأولاد على بن أبي طالب من نسل الحسن والحسين وتتبع الأسماء في هذا الفصل أمر شاق عسير . وعرض بعد ذلك المقرئ لمشكلة النسب الفاطمي ولهذا الفصل أهميته إذ أن المقرئ من المؤرخين القلائل الذين أينوا النسب الفاطمي مثله في ذلك مثل ابن خلدون وعمارة اليمنى . ومنهج في عرض القضية منهج منطقي .

فقد نقل أقوال الطاعنين في النسب كابن النديم وأخي محسن وأثبت أنهما ينقلان عن ابن رزام وأنه أول من أشاع قصة انتمائهم إلى عبد الله بن ميمون بن دلعبان الثنوي القذاح ثم فند أقوال الطاعنين مستعيناً بأقوال المؤرخين الآخرين المؤيدين للنسب مضيافاً إليها براهينه الخاصة . ومشكلة النسب الفاطمي مشكلة قديمة حديثة

الحضارة أثر بعيد منهم الذين أسسوا القاهرة المعزية فكانت قبة الإسلام وحاضرة الأنام ومنازة للمعارف والآداب كما أقاموا نور الكتب والخزائن وجلبوا إليها الكتب والأسفار وأرصدوا لها الأموال وأعدوا لطلاب المعرفة القوام والنساخ وهوت إليها أفئدة العلماء من شتى الجهات ينهلون العلم من أعذب مورد وأصفاه، هذا إلى ما كان لهم من أثر في بناء المساجد والقصور والبساتين في جنبات القاهرة على ضفاف النيل وما تجردت له هماتهم في اعداد الجنود وانشاء الأساطيل تجوب المياه، فضلاً عما كان لهم من عادات في المواسم تميزت بها دولتهم ومازالت بحياتنا الاجتماعية إلى اليوم . لقد كان تاريخ الدولة الفاطمية موزعاً في كتب التاريخ والأدب والعقائد ممتزجاً بغيره من تاريخ الدول إلى أن جاء الإمام المقرئ أحمد بن على فجمع شتاته وضم ما تفرق منه وأضاف إليه ما اجتمع لديه من ثمرات مطالعته وما تهيا له من المناصب التي تولاه ووضع هذا الكتاب الذي أسماه «اعتاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» إدارة على تاريخ من ملك القاهرة من الخلفاء وعلى جملة أخبارهم وسيرهم وجعله حلقة من سلسلة كتبه التي وصفها في تاريخ مصر والقاهرة . والمقرئ شيخ مؤرخ الإسلام وفارس هذه الحلية غير معارض في كل ما ألف وصنف وفي جميع ما نقل وروى مما جعل كتبه المصدر الأمثل في تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها وخططها وآثارها ومعارفها وفنونها وآدابها وعلمائها وأعيانها .

وقد سبق للمستشرق هو جو برنز أن قام بنشر هذا الكتاب سنة ١٩٠٩م عن نسخة ناقصة مخطوطة محفوظة بمكتبة جوتا بألمانيا، وهي النسخة الوحيدة التي كانت معروفة في ذلك الحين . وفي سنة ١٩٤٥ قام الدكتور الشيال بإعادة نشر هذه النسخة . ومع مضي الأيام وتتابع

فسيره واليا على طرابلس وكتب إلى عاملها سيرا بقتله عند وصوله فلما وصل أبو زاكى قتلته العامل وأرسل برأسه إلى المهدي فأمر حينئذ بقتل جماعة وأعد رجالا لأبي عبد الله وأخيه أبي العباس فلما وصلا إلى قرب القصر حمل القوم على أبي عبد الله فقال: لا تقبلوا فقالوا له: إن الذى أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك... فقتل هو وأخوه في اليوم الذى قتل فيه أبو زاكى وذلك يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ٢٩٨هـ بمدينة رقادته وصلى عليه المهدي وقال: رحمك الله يا أبا عبد الله وجزاك الله خيرا بجميل سعيك.

ويتحدث عن المعز لدين الله الفاطمي فيقول: «اجتمع للمعز بمصر ما لا يجتمع لأبائه فهزمت القرامطة في أيامه مرارا: مرتين في البر على باب مصر ومرتين في البحر وما تم عليهم هذا قط منذ ظهور أمرهم وأقيمت له الدعوة يوم عرفه في مسجد إبراهيم عليه السلام وبمكة والمدينة وسائر أعمال الحرمين ولم تهزم له رايه، وتتابع له الفتوح ونصبت السناثر على الكعبة وعليها اسمه ونصبت له المحاريب داخل الكعبة وعليها اسمه، وكان المعز عالما فاضلا جوادا على منهاج أبيه في حسن السيرة وانصاف الرعية».

أما عن العزيز بالله يقول المقرئ: «كان أسمر طولاً أصهب الشعر أعين أشهل عريض المنكبين شجاعا حسن العفو والقدرة لا يعرف سفك الدماء حسن الخلق قريبا من الناس بصيرا بالخيال وجوارح الطير محبا للصيد تعرف به حريضا على صيد السباع خاصة وكان المثل يضرب بأيام العزيز في مصر لأنها كانت كلها أعيادا وأعراسا... ثم تحدث عن الحاكم بأمر الله وعن الخلفاء الفاطميين الذين خلفوه حتى نهاية الحكم الفاطمي التي يصفها وصفا بليغا وكيف تم سقوطها على يد أسد الدين شيركوه وابن أخيه يوسف بن شاذي الشهير بصلاح الدين الأيوبي».

شغلت كل من تعرضوا للتاريخ الفاطمي من عرب ومستعربين من قديم حتى اليوم. وأرخ المقرئ بعد ذلك لقيام الدولة الفاطمية في المغرب فتحدث عن جهود الدعاة الأوائل كأبي سفيان والخوانساري وعن رحلة ابن عبد الله الشعبي من اليمن إلى المغرب وجهده في التمهيد لأقامة الدولة ثم انتقال عبيد الله المهدي من سلمية بالشام إلى المغرب.

وفي فصل قال أرخ المقرئ للخلفاء الفاطميين الأربعة الذين حكموا في المغرب وفصل الحديث عن الصعوبات التي اعترضتهم - وخاصة ثورة أبي يزيد - وعن الجهود التي بذلها لتدعيم أسس الدولة الجديدة كانشاء المهدي عاصمتهم الجديدة ومد فتوحهم غربا إلى المحيط الأطلسي. ثم تحدث المقرئ عن الفتح الفاطمي لمصر وتأسيس مدينة القاهرة وبناء الجامع الأزهر وعرض للخطر القرمطي الذي كان يهدد شعب مصر وقتذاك فعقد فصلا طويلا أرخ فيه للقرامطة وتحركاتهم وحرورهم على حدود مصر وفي جنوبي الشام على عهدى الخليفين المعز لدين الله والعزيز بالله.

وأفرد المقرئ بعد ذلك لكل من الخليفين - المعز والعزيز فضلا - والمعز والعزيز هما بلا شك أعظم خلفاء الفاطميين. وتقتطف من كلام المقرئ هذا النص الهام الذي يؤرخ فيه لمقتل مؤسس الدولة الفاطمية أبي عبد الله فيقول: «وكان سبب قتله أن المهدي لما استقامت له البلاد باشر الأمور بنفسه وكف يد أبي عبد الله فقال أبو عبد الله للمهدي: لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامه أمرهم وانهاهم لأنى عارف بعاداتهم لكان ذلك أهيب لك عند الناس. ثم علم أبو عبد الله أن المهدي قد تغير عليه فاتفق مع أخيه بجامعة على المهدي وبخلوا عليه مرارا فلم يجسروا على قتله ونقل ذلك إلى المهدي من رجل كان يوافقهم على ما هم فيه ثم يأتى المهدي فيخبره فأخذ المهدي في تفريق القوم في البلاد، وكان كبيرهم أبا زاكى



سر الزجاجة ٦

بقلم: د. عبد الرزاق فراج الصاعدي
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة

المتحمي والمتحمي:

نُشرت تعقيباً على الشيخ العلامة أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في ملحق الأربعة بجريدة المدينة (١٤١٧/٨هـ) فأشار علي بعض الزملاء أن أنشر المقال في مجلة أدبية متخصصة كالمَنْهَل أو المجلة العربية أو مجلة الفيصل أو المعرفة؛ لتتحقق فيه صفة المرجعية، فقلت إن ذلك متحقق في ملحق الأربعة الذي يطلع عليه كثير من القراء.

ثم وصلت إلي رسالة من قاريء من مصر يذكر فيها أنه اطلع على كلمة الشيخ أبي عبد الرحمن في المجلة العربية وعنوانها «كفى يا صاعدي» ويؤيد هذا القاريء أن يعرف رأيي في تلك المسألة اللغوية الدقيقة.

فأريت إعادة نشر المقال في مجلة المنهل ليطلع عليه القراء الكرام في الوطن العربي الكبير من خلال «سر الزجاجة» ولأتمكن من إصلاح بعض الأخطاء الطباعية غير المقصودة التي وقعت فيه حين نشره.

وأرجو أن يعلم الشيخ الجليل أنني أهدف في كل ما أكتب إلى الرقي بهذه اللغة الشريفة، وتحبيبها إلى الناس وبيان أصولها إن لزم الأمر، وأرى أن الحوارات العلمية التزيهة تسهم في تحقيق ذلك، وهي فن علمي قديم كان يأخذ شكل الرود، خُلف لنا مؤلفات علمية نفيسة، كنقض الهانور لأبي على الفارسي، والرد على سيبويه للمبرد، والانتصار لسيبويه لابن ولاد، وفرحة الأديب للأسود الغندجاني، وهو رد على ابن السيراقي في شرح أبيات سيبويه، ومثل ذلك كثير جداً قديماً وحديثاً، وأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما

ينفع الناس فيمكث في الأرض.

وليسمح لي الشيخ الكريم أن أطلع من سألني من القراء على تلك الكلمة، أما رأيي في كلمة الشيخ الأخيرة المنشورة في المجلة العربية التي كان عنوانها «الرمي في الهواء» فسيأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى.

فأقول وبالله التوفيق:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى.

أما بعد: فأني أعلم - كغيري - أن الشيخ أبا عبد الرحمن بن عقيل «محمد بن عمر» ظاهري المذهب، حزمي النهج والعواطف، إن هش بش، وإن سخط عبس وبطش، وأن لديه من البلاغة والأسلوب ما يستطيع به إقناع القاريء بالشيء وضده، ولا أزيد فيه عن قول ابن قتيبة في الجاحظ: إنه أشد الأدباء تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم، وتصغير العظيم حتى يصغر، ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشيء ونقيضه (تأويل مختلف الحديث ٨١).

وأعلم أن أبا عبد الرحمن - كغيره من الناس - يُشج ويُسري، ويعترف وينكر، وله طعمان: أريّ وشريّ، وكلا الطمعين قد ذاق كل - كما قال الشنفرى -

وأعلم أنه مغرم بالغرائب والمبتدعات، وهو القائل: «أما بعد: فيا أيها الناس: إن من أمتع مبتدعاتي - وما أكثرها (١٩) - أن تكون مقدمة

وإما (المتفعل) الأول خاص بالثلاثي والثاني خاص بالرباعي وما أخلق به، وكلمة «النحو» كلمة ثلاثية، واسم الفاعل منها قبل الزيادة: (الناحي) وبعد زيادة التاء والتضعيف: (المتنحي) مثل: المتناب والمتفقه والمتبحر والمتعلم والمتدين، كل ذلك ثلاثي الأصل.

فالمتنحي هو الوجه في اسم الفاعل من ذلك الفعل المزيد، مع أن المتنحوي - وهو الوجه الذي تختاره - قد يصح على وجه من وجوه اللغة، وهو الإلحاق، إلا أنه سماعي يحفظ ولا يقاس عليه إلا عن بعض النحاة، وخصه بعضهم بالضرورة، قال ابن يعيش في (شرح المفصل ٧/ ١٥٥): «وهذا القبيل من الإلحاق مطرد ومقيس حتى لو اضطر ساجع أو شاعر إلى مثل ضرب وخرج جاز له استعماله، وإن لم يسمعه من العرب».

وهذا يعني أن (المتنحي) هو الأنصح، وأنت تقول إن الصواب هو (المتنحوي) وتتكرر (المتنحي) في هذا المعنى، أي الذي يتكلف النحو ويتعاطاه، وتصر على ذلك في مقالاتك الاثنتين، ومع ذلك تنكر الإلحاق في العربية، منع أنه مخرجك الوحيد فيما ذهبت إليه.

واسم لي - أيها الشيخ الفاضل - بأن أبين للقارئ الكريم وجه الإلحاق في قولك (المتنحوي) ليكون على بينة من خلافنا هذا.

فأقول أولاً: إن الإلحاق وسيلة من وسائل اللغة في صوغ أفعال جديدة ذات دلالات متجددة، ويكون الفعل الملحق عادة ثلاثياً، فيزداد حرفاً ليلحق بالرباعي المجرد، أو يزداد حرفين ليلحق بالرباعي المزيد بحرف، أو يزداد ثلاثة أحرف، مثل جهور وبيطر وشمل الأصل: جهر ويطر وشمل.

وأقول ثانياً: إن (المتنحوي) اسم فاعل من فعل ثلاثي ملحق بالرباعي، وتقديره مع فعله: (تَنَحَّوْ) بواوين - فهو (المتنحوي) ثم قلبت الواو الثانية في الفعل ألفاً لعلَّ صرفية معروفة، فأصبحت الكلمة

كتابي في أثناؤه، وبعد فصلين من فصوله (القصيد الحديثة وأعياء التجاوز ٧).

وهو مع ذلك طود شامخ في اللغة والأدب، وقد أثرى الساحة بكتبه ومقالاته، فقرأت كثيراً منها منذ أن توقد في قلبي حب اللغة والأدب، واستقدت مما فيها، وقد شرق الشيخ وغرب وأصعد وانحد، وأخذت عليه أشياء في أصول اللغة وفروعها، أوشكت أن أخرجها في كتاب، ثم تراجعت إشفافاً على نفسي، أما مذهبه الفقهي وسائر اجتهاداته فهو شأنه الخاص.

فيا أيها الشيخ الفاضل الذي نحترمه! ليس لك أن تلزمني برأيك الخاص، أو ما تختاره من غرائب الآراء والأقوال، إنما يلزمني ويلزكم ما استقر من مقاييس اللغة، وما قرره الجمهور من علماء العربية المتقدمين والمتأخرين، وليس لنا أن نخالفهم أو ننقض ما استقر إلا بالحجة والبرهان.

فاسمع لي - أيها الشيخ الكريم - أن أوجز لك مفهومي المتنازع في مسألة: (المتنحي) (المتنحوي) ثم أعلق على بعض ما جاء في مقالتك الأخيرة (المجلة العربية: العدد ٢٣٤) سائلاً المولى - عز وجل - أن يريني وإياك الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

فأقول: اسم الفاعل مما زيد فيه تاء في أوله وضعفت عينه مثل: تَأَنَّبَ وتَفَقَّهَ يأتي على وزن (المتفعل) فيقال: المتناب والمتفقه، ويأتي من الرباعي المزيد بتاء في أوله من نحو تدرج وتبعثر على وزن (المتفعل) أو ما ألق به، فيقال: المتدرج والمتبعثر. وما ألق به: المتجلبب من تجلبب، وأصله (جلب) ثم ألق بالرباعي بزيادة باء ثانية، فقالوا: جلبب، ثم زيدت التاء في أوله، ومثله: المتسعود من (تسعود) والواو للإلحاق.

ولاسم الفاعل أقيسة أخرى لا حاجة لذكرها هنا، وأنت تعرفها أيها الشيخ.

فاسم الفاعل مما نحن فيه هنا إما (المتفعل)

(تنحوي) على وزن (تفعّل).

وهذه الألف قلبت ياء في اسم الفاعل لكسر ما قبلها، فقالوا: المنحوي، فإن جئت بها نكرة قلت: منحّو، حذف الياء كما تحذفها في: دأع وقاض وغواش.

وقد يجوز وجه آخر في الإلحاق، وهو أضعف من سابقه، وذلك أن يكون فعل المنحوي ملحقاً بالرباعي بزيادة الألف مثل: سلقى، من قولك: سلقاه على ظهره، فيكون وزن الفعل (تنحوي) إن صح هذا التوجيه: (تفعّل) واسم الفاعل منه المنحوي - أيضاً - ووزنه (المتفعلي).

ولولا وجه الإلحاق لقلت لك إن المنحوي كلمة عامية، ونظيرها من كلام بعض العامة: المتخطوي، يريدون: المتخطي، ولو تدبرت ذلك - أيها الشيخ الكريم - لوجدت أن المنحوي كلمة لا نظير لها في فصيح الكلام مما اعتلّ لاه كالنحو والدلو، أما المنحّي من النحو فلها نظائر لا حصر لها؛ لأنها هي القياس، ومن ذلك قولهم من الدلو: تدلى فهو المتدلي وليس المتدلي، ومن البدو: تبدّى فهو المتبدّي وليس المتبدوي ومن اللهو: تلهى فهو المتلهي وليس المتلهوي، ومن العلو: تعلّى فهو المتعلّى وليس المتعلوي، ومن التريبة: تربّى فهو المتربي، وليس المتربوي، وكذلك تغشى الخبز فهو المتغشي وليس المتفشوي، وتغنّى فهو المتغنّي وليس المتعنوي، وتصدّى للأمر فهو المتصدّي وليس المتصدي، وتعرّى فهو المتعرّي وليس المتعروي، وتغشى فهو المتغشي وليس المتغشوي، وغير ذلك كثير جداً يخرج في كتاب.

ولذا يقال من النحو على قياس كلام العرب: تنحى الأستاذ وتعمّق في النحو فهو المنحّي وليس المنحوي، إلا على ذلك الوجه الضعيف إن صح.

وقد ورد في مقالك - أيها الشيخ - كلمات تحتاج إلى بيان أو تعليق، فمنها:

١ - تقوله: «وكرر عبارة: يا بني ٠٠ يا بني ٠٠ ولا

أدرني من أين جاءت هذه البنية؟»

فأقول: ورد هذا في حوار كان الخطاب فيه موجهاً لي أنا لئون غبري، ولم أعنك بها إطلاقاً، ويبدو أنك تعجّلت في الفهم.

٢ - أقول: «قولي (المنحوي) مأخوذ من (النحو) الفن العلمي القائم بذاته، فهو اشتقاق اسم من فعل، وأسميه اشتقاقاً على مذهب القوم، وإلا فهو تحول إلى صيغة، والصيغ غير مشتقة ٠٠ الخ».

وهذا امتداد لرأيك في الاشتقاق إذ تقول في كتابك (اللغة العربية بين الواقع والمثال ص ١٦): «أما الألفاظ فليس فيها مشتق؛ لأن كل الصيغ وضعها العرب بدءاً، فليس ضارب مشتق من ضرب».

فأقول: هذا قول ضعيف - أيها الشيخ الجليل - وأنت مسبق فيه، قال السيوطي في (الهمع ٢/٢١٣): «وزعم قوم من أهل النظر أن الكم كله أصل وليس منه شيء مشتق من غيره».

وقد ردّ الشيخ محمد الطنطاوي هذا الرأي، وأشار إلى ضعفه في كتابه (تصريف الأسماء ٤١) وذكر أنه لا يحتاج إلى تعليق، وأنه مدفوع بأن الصلة بين الكم العربية محسنة وثيقة اللفظ والمعنى، فلا بد من اعتبار الأصالة فيها والفرعية، والتحويل على هذا القول قاض بانفكاكها وعدم ارتباطها، ثم قال: «فالحق أنه في غاية الهزال».

وهذا إمام العربية ابن فارس يقول في (الصاحبي ٥٧): «أجمع أهل اللغة - إلا من شذ منهم - أن لغة العرب قياساً، وأن العرب تشق بعض الكلام من بعض».

٣ - أقول: «قولي (المنحوي) لا علاقة له بالمنحوي بمعنى المبتعد، لأنني لا أريد معنى الابتعاد وإنما أريد معنى النحو الفن العلمي».

فأقول: مهما يكن المراد فإن القياس هو القياس، وإنّ تصريف اسم الفاعل لا يتبع ما في الكلمة من معان متعددة، وإنما يتبع قياساً لفظياً،

وقال الخليل في (العين ٣/٢٠٣): «ويلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية فقال للناس: انحوا نحو هذا فسُمِّيَ نحواً».

وقال ابن فارس في (المقاييس ٤٠٣/٥): «الفون والحاء والواو كلمة تدل على قصد ونحو نحوه. ولذلك سمي نحو الكلام؛ لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به».

هذا جواب ما سألتني بالله عنه، وأنا أقول لك الآن: أسألك بالذي خلقك فسوَّك فعدلك أن تفسر لي - على مذهبك - كيف جاءت تلك الياء في (المتنحوي) مع بقاء الواو؟ وأن ترن لي الكلمة.

٧ - تقول: «إن المشتق - وهو علم النحو - عالم آخر له قطعه الخاص يجوز لنا أن نحدثه حسب أصول التصريف منذ استجدَّ الاصطلاح عليه في لغة العرب».

فأقول: ما هذا الفعل؟ لو أحدثته - أيها الشيخ - حسب أصول التصريف - كما تقول - لما اختلفنا هنا فيه وفي اسم الفاعل منه؛ لأن القياس طريق واحد، نلتقي فيه شئنا أم أبينا.

٨ - تقول لي: تشبَّهك بالإلحاق بالرباعي تشبث طالب لا يفقه من اللغة إلا ما لقَّنه الأستاذ في مراحل الطلب، فحفظ العبارة بلا فقه».

فأقول: صدقت أنا تلميذ لجميع أساتذتي في الجامعة - حفظهم الله - وإن أنسى فضلهم علي وما حفظته عنهم يغنيني إن شاء الله.

٩ - تقول: «والواقع أنه ليس هناك أصل اسمه الإلحاق بالرباعي».

فأقول: إنكارك الإلحاق بالرباعي من تلك الغرائب.

واعلم - أخيراً أيها الشيخ - أن الخطأ لا يحط من قدرك ولا ينقص من علمك، فكل إنسان يؤخذ منه ويرد إلا صاحب ذلك القبر [صلى الله عليه وسلم] ومن يسلم من التقصير وسوء الفهم والعثرة والزلة!!

فينظر في لفظ الكلمة وينأها، فمهما كان معنى كلمة «النحو» فإن اسم الفاعل منها يأتي - عند زيادة التاء - على وزن المتفعل، فيقال المتنحي وليس المتنحوي.

٤ - تقول: «... لأن المشتق يستقل عن المشتق منه ويكون له عالمه الاشتقاقي الذي يؤخذ منه مباشرة».

فأقول: ما رأينا هذه القاعدة من قبل، فمن قالها أيها الشيخ؟ إن كنت أنت صاحبها فأرجو أن تقصِّلها لتعميم الفائدة.

٥ - تقول: «كيف يطلب الأخ الصاعدي من العرب أن يوجد في كلامهم: المتنحوي (هكذا) وهم لا يعرفون في سلبقتهم فناً اسمه النحو، وإنما هو مصطلح ثقافي طرأ على أميتهم كالفعل والحال والمجاز».

فأقول: لم أطلب منهم ذلك أبداً، وإنما أطلبه مني ومنك ومن كل من يتكلم بلسان العرب ويريد أن يشتق اسم الفاعل من «كلمة» النحو عند زيادة التاء في أولها أن يقول: المتنحي قياساً على كلام العرب، ويبدو أنك نسيت أنك اشتقت ذلك باختبارك، ولكنك اخترت الوجه الضعيف.

٦ - تقول: «أسألك بالذي خلقك فسوَّك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك: في أي مصدر وجدت أن النحو - الذي هو الفن العلمي القائم - له فعل مسموع بإجماع العلماء، وهو نحاً ينحو نحواً».

فأقول: وجدت ذلك في معاجم اللغة، وهو نحاً ينحو نحواً وناحية، وهو فعل قديم في اللغة، ومنه اشتق علم النحو، ولهذا قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مخاطباً أبا الأسود في نشأة النحو: «اتَّعَ هذا النحو» (ينظر معجم الأدباء ٤/١٤٧٧) وقال له أيضاً مرة أخرى: «ما أحسن هذا النحو الذي نحوته».

قال ياقوت معلقاً على هذا: «فلذلك سمي نحواً» (معجم الأدباء ٤/١٤٧٧).

كبرياء الحرمان

للشاعر: يس نطب الغيل

- مصر -

يقود للعذاب
أو كانت البوادي
بداية البداية
في رحلة العناد
فقد تعود مُكرِّهاً
إلى عنائك القديم
متشحاً بألف كبرياء
.. فلم تزل ..
وما تزالُ وجبة
أو نصف وجبة
فى كل عام ..
خير من الطعام
ألف مرة
على موائد اللثام.

فى ظلمة البوادي
أبحرت
لم تدع صدى
ولا استكنت
فوق راحة المدى
ولا استرحت
فى مسيرك الطويل
يا عابر السبيل
تحسُّس الطريق
.. لا تغامر ..
.. إياك أن تقامر
أو تنسف المعابر
فما تراه
إن يكن سراب

النخلة : ثمرها .. غذاء ودواء

أوران زوجية / ابو عواد / ام عمرو

رسالة الى السيدة الجميلة

نداء الشجر

سحابة سحرية ذات
أداء بخصائص ناطقة
تقل المرأة ووجدانها

13



ثمرها .. ثماره .. ودواء

سمات تميزها ذكرها في القرآن الكريم في عشرين آية في مواضع مختلفة في ست عشرة سورة، وقد احتلت مكانة سامية في جميع الأديان السماوية، فجدد اليهود يطلقون على بناتهم اسم تمار - من التمر - تشبيهاً لهن بالنخلة، لتمتع النخلة بالخصوبة، والقوام المشقوق، والطعم الطويل [٢] وفي المسيحية شهدت هذه الشجرة وحدها دون سائر مخلوقات ميلاد المسيح عيسى عليه السلام وكان ثمرها غذاء وبواء .. وسكنة للنفس .. وقرعة عين للسيدة مريم ابنة عمران .. أليس هذا أكبر دليل على تميزها .. ونيلها الشرف الرفيع، فليس من الشجر، شجرة أكرم على الله من شجرة حنَّ جذعها إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لما فارقه: شوقاً إلى قربهِ وسماع كلامه [٥].

وهذا ما ذكره القرآن الكريم في قول الله عز وجل في سورة مريم: (فأجابه المخلص إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً .. فناداه من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً، وهزئي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً .. فكلتي واشربي وقرى عيناً) (الآية/ ٢٢ - ٢٦) [٦].

وفي الصحيحين، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بينما نحن عند رسول الله (صلي الله عليه وسلم) (جلوس): إذا أتى بجمار نخلة، فقال النبي (صلي الله عليه وسلم): إن من الشجر شجرة مثلاً مثل الرجل المسلم لا يسقط ورقها: أخبروني: ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي. فوقع في نفسي: أنها النخلة، فأردت أن أقول هي النخلة، ثم نظرت فإذا أنا أصغر القوم سناً: فسكت فقال رسول الله (صلي

الله عليه وسلم) النخلة شجرة من الفصيلة النخيلية كثيرة في بلاد العرب، ولا سيما الحجاز والعراق ومصر، ويزرع ثمره المعروف بالبلح (Date) أو التمر، أو الزينة، مفردة نخلة وجمعه نخل ونخيل [١].

الاسم العلمي للنخل فينكس داكتيليفيرا (Phoenix dactylifera) والشجرة معمرة، يبلغ طول ساقها نحو ٣٠ م. وتتوجها أوراق ريشية كبيرة، بقواعدها عدة أشواك حادة، ونخيل البلح ثنائي المسكن، أي أن الأزهار المؤنثة تحمل على نبات، والمذكورة على نبات آخر ويخصب بنقل عراجين من النخلة المذكورة ووضعها بين عراجين كبائس النخلة المؤنثة عقب انشقاق الأغريض وبروزها منه، وتكون ثمار البلح خضراء، ثم تتحول إلى اللون الأصفر أو الأحمر، ثم ترطب فيصير الأصفر بنياً والأحمر مسوداً [٢]. وثمر النخل له أسماء متعددة حسب مراحل نضجه فيسمى بمرأ ما دام غضاً طرياً، ويدعى بلحاً ما دام أخضر، وتمرأ حينما يصير يابساً. ويتراوح طول البلحة بين ٢٠ - ٧٥ سم والبلح غذاء رئيسي لسكان البوادي والواحات [٣].

ونخلة البلح تكاد تكون الشجرة الوحيدة التي يستفاد من كل جزء منها، فبينما ثمارها تحتوي على معظم المركبات الغذائية الأساسية من كربوهيدرات وبروتينات وفيتامينات وأملاح معدنية، فإن جنوعها وسعفها تستخدم في العديد من الصناعات الريفية وحديثاً أمكن صنع ألواح من الخشب المضغوط من سعف النخيل [٤].

منزلة النخلة في الديانات السماوية المختلفة:

لقد حظيت النخلة بالتكريم من الله عز وجل والتفرد والتميز على بقية الزروع، ومن

بقلم: د. ه. ه. ه.

محمد مصطفى ماهر

- مصر -



١- درجة الحرارة:

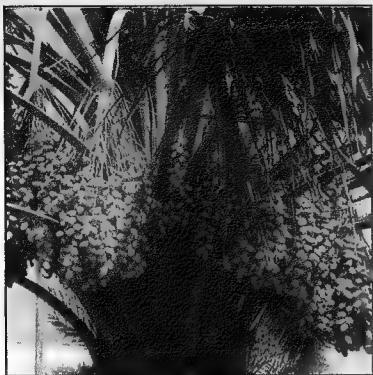
تعتبر الحرارة من أهم العوامل المحددة لانتشار النخيل وإثماره بحالة إقتصادية. وهي العامل المحدد لتحديد المناطق الملائمة لزراعة الأصناف المختلفة، واختيار ما يناسب كل منطقة منها. ويحتاج النخيل بصفة عامة إلى درجة حرارة مرتفعة. كل أشهر الصيف لانتاج ثمار جيدة على اختلاف أصنافه فالأصناف الطرية مثل الزغول والسماوي والحياني والأمهات وينت عيشة يحتاج درجة حرارة تزيد عن ٢٧م°.

والأصناف النصف جافة مثل السيوي (الصعيدى) والعمري والعجلاني إلى درجة حرارة تزيد عن ٢٠م° بينما الأصناف الجافة مثل السكوتي (الإبريى) والبرتوبية - الجنديلة - المكابي تحتاج لدرجة حرارة أكثر من ٢٢م° [٤].

ب- الرطوبة الجوية والرياح:

يحتاج النخيل إلى جو جاف خال من الرطوبة والأمطار خلال فترتي التلقيح ونضج الثمار للحصول

الله عليه وسلم: هي النخلة. فنكرت ذلك لعمر. فقال: لأن تكون قلتها أحب إلى من كذا وكذا (١٠) وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «بيت لا تمر فيه جياغ أهله» أخرجه أحمد في مسنده (١٨٨/٦). وفي الصحيحين، عن عبد الله بن جعفر: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ياكل القثاء بالربط» أخرجه ابن مساجة (٢٢٢٥)، وفي سنن أبي داود عن أنس، قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «يفطر على رطببات قبل أن يصلي، فإن لم يكن رطببات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء» أخرجه أحمد في مسنده (١٦٤/٣). وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله - (صلى الله عليه وسلم) «إن فى الحجة العالية شفاء» أخرجه مسلم عن عائشة (١٦١٩/٣). وروى عن سلمة بنت قيس قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «أطعموا نساكم فى نفاسهن التمر فإن من كان طعامها فى نفاسها التمر جرح ولدها حليما» [٨]. الإحتياجات البيئية الملائمة لنمو أشجار النخيل:



على إنتاج جيد. ويتمتع أشجار النخيل بالقدرة على مقاومتها للرياح لمرونة جنوعها وقوة تثبيت جنورها الكثيفة في التربة إلا أنه قد تسبب الرياح والعواصف الشديدة في سقوط النخيل الطويل والضعيف. كما أنها تعيق عملية التلقيح، كما قد تضر الرياح المحملة بذرات الرمال التمر وخصوصاً في طور الرطب وتقلل درجته التجارية، ولذا يجب تغطية السياطات في المناطق التي تتعرض لهبوب عواصف شديدة كما في الواحات [٤].

التربة المناسبة وساء الري وطرق الحصاد:

تنمو أشجار النخيل في جميع أنواع الأراضي، وإن كانت التربة الخفيفة والرملية هي المفضلة، كما ينجح النخيل في الأراضي المحمية والقلوية وذات المستوى المائي الأرضي المرتفع، ويعتبر توفر مياه الري عاملاً هاماً للتوسع في زراعته حيث يتوقف نجاح النخيل إلى حد كبير على إعطائه كفايته من الماء، على الرغم من أن النخيل يتحمل الجفاف بالمقارنة بأشجار الفاكهة الأخرى. ويتكاثر النخيل بالبذرة والفسائل، وتعتبر طريقة التكاثر بالفسائل هي الطريقة المثلى للحصول على أصناف مشابهة تماماً للأصناف المأخوذة منها، وتفصل هذه الفسائل من جوار الأم بعد اكتمال نموها ويبلغها الحجم والسن المناسب [٤].

الأصناف:

- يعرف في العالم عدد كبير من أصناف البلح يزيد عددها على ألفي صنف ويوجد بمصر أصناف عديدة أهمها من الناحية التجارية:
- ١ - أصناف البلح الرطب: مثل الزغلول، السمانى، الحيانى، الأمهات، بنت عيشة.
 - ٢ - أصناف نصف جافة: مثل العمري، العجلاني، السيوي.
 - ٣ - أصناف جافة: مثل السكويتي، الملاكبي، الجنديلة [٤].

القيمة الغذائية والتركيب التحليلي للتمر والرطب:

يحتوى البلح على المركبات الآتية:

- ١ - السكريات: يحتوى البلح على سكر الجلوكوز والفركتوز والسكروز وتصل نسبة السكريات في البلح إلى ٧٥٪.
- ٢ - الألياف الخام: تتراوح نسبة الألياف في البلح ما بين ٢ - ٤٪ على أساس الوزن الجاف، وتتكون هذه الألياف من البكتين واللجنين والسليلوز ولهذه الألياف دور هام في تقليل كثير من الأمراض مثل سوء الهضم والإمساك.
- ٣ - البروتينات والأحماض الأمينية: تتراوح نسبة البروتينات في البلح ما بين ١.٥ - ٢٪ كما يحتوى البلح على الأحماض الأمينية الأساسية (essential amino acid) وهي التي لا يستطيع الجسم تصنيعها مثل الليسين (Lysine) واليوسين (Leu-cin) والفالين (Valine)، والأرجينين (Arginine)، والهستيدين (Histidine) كما يحتوى أيضاً على الأحماض الأمينية غير الأساسية مثل الأسبارك، والبرولين، والسيرين.
- ٤ - الدهون: تتراوح نسبة الدهون في البلح من

* والجدول التالي يوضح القيمة الغذائية لمائة جرام من البلع الجاف:

المنصر	النسبة بالجرام	المنصر	النسبة بالجرام
ماء	٢٠ جرام	بروتين	٢٢ جرام
دهون	٠.٦ جرام	كربوهيدرات	٧٥ جرام
ألياف	٢.٤ جرام	فيتامين ١	٦٠ وحدة دولية
فيتامين ب١	٠.٨ ملليجرام	فيتامين ب٢	٠.٥ ملليجرام
حمض نيكوتينيك	٢.٢ ملليجرام	كالسيوم	٦٥ ملليجرام
فوسفور	٧٢ ملليجرام	حديد	٢.١ ملليجرام

وتعطي كل ١٠٠ جرام من البلع الجاف ٢٨٤ سعرا حراريا [٨].

التمر غذاء كاف ودواء شاف لكل امراض العصر:

١- التمر يقوى الرحم:

يقوى التمر الرحم خاصة عند الولادة، حيث ثبت عن البحوث الحديثة أن له تأثيرا منبها (stimulant) لحركة الرحم وزيادة فترة انقباضه، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى مريم بأن تاكل البلع فيغذيها من جهة، ويزيد من انقباض الرحم بانتظام من جهة أخرى فتضع وليدها بسهولة وبعد مرور أربعة عشر قرنا من الزمان على نزول القرآن الكريم تكشف الأبحاث الطبية أخيرا عن آثار الرطب التي تعادل آثار العقاقير الميسرة لعملية الولادة، والتي تكفل بسلامة الأم والجنين معا، ولانقباض الرحم بعد الولادة، ويعود الرحم إلى حجمه ومكانه الطبيعي قبل الحمل .. حقا إنه الإعجاز العلمي في القرآن [٧].

[٨].

٢- التمر مهدئ للأعصاب:

للمر تأثير مهدئ للأعصاب، وذلك بتأثيره على الغدة الدرقية، ولذلك ينصح الأطباء بإعطاء الأطفال والكبار العصيين ثمرات من التمر في الصباح من أجل حالة نفسية أفضل.

وقد أثبتت الدراسات الطبية مدى تأثير الغذاء على سلوك الأطفال، حيث إنه بإعطاء الأطفال نوى

٢٢٢ - ٢٨٤٪ ويحتوي البلع أساساً على الأحماض الدهنية ذات السلسلة الطويلة مثل أوليك، والباليتيك.

٥ - الأحماض العضوية: مثل حمض الفوسفوريك والستريك.

٦ - الفيتامينات: تنقسم الفيتامينات الموجودة في البلع إلى فيتامينات ذائبة في الماء مثل مجموعة فيتامين (ب) المركب وفيتامين (ج)، وفيتامينات ذائبة في الدهن مثل فيتامين (أ)، وفيتامين (د) وتصل نسبة فيتامين (أ) إلى ٦٠٠ وحدة دولية/ كيلو جرام من البلع.

٧ - العناصر المعدنية: مثل الكالسيوم والبوتاسيوم والكبريت والمغنسيوم والصوديوم والكلور والحديد. ويعتبر البوتاسيوم هو أكثرها وأوفرها. وقد وجد أن ارتفاع نسبة البوتاسيوم وانخفاض نسبة الصوديوم مناسب جدا للمرضى الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم.

٨ - الإنزيمات: يحتوي البلع على بعض الإنزيمات التي يحتاج إليها الجسم في إتمام كثير من العمليات الكيميائية. ومن هذه الإنزيمات: إنزيم الأنفرتاز والإنزيمات البكتينية والإنزيمات المحللة للسليلوز [٧].

الغذاء على البلع يؤدي إلى النحافة، أما إذا تناولوه المرء مع قرح من اللبن فإنهما يكونان معا غذاء كاملا من جميع الوجوه، حيث يقوم اللبن بتعويض النقص الموجود في البلع من البروتين والدهون. وكثير من البدوي يعيشون على التمر المجفف ولبن الماعز، وصحتهم أجود ما يكون، ونادرا ما يصابون بالأمراض الخبيثة أو المزمنة، وقليل ما تشاهد البدانة بينهم [٧، ٨].

٧ = التمر يعالج السعال ونزلات البرد:

المستحضر السابق من منقوع التليو وعسل البلع يفيد أيضا في علاج السعال المصحوب بتقلصات، كما أن المشروب الحضر من غلي أزهار الزعتر وأوراقه مع البلع يفيد في السعال الديكي ونزلات البرد [٧].

وقد وصف التمر كعلاج للسعال والبلغم والتهاب القصبة الهوائية وذلك بعمل شراب مكون من ٥٠ جراما من التمر، ٥٠ جراما من الزبيب، ٥٠ جراما من التين المجفف، ٥٠ جراما من العنب ثم يغلى على النار ويضرب. كما أن عصير الليمون بعسل البلع (الدبس)، مشروب ناجح له أثر فعال في حالات نزلة البرد [٧].

٨ = منقوع البلع مدر البول وملين للأمعاء:

وترجع هذه الخاصية إلى قدرة البلع على تنبيه عضلات المسالك البولية والأمعاء وقد أشاد قدماء المصريين باستخدام البلع في أمراض المثانة والمعدة والأمعاء [٧].

٩ = استخدام البلع كمضاد للحموضة:

نظرا لأن التمر غني بالأملاح المعدنية القلوية كالسيوم والبوتاسيوم فهو خير ما يأكل لمعادلة الحموضة الموجودة بالمعدة، وكذلك لأنه يخلف رماداً قلويا بعد هضمه وتمثله، وعلى ذلك فإن التمر خير ما يأكل لمعادلة الحموضة التي تتولد من أكل البروتينات المركزة كما هو الحال في السمك والبيض [٧، ٨].

١٠ = التمر يزيد من القدرة الجنسية:

كثيرا ما يوصف التمر لزيادة القدرة الجنسية،

السلوك العدوانى أطعمة تحتوي على التمر، أحدث ذلك تحسنا كبيرا في سلوكهم حيث تحولوا تماما من سلوك المشاغبة والعدوان إلى أطفال هادئين نوى سلوك مهذب.

وقد يرجع التوتر العصبي للأطفال إلى نقص عنصر الحديد في الغذاء مما يسبب نقص بعض الإنزيمات بالغ، وتوفر عنصر الحديد في البلع أو التمر يساعد على عدم نقص هذه الإنزيمات التي لها علاقة وثيقة بوسائل الإرسال العصبي [٧، ٨].

٢ = البلع منبه للأعما:

البلع مفيد في تقوية العضلات المعوية، حيث يساعد في علاج حالات الإمساك، ويرجع السبب في ذلك إلى احتواء البلع على الألياف النباتية التي تعمل على تنبيه حركة الأمعاء [٧].

٤ = التمر يعالج فقر الدم (الأنيميا):

نظرا لإحتواء التمر على نسبة عالية من الحديد فإنه يمكن استخدامه في علاج حالات فقر الدم وخاصة عند الأطفال والتي يكون سببها نقص عنصر الحديد. وقد وجد أن منقوع التليو مع عسل البلع مفيد لعلاج حالات الأنيميا [٧، ٨].

٥ = التمر غذاء للنفساء:

والرطب غني جدا بعنصري الحديد والكالسيوم، لذلك فضله الله تعالى للنفساء وأمر السيدة مريم العذراء أن تتناوله في فترة النفاس، وكمية عنصرى الحديد والكالسيوم الموجودين بالرطب كافية جدا وهامة لتكوين لبن الرضاعة، وتعويض الأم عما ينقص منها بسبب الولادة أو الرضاعة، والحديد والكالسيوم أيضا عنصران حيويان هامان في نمو الطفل الرضيع، حيث يعتبران من أهم العناصر الداخلة في تكوين الدم ونخاع العظام [٧، ٨].

٦ = التمر مع اللبن غذاء الرضاعة:

يستطيع الإنسان أن يعيش على التمر مدة طويلة من الزمن، حيث إنه غني بالمادة السكرية، وهي موجودة في البلع في صورة سهلة الهضم والامتصاص والتمثيل بالجسم. والاقتصار في



وفي الطب النبوي حيث يقول ابن قيم الجوزية أنه يزيد في الباه ولا سيما مع حب الصنوبر[٥] ويمكن تفسير ذلك بناء على العوامل الآتية:

- يحتوى التمر على الصامض الأمينى الأرجين وهو من الأحماض الأمينية التى يؤدى نقصها فى طعام الذكور إلى حدوث نقص فى تكوين الحيوانات المنوية.

- يحتوى التمر على فيتامينات (أ) ، (ب) المركب وهي من الفيتامينات الضرورية لتقوية الأعصاب.

- يحتوى التمر على العديد من المعادن مثل الماغنسيوم الذى يعمل على تهدئة الأعصاب، والبوتاسيوم الذى يعمل على تنظيم الإرسال العصبي وإنقباض العضلات[٧].

١١- التمر يطوى البصر والرؤية:

التمر مصدر جيد لفيتامين (أ) (A) لذلك فهو يحفظ رطوبة العين ويريقها، ويقوى البصر والرؤية، ويهديء الأعصاب[٨].

١٢ - التمر إفطار لطيف للصائم:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يفطر على رطبات قبل أن يصلّى، وفي إفطار النبي (صلي الله عليه وسلم) على الرطب أو التمر تبيير لطيف جداً، وذلك لأن الصوم يخلى المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى الأعضاء. ولما كانت المواد السكرية أسرع شيء وصولاً إلى الكبد وأحبه إليها، ولا سيما إذا كان رطباً فيشتد قبولها لها، فتنتفع به وتسارع بحرقه وإرسال الطاقة الناتجة عنه إلى الأعضاء والمخ، فالثابت طبياً أن السكر والماء أول ما يحتاج إليهما الصائم بعد فترة الصوم، لأن نقص السكر في الجسم يسبب ضيق الخلق واضطراب الأعصاب، ونقص الماء في الجسم يسبب قلة مقاومته وضعفه، وذلك بعكس الصائم الذى يملأ

معدته مباشرة بالطعام والشراب عند الإفطار فإنه يحتاج إلى ثلاث ساعات أو أكثر حتى تمتص أمعاؤه السكر، وعلى هذا تبقى عنده أعراض ذلك النقص ويكون كمن واصل صومه أو كما قال الشاعر العربي القديم:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول[٧، ٨]

طلع النخل:

في القرآن الكريم والطب النبوي: ذكر الله عز وجل الطلع في ثلاث مواضع، الأول فى سورة ق: ١٠ (وَالنَّخْلُ بِاسْقَاتِهَا طَلْعُ نَضِيدٍ)، والثاني فى سورة الشعراء: ١٤٨ حيث يقول سبحانه وتعالى (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ)، والثالث فى سورة الأنعام: ٩٩ (وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ)[٦].

وطلع النخل: ما يندو من ثمرته في أول ظهوره. وفسره الكفري (النضيد): النضود الذي قد نضد بعضه على بعض. وإنما يقال له نضيد: ما دام في كفراه. فإذا تفتح فليس نضيد. وأما (الهضيم) فهو: المنضم بعضه إلى بعض. فهو كالنضيد. وذلك يكون قبل تشقق الكفري عنه.

والنخل بأسقامات: أي طوال شاهقات أما تفسير (ومن النخل من طلعها قنوان دائية) فقنوان جمع قنو مثل صنو وصنوان وهي عنقو الرطب «دائية» أي قريبة من المتناول كما قال علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس (قنوان دائية) يعني بالقنوان الدائية قصار النخل اللاصقة عنوقها بالأرض رواه ابن جرير.

وقد قال امرؤ القيس في ذلك:

فاتت أعاليه وأدت أصوله

ومال بقنوان من البسر أحمر [٩]

والطلع نوعان: ذكر وأنثى. (والتلقيح) هو: أن يأخذ من الذكر - وهو مثل دقيق الحطة - فيجعل في الأنثى وهو التائبير. فيكون ذلك بمنزلة اللقاح بين الذكر والأنثى.

وقد روى مسلم في صحيحه، عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، قال: «مررت مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في نخل، فرأى قوما يلحون فقال: ما يصنع هؤلاء؟»

قالوا: يأخذون من الذكر، فيجعلونه في الأنثى. قال ما أظن ذلك يغني شيئاً، فبلغهم فتركوه، فلم يصلح. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) إنما هو ظن فإن كان يغني شيئاً فاصنعوه. فإنا أنا بشر مثكم، وإن الظن يخطيء ويصيب. ولكن: ما قلت لكم عن الله عز وجل، فلن أكذب على الله.

طلع النخل ينفع من الباء، ويزيد في المياضعة، ودقيق طلعها إذا تحملت به المرأة قبل الجماع. أعان على الحمل إعانة بالغة، وهو في البرودة واليبوسة، في الدرجة الثانية، يقوى المعدة ويجففها، ويسكن نائفة الدم مع غلظة ويطه هضم.

ولا يحتمل إلا أصحاب الأمزجة الحارة. ومن أكثر منه فإنه ينبغي أن يأخذ عليه شيئاً من الجوارشات الحارة. وهو يعقل الطبع، ويقوى الأحشاء والجمار

يجرى مجراه، وكذلك البليغ والبشر. وإكثاره منه يضر بالمعدة والصدر، وربما أورت القولنج وإصلاحه: بالسمن أو بما تقدم ذكره [٥].

في الطب الحديث:

وقد أظهر الطب الحديث أن طلع النخل يحتوي على ١٧٪ من سكر القصب، ٢٢٪ بروتين، ٥٤٪ كالسيوم، بالإضافة إلى وجود نسبة عالية من فيتامينات (ب)، (ج)، وأملاح الفوسفور والحديد. وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أنه مقو للجسم، لوفرة المواد الدسمة فيه كما أنه يحتوي على هرمون (الأيسترون) الذي ينشط المبيض، وينظم دورة الطمث، ويساعد على تكوين البويضات في الأنثى. كما استطاع العلماء فصل الروتين، التي يتكون منها عقار يقوي الشعيرات الدموية في جسم الإنسان ويحفظها من الانفجار، وبذلك يمنع النزف الداخلي الذي يصيب مرضى الضغط والسكر [٢]. وما زالت الأبحاث العلمية تجرى لسبر أغوار النخلة المشرفة. . . وصدق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حيث قال عنها إنها كالرجل المؤمن: كله خير ظاهره وباطنه [٥].

الهوامش:

- (١) أنظر المعجم الوسيط ج ٢ ط ٢ ص ٩٤٦.
- (٢) نقلاً عن الموسوعة الثقافية - مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص ٢٢٤، ٢٢٥ مطابع دار الضبط ١٩٧٢.
- (٣) أنظر التداوي بالأعشاب والنباتات - مجد الطيف عاشور - ص ١٣٧، ١٣٨ مكتبة ابن سينا.
- (٤) نشرة وزارة الزراعة واستصلاح الأراضي - مركز البحوث الزراعية - الإدارة المركزية للإرشاد الزراعي نشرة رقم ٧٦ - ١٩٨٩، ص ٨ - ٣.
- (٥) نقلاً عن الطب النبوي لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزبيدي المصنف ابن قيم الجوزية ص ٢٢٤، ٢٢٥، ٣١٠، ٣١١، دار إحياء الكتب القديمة.
- (٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث، القاهرة.
- (٧) نقلاً عن أسرار العلاج بالفواكه والخضروات، د. وفاء عبد العزيز بدوي ص ٤٩، ٥٥، مكتبة ابن سينا.
- (٨) أنظر الأطعمة القرآنية غداء ووجاء - د. محمد كمال عبد العزيز ص ٤٧، ٥١ مكتبة القرآن.
- (٩) تفسير القرآن العظيم - لإمام المأظف عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي النمشي ط ٢ ص ١٥١ - دار الجيل - بيروت.
- (١٠) أنظر تنكرة أولى الآباب والجامع للصحب المعجب - داود بن عمر الأشطلي ص ٩٦، دار الفكر للطباعة والنشر.

ماما لم أستطع النوم.
صدمت هذه الطفلة أمها، فهذه الطفلة التي لم تتجاوز العاشرة
تأرق .. تباً للأرق.
قالت الطفلة:
- ماما بسام ابن الجيران عندما رفضت اللعب معه وفضلت
الرسم خبأ عليه الألوان فرسفت بالظلم الرصاص، خطف كراستي
وقال لي رسمك أسود كغفلك السوداء.
وضعت الطفلة رأسها على صدر أمها وقالت بصوت كله مودة
وعينان تخفقهما الدموع.

- صحبح يا ماما أنا نفسي سوداء،
صدمت أمي! ترى من علم بسام بأن
الأنس أنوان، من ذا الذي يفتح مدارك
طفل صغير على خبث الدنيا وكيدها.
ظلت أم تربي على طفلتها، فقد كانت
تلحن حتى لحظات قبائل، من عمر الزمن
أن الأرق مرض معد يصاب به الإنسان عن طريق الإيحاء.

كانت أمها عندما تعبر عن أرقها تقول (لم أستطع النوم من
شدة الغيظ).
تمتع داخل نفسها أن الأرق والقهر والحرز والإحباط توائم
أربعة بنامون في مهد الليل ويتغنون بأعصاب البشر وبموجهم كئن
أي ندب في بساط الحياة الإنسانية كليل بتغيير كيمياء الجسم
مما يفقد الإنسان القدرة على النوم.
وقد أخفت أرقها عن كل من حولها خوفاً عليهم من العدوى
ولكن يبدو أن الأرق مرض وراثي لأن الطفلة أرقبتها كلمة فهي
ورثت الأرق عن أمها وقد ورثت
أمها عن جدتها.

لكن لا، جدهتها لم تكن تأرق
كانت تنوم.

عندما كانوا يجتمعون حول الجدة يتحدثون ويتذرون
ويضحكون، كانت الجدة تشاظرهم أحاديثهم وهي ممددة على
الأريكة.

وبعد دقائق كانوا يسمعون صوتاً أشبه بصوت مضخة الماء
التالفة ثم يكثفون بعد ذلك أن الجدة كانت تشخر.

وبعد نصف ساعة شخير يفاخرون بها تشاركونهم أحاديثهم
فيظنون أنها قد استيقظت وانتهى نومها.

ثم يسمعون صوتاً أشبه بصوت الخلاط الكهربائي .. نامت
الجدة وبعد ثلاث أو أربع ساعات تعتدل على الأريكة وتنهض بحركة
(أه) لست أدري ما بي لم أتق النوم طعماً، جدتها توهمت
وأما تاصل في نفسها ذلك الوهم حتى اضحى أرقها مرضاً لا
تذهب إلا المهدئات.

أما هي تكاد مع الليالي سهرأ وحزناً بدون مهدئات. ولكن
ماذا عن طفلتها هل سندسّر في نفس الطريق. الذي وضعت
قدمها على أوله في هذه الليلة التي تضاعف فيها حزن أمل على
نفسها وطفلتها أم ماذا؟

تحت أضواء القمر الخافتة تجلس أم بالشرفة تنظر إلى
الأفق البعيد، حول الشرفة فروع أشجار تنضبت جنورها بترية
حديقة المنزل، بعض من نسمات تداعب أعصان الأشجار ويصدر
عن أوراقها أصوات تسمع، أمل نداعات وصفية وليحست
إسمية .. يا وحيدة .. يا وحيدة.

تنفخ رثتها بالهواء ثم تلفظ من فيها عبر شفيتها أول أكسيد
ساخت، تحسّس يدها بحثاً عن ساعة لا وجود لها حول معصم
يسراها. تتمتع (حتى لو عرفت كم الساعة ما الفائدة من هذه
المعرفة إذا لم تتوج بعمل ينظرني .. الساعات كلها واحدة)،
تسرح، تفكر في ساعات أيامها.

كل يوم تستيقظ، تقوم بواجباتها
المنزلية، تعتني بنفسها وابتها ويبتها
تنتظر زوجها، تقطع ساعاتها بالقراءة،
تلك القراءة إحدى عوى زوجها، فهو لا
يكره فيها سوى شيئين القراءة
والصمت همست في نفسها (متى كانت القراءة ذمّة؟ والصمت
أليس راحة؟)

فبالصمت تحجب عنه ما قرأت أي أن الفلسفة التي يكرهاها
الرجال في النساء المثقافات بعيدة عنه. تتذكر أمل أنه دائماً
عندما يتحدث إلى صديق أو بالهاتف تسمعه يقول: (أنا زوجتي
مانيكان. فهي من أجمل النساء وأنتظهن؟ مطيعة ومادنة لكن
الحياة معها أشبه بالعيش داخل الثلاجة صيفاً وشتاء فهي لا
تعرف سوى كلمة نعم، حاضر، طيب، ولا يكون خاطرك إلا زي
العسل. بنت ناس ومترية).

وبالرغم من أنها تقيظني بالنظر
في الكتب والقراءة على النظر في
وجهي والتحدث إلي إلا أنها ليست
كباقي النسوة اللواتي يفخرن بما
تخبر به عقولهن من معرفة وعلم وثقافة.

يبدو لي أنها تدخل ما في الكتب من معلومات إلى عقلها
رفينة لا تسمح لها بالخروج إلا بغدية معينة. ولكنها لا تطلبها.
ليفتني أعرف ما فدية ما بعقلها لفديته. فقط التحدث ..
وتعالي ضحكاتها مع الطرف الآخر.

وعندما اقترب موعد زواج أختها، كل النساء اكتسبن بلحى
الظل إلا هي، واستعجب وقال لها حينها: دائماً أشعر أنني زوج
الكمبيوتر .. ولم يحدث يوماً أن كمبيوتراً طلب فستان سهرة
ولا حتى قرصاً مغنطاً (ديسك) ما أغباني أشعر أن شفئك
مشقة تقع على فوهة ثورك تشق الكلمات فور ولادتها .. حالة
«وأة» يعني.

يخرج ويتركها ويترك كلمات كسكين يرسم خطوطاً سوداء
حول عينيها نومها قتل.

عاشت نسام الهواء مداعبتها لأوراق الشجر وعواد الشجر
بذاته لها يا وحيدة ..

قطع على ورق الشجر تجريح روحها الساهرة صوت طفلتها ..

نداء الشجر

صاحبه الزين - مكة المكرمة -

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

تقرب زوجها من ابنائها وتعرّز كل سلوك طيب يقوم به الزوج نحو هؤلاء الأبناء، لعل أيم يتعلم هذا الدرس من حواء.

٨٧١ = أبو عواد:

الزوج غالباً ما يعبر عن حبه لزوجته من خلال موقف يقفه معها أو مع أحد أقرانها وليس كلمات جوفاء يضحك بها عليها. لذا أرجو ألا تنتظري مني أن أبادلك الرد على هذا السيل من الأخطاء إلا في حدود الشكر على المشاعر النبيلة فيما أنا أعبر عن حبي بطريقتي التي أمهرها بالأعمال لا بالأقوال.

المعترية سيني.

٨٧١ = أم عمرو:

التعبير عن الحب والرعاية أفضل بالأعمال منه بالأقوال ولكني اعتقد أنه من الضروري قرن الأعمال ببعض الأقوال فالكلمة الطيبة نور للعيون ودفء للقلوب وزاد للرحلة الطويلة.

٨٧٢ = أبو عواد:

إن مزاحك معي أمام الأولاد أمر لا أحبه كثيراً، لا بأس من اللطافة أو الاستطراف الذي يظل في حدود الممكن والمقول. فعلى طاولتي مكتبي لابد أن تبقى بعض الأوراق مكية تظل حدود الثقة والصراحة بيننا قاصره عن إعطائك الحق في استطلاعها من باب الاحترام

مهما حاولنا جبرها.

٨٧٠ = أبو عواد:

أعرف أرامل ضارين أروع الأمثلة في الإيثار والتضحية حين رفضن الزواج من رجل ثان حتى يتفرغن لابنائهن من الزواج الأول.

وأعرف رجالاً تزوجوا من أرامل فكانوا لا يقلون عنهن عطفاً على ابنائهن من الزواج الآخر. لكنني لم أجد من يؤخر زواجه خشية أن يخسر تربية ابنائه كما لم أجد زوجة أيًا كانت رحيمة بابناء زوجها من غيرها وفيما يكون زوج الأم غالباً محل تقدير أبناء امهم. فان زوجة الأب غالباً لا تكون محل تقدير أبناء أبيهم.

ويصرف النظر عن الحالات الفردية فإن المسألة ظاهرة لا يختلف عليها اثنان.

٨٧٠ = أم عمرو:

إذا بحثنا وراء أسباب تكيف زوج الأم مع أبناء زوجته نجد حكمة جواء التي تعرف كيف

٨٦٨ = أبو عواد:

إن غالبية الذين جرّبوا الصداقة مع زوجاتهم أجمعوا على أن (الكذب) معهم أفضل! نتيجة مخالفة للأسف لما ينبغي أن يكون عليه المسلم.

٨٦٨ = أم عمرو:

لا يمكن أن يكون الكذب أفضل من الصدق بأي حال من الأحوال في أي ظرف من الظروف. علينا أن نتعلم ونعلم أيناذا وبناتنا أن الصدق ولا شيء غيره هو السبيل إلى بناء الثقة والحفاظ عليها بين الزوجين. عندما نواجه مشاكلنا بصدق نصبح جزءاً من الحل بدلاً من بقائنا جزءاً من المشكلة.

٨٦٩ = أبو عواد:

يُخطئ من يعتقد أن الطلاق له ضحية واحدة هي المرأة. بسبب أن العصمة بيد الرجل بينما في واقع الحال أن الزوج هو الآخر ضحية للطلاق والسبب هو المرأة التي لم يجد ضالته معها مما اضطره للبحث عن السعادة مع غيرها.

٨٦٩ = أم عمرو:

في الحقيقة ضحية الطلاق ليس الزوج أو الزوجة، بل هم الأولاد الذين ينكسرون مع انكسار الأسرة وتظل الكسور والشروخ معهم طوال حياتهم

والتقدير بالوقوف عند حد معين
لا ينبغي تجاوزه.

٨٧٢ = أم مورو:

لا توجد حدود لا ينبغي
تجاوزها بين الزوج وزوجته فيما
يخص أمور الأسرة، الوضوح
والصراحة ضرورة حتمية لأمان
الأسرة وليحلم كل من الزوج
والزوجة وحده إذا أراد ليلاً وهو
نائم.

٨٧٣ = أبو عواد:

إن أفضل صباح عندي هو
الذي استيقظ منه على صوتك
وأنت تملئين أرجاء المنزل شمو
كالبلابل الجميلة وقد هيئت ما
يلزم من قهوة الصباح وفطور
الصغار وكم أشعر بالاحباط
عندما أستيقظ وأجد الصغار
يعبثون تحريماً وتكسيرا في
المنزل وأنت تملئينه شخيراً عقب
ليلة أبيت فيها كل أنواع السلام
الملكي والجمهوري لجميع
محطات الإرسال قبل أقبالها.

٨٧٣ = أم مورو:

المرأة التي تجلس أمام
محطات التلفزيون والإذاعة حتى
تقف امرأة تبحث في كلمات
المذيع والمذيعة عما يؤنس
وحديثها التي غالباً ما تكون
ناتجة عن المعيشة مع تمثال
اسمه الزوج.

٨٧٤ = أبو عواد:

إن الزوجة التي يكلل زوجها
بالمطمح ويطعمها منه ويغسل

ملابسه خارج المنزل لا يحق لها
من وجهة نظري شغالاتين
بالمنزل. والواحدة ربما كانت
كثيرة عليها.!!

٨٧٤ = أم مورو:

إن الحديث عن الزوجة كيدية
للشغالة والعكس حديث قاصر
ومضلل وضار. أعمال البيت
يجب أن توزع على كل أفراد
الأسرة كل بحسب حجم وقته
وجهدة وانشغالاته خارج البيت.

لا بد أن نعلم أولادنا أن الأسرة
تتجع إذا عمل أفرادها بروح
الفريق. وإذا بقي بعد ذلك عمل
لا نجد من نوزعه عليه هنا ينبغي
أن نبحت عن من يساعد في
تأديته.

٨٧٥ = أبو عواد:

احترام الزوجة لأهل زوجها
شرط أساسي لصلته على
احترام أهلها. وفي كل
الأحوال الزوجة الواعية هي التي
تهيم حباً بأهلها ليظل دائم التعلق
بأهلها.

٨٧٥ = أم مورو:

عندما يتزوج رجل من امرأة
يكتسب كل منهما أسرة جديدة
عليه أن يربعاها ويحافظ عليها
كما يربى أسرته الأولى على أن
يبدأ الإثنان من نقطة بداية
واحدة هي عقد الزواج.

٨٧٦ = أبو عواد:

على الزوجة التي لا ترى في

زوجها إلا انتفاخ محفظته أن
تعيد النظر في حياتها معه!!

٨٧٦ = أم مورو:

الزوجة التي لا ترى في
زوجها إلا انتفاخ محفظته
يكون ذلك راجعاً لانتفاخ أوداجه
حتى غطت على عقله وقلبه.
ولابد أن نتوقع من كل فقاع
انتفخت فوق طاقتها أن تنفجر.

٨٧٧ = أبو عواد:

السيدة المصرية هي السيدة
التي تكون إنسانية بمعنى الكلمة
، وليس من تتفنن في موديلات
الفساتين وتسريجات الشعر
وصرعات التفافات ببشتى
صورها وأشكالها. فكم من
سيدة تبلى عصرية لكنها في
داخلها أكثر من أنسانة همجية
فالانسانية تتبع من القلب ولا
تتشع من فصوص الماس أبداً يا
سينتي.

٨٧٧ = أم مورو:

السيدة المصرية هي التي
تحصل على قدر من التعليم
والثقافة يجعلها تثق في نفسها
كإنسانة بدون زينة أو فساتين أو
مجوهرات. ويصبح رضاها عن
نفسها هو معيار صحتها
النفسية وليس رضا الآخرين
بما في ذلك الزوج. حيث إن
رضا الإنسان عن نفسه هو
البداية الصحيحة لرضا
الآخرين عنه وليس العكس.

* هو الشاعر محمد عبد المعلى الهمشري
(يوليو ١٩٠٨ - ١٩٣٨).

* من اعلام شعراء الرومانسية في الشعر
العربي الحديث.

* نرف على شعراء الرومانسية الاوربيين
(بودنوخ، وكيتس، وشلر).

* كانت رومانسية شرة طبيعية الحضارة
المصرية والمجتمع المصري.

* حتى باهتمام وتقدير شعراء الرومانسية
في العالم العربي.

* نشأ في مدينة المنبلين - محافظة
الدقهلية، ثم رحل الى القاهرة.

* أحب النساء جداً، وكانت من مدينته ..
كان يطيع له أن يدالها باسم متوحه.

حبيبتي مطر شبابي .. جتا:

في آخر ليلة التقينا فيها لم أدر إن كان لقاء
وباع أخير، أم لقاء على أمل
الغد القريب .. أم أن الغد
سوف يتمرد علينا .. لقد
رايتك تغطرين إلي بنظرات
مرتاعة تكلي شتت خواطري.

أجل، جعلتني أعص برجز القلق الماد الذي
كاد يفقدني القدرة على الوعي بالصائب
والإدراك السليم .. قلق مضى من نظرات
لك حيرتني وشتت خواطري .. كنت فيها
السائل والمجيب .. وكنت أنت فيها الدهشة
والمفاجأة ، والياس والأمل، والشك واليقين.
نعم، في آخر ليلة التقينا فيها كانت لك

نظرات ألهمت في وجداني هواجس ما كنت أتصور أن
ترد على ظني .. تركتني وحدي والليل يلغني؟ لا .. لا،
بل الليل يؤنسني ويحنو علي ويأسي لحالي .. فلم أجد
سواه أبته أشجاني وهواجسي وأوهامي فهمست إليه
قائلا:

أيها الليل أتينا نشتكي
فباستمع شكوى الحزاني المتعبين
هنا الصلحون وأضنانا الأسي
ورأنا الوجد في نيبا الشمسجون
قد شكرك وجئتنا نشتكي
لك شيننا في خيال الذاهلين
إنسى يا ليل أحكي غفوة
فنفيت فسيك على ممر السنين

واستحالت في البلى قبرة
تتلفني في بجلي وأدى النون
إنني يا ليل أحكي حزنه
من شعاع في سماع العالين
حبيبتي، مطر شبابي .. جتا:

وها أنا ذا في رسالتى هذه أسأل بلسانك، لا،
بل أسأل بقلبك .. لا، بل أسأل بروحك .. لماذا؟
إحساس غائر في وجداني يخيفني ويفزعني ..
كيف أنجو من عذابه؟ فأجبت قائلا: يا حبيبتي جتا:
عانقتني في الحنى اقتدى
إنني أفزع مما تفزعني
قرى حسدك .. ضمني إلى
صدرك الحاني .. التمي هذا الجبين
إنما نحن كركب فحل في
تبه صحراء بقم تاهين
قد نسينا كل ما كان لنا
وتركنا في غد ما سيكون

**حبيبتي
مطر شبابي .. جتا:**

وكان السؤال الثاني الذي
وشت به نظراتك: هل تحب حبي؟
هل يشبه حبي سائر الحب؟
فأجبت قائلا: أما أن أحب حيك فهذا ما لا يحق
لك أن تسألي عنه لأنك تعلمينه علم اليقين ..
وتبشك عنه الليالي والسنون. ولا يحق لك أن
تسألي عنه لأن فيه سخرية من حبي لك .. فكيف
أذن لك فؤادك بأن تعبشي بي .. تسالين عن
حيك يا «جتا»، ما مكانته عندي؟

لقد كان مثل التسميم الخفي
يُخسني ولا يرتديه البصر
وكان السؤال الثالث الذي وشت به عينك إشياء
المستكر الشاك مزاج غريب من الإدلال بالجمال ومزاج
غريب من خوف السلوان والهجران لا، لا يا حبيبتي أتمنى
ألا تكون تلك الظنون قد مزت ببالك فلو أنها سرت إليك لا
قدر الله لكأن ذلك هو العذاب الأليم والهلم المقيم والشجن
الذي لا ينقطع .. لا .. لا .. يا حبيبتي «جتا»
لا تسال قلبي مناه
إن كان قلبي شاك
أنت الذي تقبلي شاك
ممنها ميمنا
فمنها لم يفسدك إلا

**محمد
عبد الواحد
عجازي
مصر**

كما التقى جفناك
يا ذا هلا عن غمراسي
تيللا رحمة
خلفت جسمي طريحا
لا يستطيع حراكا
لكنه من هواه
يطير حين يراكا

تسألني عيناك: هل أحبك؟ نعم يا حبيبتي ..
وتسألني عيناك: وهل حيك يشبه حب الحبين؟ لا يا
حبيبتي، وهل يجب الناس الدنيا على شاكلة واحدة؟ لكن
حبى لك هو حب الدنيا كلها بنورها وسحرها وجمالها ..
الدنيا بكل ألوان العذوة فيها .. فكوني يا حبيبتي كما
تشانين فلا أملك إلا أن أحبك:

فلو تعلمت نورا
لكان طرفي امتواكا
ولو تعلمت خمرا
لكان ثفري امتساكا
ولو تعلمت روبا
ولقد تعرفت شذاكا
لكنك فليس فراقا
أرف حول منك
وكنك قضيت عمري
لمسور رقيق جنكا

حبيبتي، عطر شبابي .. جتا:

وسألتي عيناك: هل تعود ليالي الشهد حيث جنان
الرياض الراضات مع التجمعات في خمائل من الظلمة
الساجية؟ .. أجل يا حبيبتي «جتا» لكم أتمنى أن تعود
تلك الليالي إلينا أو تعود نحن إليها:

يا ليالي بالشهد عودي
مسنات كما قضيت مذابا
وأرهنى السرور منك سلاها
وكما كنت فارجمي أكوابا
واملاي الكأس لا تخافي عذولا
وامزجي بالسرور فيه شرابا

حبيبتي، عطر شبابي .. جتا:

وسألتي عيناك في التماح دهاني. هل سيعاودك
الحنين إلى «نوسا البحر»، أجمل مفاتي التيل وكنه لم
يعشق سواها فأسخ عطيا من في نعمائه ما تعشقه
العين من جنان الطبيعة وهى في سخائها العبقري ..
سألتي عيناك: هل سيعاودك الحنين إلى «نوسا
البحر»؟ هل سيعاودك الحنين إلى حبي؟ .. أجل يا

حبيبتي، قلبى في حنين لهيف إلى حبك ... فى شوق
إلى نسمة من عطرك تحمى في بواعث الحياة .. إيه يا
«نوسا» إيه يا «جتا» .. إيه يا «توجة» ..

منك الجمال يعني الحب يا نوسا
فقللي القلب إن القلب قد ينسا
يا حبيبنا نسمة من «توجة» خطرت
أطالت النفس من أسياها النفسا
أضمها ضم مشتاق به خبل
قد رام كتم هوى أحبابه فنسا

ولسوف يدعوني جمالك حينما طوفت بي الأفاق أو
شغلتي شواغل الحياة .. فلا تبخل علي بلحمة منك
تسعدني وترح قلبي وتكفك من دموعي:

هذا جمالك يدعوني لأعشقه
لكن ثفرك يا دنياي ما نسا
الله يشهد أنى حين أنكسركم
أنيل دمعا على الضنين محبسا
حبيبتي، عطر شبابي .. جتا:

وسألتي عيناك سؤالا محيرا فألجأته عليه لا نهائية
.. إنها في كل ملمح ينبع من ملامح الطبيعة والكون
والحياة .. فانت حلم منور .. وأنت عطر مجتج .. وأنت
كل الحياة ..
أجل ..

أنت حلم منور ذهبي
طاف في أفق عالم مسحور
وتجلى على غيباب رحي
بجناح من الضياء البشير

أنت عطر مجتج شفق
لملوح الروح في ممره النور
قد سرى في الخيال طيب شذاه
من زهور في شاطئ مجهول
حبيبتي، عطر شبابي .. جتا:

لو سألتني عما أعانيه الآن لقلت لك خاطر غريب فرغم
شبابي ويهجي وأقبالي على الدنيا بكل الشوق والحب إلا
أنني أحس كأن وجودي بغير معنى .. فهل هذا إيذان
برحيل لا أوبة معه؟
أجل يا دنيا:

أرى صلحة الآمال قد ضاقت أفقا
ولاح علي اليأس البعيد مينا
لقد عشت في دنيا الخيال مغبيا
فيا ليت شعري هل أموت سعيدا؟

رحلة في المكتبة [٢]

قصص

الأنبياء

تأليف الأستاذ عبد الوهاب النجار

طبع منها كتابه (الخلفاء الراشدون) عدة طبعات، أما محاضراته الذائعة في جمعية الشبان المسلمين التي كان يكيلا لها وأما مقالاته المتشعبة المتوالية في الأهرام والبلاغ والمقطم والرسالة ومجلة الشبان المسلمين ومن قبلها المؤيد واللواء والجريدة أيام شبابه الأول فأكثر من أن تحصر وقد اختاره الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

للتدريس بقسم الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين، فجعل من همه أن يبدأ بتحرير قصص الأنبياء في دروسه،



لأنهم أصدق الدعاء، ومثلهم العليا، فألف

بقلم: أ.هـ. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

كتابه عن هؤلاء وفاجأ الناس بتحقيقات لا عهد لهم بها، والرجل صارم الحجة، واضح الدليل في كل ما يكتب وقد صدق الشاعر الكبير الأستاذ على الجارم حين قال في وصفه:

له حججٌ يسميها كلاما
وما هي غير أسياف تُسل
إذا فاضت ينابيعه خطيبا
علمت بأن ماء البحر ضحل
يذلُّ له شمس القول طوعا
ويستغنى له المعنى مدلُّ
بيان مشرق اللوحات زاه
وقول صادق النبرات فصل
وآيات ترى فيها (ابن بحر)
يصول كما يشاء ويستدل
يقلُّ شبا الخصومة حيث كانت
برأي كـ... المهتد لا يقلُّ

* وهذا وصف يغنيني عن سرد ما أعلمه من

أحدث هذا الكتاب عند صدوره رجة علمية، وظلت الصحف اليومية تتحدث عنه بأقلام كتابها بين معارض ومؤيد، لأن مؤلفه الكبير قد تعرض لتفصيل حيوات الأنبياء في حرية علمية، لا تعرف الركون إلى المسلمات المتوارثة عن الحشويين ممن يبالفون في سرد الإسرائيليات، ويحاولون أن يفسروا على ضوءها آيات من كتاب الله وهي منها بمكان بعيد، ثم تمخض النقاش المستطيل عن قوة الباحث المؤلف، وسديد براهينه، وهذا ما فصله الآن:

كان الأستاذ عبد الوهاب النجار من خيرة الطبقة التي اقتدت بالأستاذ الإمام محمد عبده في مصر، إذ كان مع الأستاذ المراغي والسيد محمد رشيد رضا والأستاذ مصطفى عبد الرازق والشيخ عبد العزيز جاويز من أبرز تلاميذ هذه المدرسة التي تستضيء بنور العقل فيما تكتب وقد أصدر النجار عدة مؤلفات في تاريخ الإسلام إذ كان أستاذا لهذه المادة بالجامعة المصرية القديمة، وقد

قوة الجدل لدى النجار، ومن إحاطته الوافية بكل ما يتعرض له من مسائل الأدب والفقه والتاريخ وابن بحر هو الجاحظ، وهل يعد أن يُشبه الجارم النجار بالجاحظ مزيد لثاء؟
وحين ظهر هذا الكتاب مطبوعاً بأيدي الطلاب ضاق به بعض من يتشددون في اتباع ما ورد بكتب التراث، وكتبوا إلى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان عميد كلية أصول الدين راجين أن يوقف تداول الكتاب بين الطلاب فسارع العميد بتأليف لجنة علمية من كبار أساتذة الكلية لدراسة الكتاب، ثم كتابة تقرير مفصل عنه مع الرد على كل ما جاء به من آراء منقودة لا تستقيم، وقامت اللجنة بواجبها العلمي فعكفت عدة أشهر على فحص الكتاب وأعضائها بعدُ ممن يرون التمسك بالسائد الذائع دون لجوء إلى التجديد المبتكر، فكتبوا تقريراً يتضمن بعض النقاط التاريخية التي لم تصادف ارتياحهم العلمي، وهم بعد محموبون لأنهم صدروا عن منطق يروونه الصحيح دون سواء، وقد قرأ الأستاذ اللبان تقرير اللجنة، وقدمه إلى المؤلف الباحثة ليرد عليه بما يوضح منحا، فقام الأستاذ بجهد مشكور في بيان ما اتجه إليه من تفكير يخالف الاتجاه السائد، ولم يحدث في النقاش كما اهتم أعضاء اللجنة في بعض ما كتبه، وهذا مما يُحمد له، وقد استشهد في هذا المجال بقول الشاعر:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر

لعزة من أعراضنا ما استحلت

وهي روح طيبة يجب أن تحتذى من أهل العلم، ومن حظ الدارسين أن النجار أصدر الطبعة الثانية مشتملة لتقرير اللجنة مع تقرير لجنة أخرى قامت بهذا الغرض دون أن يسقط حرفاً واحداً، وشفع ذلك بنقده العلمي الصريح، فأصبح الكتاب بهذه الوثائق معرضاً رائعاً للرأي الصر والنقاش الهادف، وقدم للقاريء ما يجعله حكماً عدلاً إن كان من الفاقهين، ولو سلك كل منقود مسلك

(١) إن العقل ركن المعتقدات الأولى، فما أوجبته كان واجباً، وما أماله كان محالاً، وما أجازته كان جائزاً.

(٢) إذا عارض الخبر العقل وجب تأويل الخبر بما يزيل هذا التعارض.

(٣) إذا كان رواية الخبر أحاداً فلا يصلح أن يكون دليلاً على ثبوت الأمور الاعتقادية، لأنها لا تثبت إلا بالدليل القاطع، وخبر الأحاد ظني لا قطعي.

(٤) أن الخبر الوارد عن النبي المعصوم إذا كان قطعي الثبوت والدلالة فهو حجة قاطعة على ما تضمنه وأما القرآن فلا خلاف على حجتيه الصريحة.

(٥) ما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية، وكان منقولاً بطريق النقل المتواتر، ويمكن صرفه عن ظاهره، كان بها، وإلا فيحمل على أنه كان قبل البعثة، أما إذا كان النقل بطريق الأحاد فهو مرئوب.

(٦) إنكار المعجزة الثابتة بنص قطعي الثبوت ككفر، أما الإسرائيلية فلا حرج في مخالفتها وإنكارها.

(٧) كتب العهد القديم والجديد يُقبل منها ما كان موافقاً للقرآن. وما خالفه باطل، وما كان القرآن

سأكتأ عنه فلا نقتطع بكذبأ أو صدقأ، ويجوز الإنتناسية.

(٨) أقوال المفسرين ليست حجة قاطعة فيما نصت عليه بل هى أوجه يجوز حمل القرآن عليها، أو مخالفتها.

هذه هى الأسس التى ارتكز عليها الأستاذ فى تحقيقاته، ولها أصول فى كتب السابقين والمحدثين، ولكن بعض زملائه من أساتذة الكلية لا يتفقون على صوابها، ومن هنا دار النقاش؛ وقد كان من القرارات الأساسية لدى من عارضوه أن آراء السلف لا تقبل التعديل، وأن مخالفة الأستاذ النجار لبعض هذه الآراء تتطلب التصحيح، وإذا كان النقد قد تشعب حتى شمل ست عشرة نقطة علمية، فإن محاولة تلخيصها نقدا وردا مما لا تتسع له كلمة موجزة عن الكتاب، وكى لا أحرّم القاريء من الوقوف على منهجين متعارضين فى التفكير العلمى فأبنى سأختار مثالا واحدا لقضية علمية دار حولها الجدل بين الأستاذ ومعارضيه، ولعل ذلك يدفع الدارس الجاد إلى استيعاب كل ما دار، بمراجعة الكتاب فيما بعد الطبعة الأولى، وهى متعة لذيدة يحرص عليها من يعيشون تصاول الآراء، وتناطح الأفكار.

أما القضية التى اخترتها من بين القضايا المتعددة، فهي ما ذكره الأستاذ النجار عن رحلة إبراهيم عليه السلام إلى مصر، إذ تعرض المؤلف إلى ما نقله الرواة من رحلته إلى مصر فى عهد ملوك الرعاة المعروفين بالهكسوس، وما كان من طمع الملك الهكسوسى فى سارة «زوجة الخليل، وادعائه عليه السلام أنها أخته كي يسلم من شره، وهذا كله جاء فى التوراة، نقله الأستاذ ليتولى تفنيده، دون أن يذكر ما دار حول ذلك من روايات الأحاد فى كتب الحديث، ليكون التفنييد للمصدر الأول وحده دون أن يمس الكتب الإسلامية فى شيء، وهو صنيع يتمشى مع خطة المؤلف، لأنه لا يعتمد الأحاديث المروية عن الأحاد ولم تثبت بنص

قطعى متواتر، إذ قرّر فى شروطه التى التزم بها عدم الركون إلى أحاديث الأحاد إذا كانت مما يصطدم مع الرأى، ولكن اللجنة الناقدة رأت فى تجاهل هذه الأحاديث ذللا خطيرا، وأفاضت فى تسطيرها برواياتها المختلفة، وكان أول ما بدأت به رواية أبي هريرة [١] عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: لم يكن إبراهيم عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، اثنتين فى ذات الله وهما قوله: إبنى سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم، وواحدة فى شأن سارة فانه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها، إن علم هذا الجبار أنك امرأتى غلبنى عليك، فإن سألك فأكبره أنك أختى، لأنك أختى فى الإسلام، ولا أعلم فى الأرض مسلما غيرى وغيرك، فلما دخل أرضه علم الجبار بها، فأرسل إليها فأتى بها، فلما دخلت عليه، لم يتمالك أن بسط يده عليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: دعي الله أن يطلق يدى ولا أضرك. ففعلت فأطلقت يده، ودعا الذى جاء بها فقال له: لقد أتيتنى بشيطان ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضى، وأعطاهما هاجر. هذا نص من أحاديث متشابهة فى المعنى والمضمون أفاضت لجنة الرد فى سسريدها، منكرة على المؤلف كل الإنكار أن يترك هذه الأحاديث، ويعتمد الى رواية التوراة، ثم شاعت أن تلتبس له بعض التعليل فرأت الأمر لا يخرج عن أربعة احتمالات هي:

١ - أن يكون المؤلف لم يقف عليها، وذلك مستبعد من أستاذ فاضل يدرس فى كلية أصول الدين لطلبة الوعظ والإرشاد.

٢ - أن يكون المؤلف قد وقف عليها، ورأى فيها مطعنا يخرج بها عن دائرة الاحتجاج، ولو صح ذلك لوجب عليه فى رأى اللجنة أن يذكر مطعنه بأدلته.

٣ - أن يكون قد وقف عليها ولم يعلم فيها مطعنا، غير أنه لا يراها مما يتخذ مصدرا للأحداث التاريخية.

٤ - أن يكون قد وقف عليها، ولم يعلم فيها مظنا غير أنه سها عن ذكرها.

وهذه احتمالات عقلية افتراضية فحسب، لأن المؤكد أن المؤلف الكبير قد درس جل ما جاء في التراث عن إبراهيم، وفي مقدمته ما جاء في الأحاديث، لذلك سارع بالرد الجهير قائلا: إنه يعرف هذه الأحاديث ويعلم أنها تسند الكذب إلى نبي كريم، وهو أمر يمس العقيدة، وقد قال صاحب الفتح ج ٨ ص ٤٣١، إن الأحاديث إن كانت في مسائل علمية يكفي في الأخذ بها بعد صحتها إفادتها الظن أما إذا كانت في العقائد فلا يكفي فيها إلا ما يفيد القطع متنا وأساندا، وعلى ذلك فلا تصلح تلك الأحاديث أداة لتقرير كذب إبراهيم عليه السلام، لوجوه كثيرة استطرد النجار في ذكرها ناقلا ما يدل على صدقه من مثل قول الله عز وجل (وإنك في الكتاب إبراهيم إني صديق نبيا) (مریم/٤١) ومثل قوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتبا) وهذه إلى صراط مستقيم (النحل/ ١١٩ - ١٢٠) ومعقبا على ذلك بآراء الثقات من المفسرين، ثم انتقل إلى القاعدة العلمية التي توجب رد الحديث إذا كانت روايته أحادا، وفيه نسبة العامي أو الكذب للأنبياء مسجلا ما قرره العصام في شرح العقائد النسفية بعد أن ذكر وجوب انتصاف الأنبياء بالصدق حيث قال: إذا تقرر هذا فما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية، فما كان منقولا بطريق الأحاد مردود وإلا فمحمول على ترك الأولى أو قبل البعثة.

ثم نقل نصوصا أخرى تُعَضِّدُ رأى العصام، وجاء بالفالج الواضح حين انتهى إلى قول الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الشهير عن إبراهيم عليه السلام: «وأما قوله عن سارة إنها أختي، فالمراد أخته في الدين وإذا أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير نسبة الكذب إلى الأنبياء عليهم السلام، فحينئذ لا يحكم بنسبة الكذب إليهم إلا

زندق» ثم جهر الفخر الرازي برد الحديث ونسبته إلى بعض الحشوية ممن يخطبون في الرواية خبط عشواء، وكان الأستاذ عبد الوهاب النجار قد اغتبط بمظاهرة الفخر إياه فقال تعقيبا على رأيه في رد الحديث ما نصه [٢]: «إن لي سلفا في رد الأحاديث الناطقة بكذب إبراهيم - نزهة الله على ذلك - وهو الفخر الرازي، وقد حاول حضراتهم - يريد أعضاء لجنة المناقشة الحط من هذا القول، لأنهم متى زيفوا كلام الرازي فقد زيفوا رأيه، وأكبر ظني أنهم لو لم يجدوا كلام الرازي مطابقا لما أورثته، ما خطر ببالهم هذا الخاطر، وآية ذلك أنهم يعلمون أن الفخر الرازي قال بذلك قبل أن أكتب كتابي ولم ينشط أحد منهم للرد عليه كيلا تضل الأمة». هذا مثال للنقاش الجاد حول كل الاعتراضات التي تقدمت بها اللجنة الناقدة وذلك يعني أن الأستاذ النجار قد فتح بابا جديدا في كتابه التاريخ النبوي لرسول الله، وقام بمعوله هادما ما تراكم من الاسرائيليات حول هؤلاء، وكان الظن بمثل هذا الكتاب القيم أن يقابل بالترحيب، وإذا كان من نقد فلا بد أن يحاط بالتقدير والاحتفال، ولكن الله أراد بهذه الضجة أن تخدم سير المرسلين، فقد أورثت الكتاب ذيوها وانتشارا، وأصبح المرجع الأول في سير الأنبياء، وقد رجع إليه كل من ألفوا في تاريخ النبوات من بعده، وهذا يدل على أن المنطق الصحيح يشق طريقه للعقول مهما اعترضته العقبات، وإذا كانت للأستاذ النجار مؤلفات أخرى ذات تحقيق وبحث فإنها لم تبلغ من الذيوع مبلغ كتابه عن الأنبياء، مما يجعلنا نسأل ألا يمكن أن ينتشر الكتاب الجيد بين القراء دون ضجيج! لقد عرفت من المؤلفين من يحث بعض أصدقائه على تجريح مؤلفه ليعقبه الرد فالرد، فترك ذلك صدى كبيرا، وهو مسلك لا أرتضيه.

الهوامش:

(١) قصص الأنبياء - الطبعة الرابعة ص ٨٥ وما بعدها.

(٢) قصص الأنبياء - الطبعة الرابعة ص ٩٢.

مع الدكتور عبد الحسن القطاني في كتيبه بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر (٣-٥)

خطوات المنهج:

بن أحمد فتعذر ذلك عليه فقال له الخليل:

إذا لم تستطع شيئاً فعد

وجساوزه إلى ما تستطيع

المثال الثاني: وفي «الكافي» للخطيب التبريزي تحقيق الحساني حسن عبد الله بالصفحة الخامسة بالسطر الحادي عشر ورد ما يلي: «غفر الله للجاحظ تصريحه بأن العروض علم مستبرد».

المثال الثالث: قال إبراهيم بن سيار بن هاني البصري أبو اسحاق النظام: «إن نواثر الخليل لا يحتاج إليها غيره»، ورد هذا القول في الصفحة الخامسة من كتاب «الكافي» للخطيب

التبريزي بالسطر السادس عشر.

وكل هذه الأقوال لا تقلل من منزلة الخليل بن أحمد، ولا تنقص من قيمة العروض شيئاً ويمكن للقاريء اللبيب أن يتعرف على خطوات منهج الدكتور كلها أو بعضها من خلال قراءة متأنية لما ورد في الصفحات الأولى من كتابه، فقد بين في سياق حديثه أنه سيكون «منصفاً في معالجة القصائد التي وصفها البعض

بالشذوذ أو الاضطراب في الوزن، وأنه لن ينتصر لعروضي دون آخر، ولن يؤيد توجهها ويرفض آخر».

وقد عرج الدكتور في الصفحة السابعة عشرة من كتابه إلى معنى الشذوذ عند العروضيين،

عند قرائتي لهذا الكتاب لم أعثر على خطوات مكتوبة حددها المؤلف ليسير على ضوئها حتى يبلغ هدفه، لا مسلسلة تسلسلاً عددياً ١، ٢، ٣، ٤ أو تسلسلاً أبجدياً ١ - ب - ج - د، لكنني لن أهضم الدكتور حقّه، فقد نشر عقد هذه الخطوات بين سطور الصفحات الأولى غير عابيه بنظمها في سلك الأعداد أو خيط العروف الأبجدية.

فقد ترك للقاريء أن يجمع شتاتها إن شاء بالكيفية التي يراها مناسبة إذا رغب في ذلك، وكنتي به يرى أن علم العروض علم بسم لا يسهل فهمه في عصرنا الحاضر، لأنه من العلوم التي لا تستطيع المدارك أن تستوعبها بسهولة ويسر، ولنا في الأقدمين أمثلة على ذلك.

ومن الأمثلة التي حملتها بطون

كتب التراث ما يلي:

المثال الأول: في كتاب ابن القطاع المسمى «البارع» تحقيق الدكتور أحمد محمد عبد الدائم بالصفحة التاسعة من الطبعة الأولى ورد «أن الأصمعي أراد أن يتعلم العروض على يد الخليل



بقلم:

أحمد سالم باعظب

- جدة -

متناثرة في كتب العروض، وهي أبيات لم يُعرف قائلوها، وإنما أوردتها العروضيون ضمن مؤلفاتهم للاستشهاد بها وقد تكون من نظم العروضيين أنفسهم نظموها ليحققوا بها تأسيس قاعدة. أول هذه الأبيات:

جاءنا عامر سالماً سالماً

... بعد ما كان ما كان من عامر

وثانيها:

إن الدنيا قد غرتنا

... واستهوتنا واستهتتنا

وثالثها:

أبكيك على طلل طرباً

... فشجاك وأحزنك الطلل

فالبيت الأول للاستشهاد به على المتدارك السالم، والبيت الثاني للاستشهاد به على المقطوع ضرباً وعروضاً وحشواً من المتدارك التام، والبيت الثالث للاستشهاد به على المتدارك المخبون ضرباً وعروضاً وحشواً.

وقد أشير إليها في بعض الكتب أنها من نظم الخليل بن أحمد وعند مناقشة الدكتور لاختلاف نغمات القوافي نتيجة ما يطرأ عليها من العيوب ذكر أن العروضيين استكروها من تلك العيوب «السناد» وفسر السناد بقوله «اختلاف حروف أو حركات ما قبل حروف الروي» وهذا القول على إطلاقه لا يشمل جميع أنواع السناد وهي: سناد الاشباع، وسناد الرفع، وسناد التأسيس، وسناد التوجيه، وسناد الحنو. «يراجع الكافي للخطيب التبريزي تحقيق الحساني حسن عبد الله صفحة ١٦٤» وعلل الدكتور سنب اعتبار السناد عيباً من عيوب القافية بقوله: «محافظة على المقطع الصوتي» وهذا قول صحيح لأن اختلاف الحركات غير المتناسقة كالضمة والفتحة، أو الكسرة والفتحة تسبب خلخلة في النغمات الموسيقية مما يشعر القاري باضطراب في الوزن. وضرب الدكتور مثلاً للسناد بسناد الاشباع وهو تغيير حركة

والشذوذ كمصطلح لغوي فقال: «إن الشاذ عند العروضيين يختلف تماماً عن الشاذ عند النحويين، فهما مصطلحان مختلفان في المعنى، فـ «الشاذ» في العروض ليس ضد القاعدة المتسقة، وإنما معناه - فيما أحسب - عدم اضطراذه وشيوعه، فلندرته حكم عليه بالشاذ، ولو استعمل العروضيون مصطلح «الندرة» لكان أقرب إلى عدم توسع المتلقي في تفسير معنى «الشذوذ» الذي قد يتجه إلى كونه «وزناً مضطرباً، وهذا ما لم يقصده العروضيون فيما أخال».

ولقد سبق أن أشرت في مقال لي نُشر بملحق الأرياء الصادر يوم ٣٠ ربيع الأول عام ١٤١٧هـ بالصفحة الحادية والعشرين بالسطر السابع من العمود الرابع إلى كلمة «الشذوذ» في العروض فقلت: «إن كلمة الشذوذ كلمة نابية، يجب أن نفلق أمامها الأبواب حتى لا تلج رياض الأدب فتفسد نقاء هوائها».

إن اقتراح الدكتور القحطاني باستخدام كلمة الندرة بدل الشذوذ اقتراح سديد ينم عن حس أدبي رفيع، وليت الذين يهتمون بعلم العروض أن يحاولوا إقناع الغير بالعمل على أن يأخذ هذا الاقتراح مكانه في النبوذ والانتشار.

في نهاية الصفحة السابعة عشرة تحدث الدكتور عن مفاهيم الشذوذ الخمسة كما يراها عند دارسي العروض فقال: «غير أنه - أي الشاذ - مصطلح لم يستقر عند دارسي العروض فتناولوه على خمسة مفاهيم» ثم بين تلك المفاهيم بالتفصيل.

مناقشة النصوص:

بدأ الدكتور القحطاني مناقشة النصوص التي رصدتها من قبل، وتعهد بأن يناقشها حسب عدد الأبيات، وأشار في مستهل حديثه أنه سيبدأ بمناقشة البيت ثم البيتين ثم الثلاثة، ثم المقطوعات فالقصائد، ولقد صدق وأوفى بما وعد، فبدأ بمناقشة ثلاثة أبيات من بحر المتدارك جاءت

الثانية والعشرين لعبيد بن الأبرص وهما:

فإن يك فاتتي ومضى شبايى
وأصبح عارضني مثل اللجين
فقد ألج الخباء على عذاري
كئن عيونهن عيون عين

* فإن البيتين الأولين والبيتين الأخيرين يمثلان سناداً واحداً هو سناد الحنو و«الحنو» هو حركة الصرف الذي يأتي قبل الرفع كما مثل لذلك الدكتور.

ثم تطرق الباحث إلى سناد الرفع وأصاب في إعطاء المثال الصحيح، ولكنه رجع بنا القهقري إلى العصور الأولى عصور النوايح والأفخاذ الذين يفهمون الكلمة ومعناها وهي «طائرة» أي قبل أن تطرق أسماعهم، في حين أننا نعيش اليوم في زمن لا نستطيع فيه أن نتقبل الكلمة قبل أن نبعث عن معناها إلا إذا جيء بها في طبق به من المقيلات والمشهيات والمتبيلات حتى نقبل عليها ونتذوقها حرفاً حرفاً، فمأذا نصنع إذا قدم لنا الدكتور هذه الجملة «فالجمع بين «تؤمسه» و«تُعصمه» ضم يؤول إلى واو وفتح بعده حرف ساكن»، وأخشى أن تكون هذه الجملة من مخزونات الدكتور وجاء بها ليختبر مداركتنا ومعارفنا ونحن نعيش في الزمن الرديء كما قال شاعرنا «عمر أبو ريشة» - رحمه الله - في أحد أبياته ما يمثل هذا المعنى.

وكان يكفي الدكتور أن يعلمنا أن سناد الرفع هو: أن يأتي بيت به ردف ثم يأتي بعده بيت لا ردف به.

والدكتور بهذه العبارة يذكرني ببيت الفرزدق الذي عجزنا معشر طلاب الثانوية حينما كان أستاذنا في البلاغة والنصوص يدرسنا التعقيد المعنوي في الشعر، والبيت:

وما مثله في الناس إلا مملكا
أبو أمه حبي أبوه يقاربه
* فلم يستطع أي منا أن يتوصل إلى المعنى الحقيقي.

«الدخيل» والدخيل حرف «يأتي بين الروي والتأسيس» والتأسيس ألف يأتي قبل حرف الروي بحرف صحيح والمثال الذي ضربه لسناد الإشباع سليم. على أن هناك خلافاً بين العروضيين في جواز بعض أنواع السناد.

وسلامة نية سعادة الدكتور عبد المحسن تجعله يحسن الظن بكل شيء إلى درجة أنه يضع ثقته فيه، ويسلمه أمره، ومن ذلك أنني عند قراءتي لكتيبه في طبعته الأولى وقعت عيني على بعض الأخطاء ودونتها، وتوقعت أن يكون الدكتور قد قام بتصحيحها في الطبعة الجديدة، ولكنه لم يفعل خشية أن يؤثر غضب المصححين فتركها على علاتها. ولتقرأ من تلك الأخطاء قوله في الصفحة الحادية والعشرين بداية من السطر السابع: «وآخر يكون حرف الدخيل واوا في بيت، وياء في بيت، فيشعرُ القاريء أن الحركة اختلفت تبعاً للحرف مع أنه ساكن في كليهما «خَمْوْشا» و«قَرْيْشا»».

وهذا القول من بدايته إن لم يكن خطأ مطبعياً فهو قولٌ جانبيه الصواب، فحرف الدخيل لا يكون واوا ولا ياء ولا ألفاً وإنما يكون حرفاً متحركاً، لكن حروف المد الثلاثة الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها تصلح أن تأتي إردافاً، والردف هو حرف المد الذي يأتي قبل الروي، كما أن الواو الساكنة المفتوح ما قبلها، أو الياء الساكنة المفتوح ما قبلها يعتبر كل منهما «ردفاً» لأنهما «حرفاً لين» وحرفاً اللين يعتبران حرفي مد ولكن هناك فرق بُنِيَتْ أحكام المد الطبيعي واللين في علم التجويد، والدكتور أعلم بذلك مني في هذه النقطة.

وأما البيتان اللذان استشهد بهما الدكتور وهما:

عبد شمس أبي فإن كنت غَضِبِي
فلملني وجهك المليح خَمْوْشا
نحن كنّا سكانها من قريش
ويُنا سميت قريشُ قَرْيْشا
* وكذلك البيتان اللذان وردا في مطلع الصفحة

والبيتان اللذان أثارا هذه المشكلة هما:

إذا كنت في حاجة مُرسلاً
فأرسل حكيماً ولا تُوصيه
وإن باب أمر عليك التوسى
فمشاور لبيباً ولا تُقصيه

* وقد تنازع نسبتهما إليه أكثر من شاعر فابن رشيقي في العمدة الجزء الأول صفحة ١٦٨ ينسبهما إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه، وفي الكافي ذكر أن البيتين ينسبان إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر أو لصالح بن عبد القدوس، وفي الوافي وهو نسخة طبق الأصل من الكافي للخطيب التبريزي غير أن الوافي تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، بينما الكافي تحقيق الدكتور الحساني حسن عبد الله، وقد أضاف الوافي إلى عبد الله بن معاوية وصالح بن عبد القدوس شاعرا ثالثا ينتسب إليه البيتان وهو الزبير بن عبد المطلب.

وترك الدكتور الحديث عن سناد التأسيس وسناد التوجيه ولو قام الدكتور بشرح سناد التأسيس لكان في ذلك خير لأن سناد التأسيس أشبه بسناد الردف. ويعد أن استوفى الباحث معالجة السناد كعيب من عيوب القافية يحدث خلخلة في النغمات، تحدث عن البحور المتشابهة، وخلال حديثه عنها تطرق إلى النواثر التي تجمع بينها. ويعد أن قام الدكتور بمناقشة أحاديث الأبيات أو ثنائياتها أصدر حكمه عليها بقوله في السطر العاشر من الصفحة التاسعة والعشرين: «لذا ظلت هذه الأبيات تشكل استقلالية لنفسها لكنها لا تلتزم مع نص شعري متعدد الأبيات».

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى دراسة عدد من القصائد التي دارت حول صلاحيتها الشكوك، وأبتدأ بقصيدة امرئ القيس الالامية ومطلعها:

عيناك بدمعها سجال

كأن شئيهما أوشال

والواقع أن هذه القصائد وقعت في بداية حياتها في قبضة الرقص والشنوذ ثم ما لبثت أن رأت

بصيصاً من ضوء الانفتاح عليها، فقد هيا الله لها قضية من نقاد الشعر حريصين على البحث والتقصي لظهار الحقيقة جلية واضحة، وكان من بين أولئك صاحب هذا الكتاب الدكتور عبد المحسن فراج القطاني الذي صرف جهداً كبيراً في ترصد هذه القصائد ومتابعتها حتى استطاع أن يقف على كثير من الجوانب التي سهلت إلحاقها بالبحور القريبة، وكانت بائية امرئ القيس أولى تلك القصائد، وهي قصيدة أبياتها سبعة عشر بيتاً قام بتقطيعها عروضياً الدكتور فتين له أن عشر أعاريض منها مقطوعة مخبونة إذا اعتبرنا أن الأبيات جميعها من مجزوء البسيط وأن عروضين مطويتان، وثلاث أعاريض مقطوعة وأن عروضاً واحدة تامة وأخرى مقطوعة مخبونة محذوفة، وهكذا نجد أن أعاريض القصيدة تشكلت، لكن غالبيتها جاءت مقطوعة مخبونة على وزن «فعولن» ويبن الدكتور عند معالجته هذه القصيدة آراء عدد من النقاد حولها ومنهم الدكتور حسين نصار والدكتور شوقي صيف والدكتور همل.

أما أضرب هذه القصيدة فكانت أكثر وحدة فجاءت على وزنين أحدهما ضرب مقطوع «مفعولن» وعدد الأبيات التي جاءت أضربها مقطوعة ستة أبيات، وجاءت أضرب أحد عشر بيتاً على وزن «فعولن» مخبونة مقطوعة.

وأشار المؤلف أن لامية امرئ القيس تشبه إلى حد كبير بائية عبيد بن الأبرص والتي مطلعها:

أقفر من أهله ملحوب... فالقطيبيات فالذنوبُ

* ولما كانت أبيات قصيدة عبيد بن الأبرص تبلغ ما يزيد على خمسين بيتاً فقد أثر الدكتور أن يعد لها بحثاً مستقلاً ضمه فيما بعد إلى بحثه السابق وأصدر هذا الكتيب، وسأحاول المرور به لأقف على ما فيه من فوائد علمية وعروضية، وفي الحلقة القادمة، سيتناول المقال مناقشة الدكتور لقصائد أخرى تدخل دائرة القصائد المشردة».

«الدراسة موصولة»

أنشدنيهما بعضُ البغداديين لنفسه بمصر، وهما
عندى في ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور اذهب
وائت به، فخرج ابن العريف وركب سرعاً حتى
أتى مجلس ابن بدر، وكان أحسن زمانه يديه،
فوصف له ما جرى، فقال لساعته هذه الأبيات،
ودس فيها بيتي صاعد:

غسوت إلى قصر عباسية
وقد جدل النوم حراسها
فالفيتها وهي في خدرها
وقد صرع السكر أناسها
فقات أسار على فجعة
فقلت بلى، فرمت كأسها
ومدّت يديها إلى وردة
يُحاكي لك الطيب أنفاسها
كعنزاء أبصرها مبصر
فقطت بكمامها رأسها

* فسار ابن العريف بها، وكتبها على ظهر كتاب
بخط مصري، ومذاق أشقر، ودخل بها على
المنصور، فاشتد غيظه على صاعد، وقال
للحاضرين! غداً أمتحنه، فإن فضحه الامتحان
أخرجته من البلاد، ولم يبق في مكان لى عليه
سلطان.

فلما أصبح دعياً به،
وأحضر طبقاً عظيماً صوّرت
فيه رسوم مختلفة من الورود

والجوارى، ومن فوق الرسوم سقائف تحمل بعض
التحف، ومن تحتها بركة فيها ماء قد أُلقيت فيها
اللائي مكان الحصباء، وفي البركة ثعبان يسبح،
وطلب منه أن يصف الطبق بما فيه، وساعدت
البيديّة صاعداً، فوصف الطبق بما فيه وصفاً
رائعاً كان محل الدهشة والاستغراب، فعظم مكانه
في عين المنصور، وأمر له بألف دينار، ومائة ثوب،
ورتب له في كل شهر ثلاثين ديناراً، وكعد حاسده
ففارق مجلس المنصور حزينا، قاتل الله الحسد!

• أبو همام - المنصورة -



٣٥

٢٠٩ - طاهر موهوب:

كان صاعد بن الحسن البغدادي قد رحل من
العراق الى الأندلس، وحظى بمودة المنصور بن
أبي عامر سيد البلاد وحاكمها
المطاع، فحسده بعض أدباء
الحاشية وأرادوا الوقيعه به.

فصادف أن جلس المنصور في ساعة صفو، بين
ندبائه ومستشاريه، فقدمت إليه وردة في غير
أوقات الورود، ولم يستقم فتح أكمامها، فقال صاعد
بن الحسن مرتجلاً:

أنتك أبا عباس مبرودة
يُنكرُك المسك أنفاسها
كعنزاء أبصرها مبصر
فقطت بكمامها رأسها
* فمصرّ بذلك المنصور، وكان ابن العريف
حاضراً، فحسده، وقال: هذان البيتان لغيره، وقد

قال البحرى: دخلت مجلس أبي سعيد محمد بن يوسف ومدحته بقصيدتي التي مطلعها:
 ألفاق صب من هوى قليبنا
 أم خان عهدا أم أطاع شفيقا
 إن السلوك منها علمت لأراحة
 لو كان قلبى للسلوك مطيقا

* فسر أبو سعيد بالقصيدة وقال: أحسنت والله يا فتى، وكان في مجلسه رجل رفيع القدر عند أبي سعيد، وهو ذو ذاكرة حادة تحفظ القصيدة من سماعها مرة واحدة، فزاد أن يكبت البحرى فقال له: أما تستحي مني يا فتى؟ هذا شعر لى تنتعله وتشدّه في حضرتي، فقال له أبو سعيد: أحقا ما تقول، قال نعم، وقد يكون سمعه فسبقني به إليك وزاد فيه، ثم اندفع الرجل يروي كثيرا من أبيات القصيدة، فسكت متحيرا لا أدري ماذا أقول، وسمعت أبا سعيد يقول: يا فتى، قد كان في قربانك وودك ما يفنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرّجة من الإيمان أن الشعر لي، وما سبقني إليه أحد، ولا سمعته منه ولا انتحلته، فلم يُصدقني، وقطع بي حتى تمنيت لو سأخت بي الأرض، وقمت منكسر البال أجزّ رجلي، فما جاوزت المنزل حتى خرج غلمان أبي سعيد ينادوني قريوني، فاقبل عليّ الرجل، وقال الشعر لك يا بني، ما قلته وما سمعته إلا منك، ولكني ظننت أنك تهاولت موضعي فأنذمت على الإنشاد بحضرتي في مجلس أبي سعيد، وأنا شاعره المفضل، وكان عليك أن تستأذني قبل الإنشاد، ولكنك لم تفعل، وأنا رجل أحفظ الشعر بمجرد إنشاده فأريت أن أعلمك كيف احترامك للكبير! ثم ضمنتني وعانقتني وأقبل يقرظني، ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به.

ولي تعليق، حيث تنسب بعض الروايات الحائنة لأبي تمام، على أنه هو الذي أخرج البحرى كما

جاء في الأغاني وأنا أستبعد هذا، لأن لقاء البحرى لأبي تمام لأول مرة كان بجمص وقد أوصى به، وكتب إلى أهل مَعرة النعمان يُزكّيه، فكان لتوصية أبي تمام فعلها في إكرام البحرى. فلا يرجع أنه فعل ذلك بمجلس أبي سعيد ببغداد.

٢١١ • مطلب مهجرى:

روى الأستاذ ميخائيل نعيمة الأيب المهجري الكبير هذه الأطروفة في كتابه عن جبران خليل جبران، قال ما فحواه: عزمت جريدة السائح المهجريّة أن تصدر عددا ممتازا يضم أقلام البارزين من أدباء المهجر واحتشدت لذلك احتشادا كبيرا، وقد تلقت فيما تلقت قصيدة رائعة للشاعر المهجري الشهير رشيد أيوب وقد أعجب بها رئيس التحرير، وقرأها لميخائيل نعيمة فصادت تقديره، وأسمعها بالتليفون لجبران ففرظها تقرظا كبيرا..

وتصادف أن جاءت من دمشق جريدة ألف باء السورية، زبها حين أبيض لم يطبع فيه كلام، حيث حذفت الرقابة أيام الحرب العالمية الأولى ما كان مكتوبا في هذا الحيز فبقى مكانه فارغا، وقرأ الأستاذ نعيمة الجريدة الدمشقية ورأى المكان الفارغ، فوَعز للأستاذ عبد المسيح حداد رئيس تحرير جريدة السائح، أن يطبع في هذا الحيز قصيدة رشيد أيوب، بنوع من أنواع الحبر المناسب للجريدة السورية، حتى كأن القصيدة قد نشرت من قبل في الجريدة على أن يكون التوقيع باسم شاعر آخر، ثم يفاجأ الشاعر رشيد أيوب بهذه التهمة التي تلحقه، إذ يعتبر سارقا لا محالة. يقول الأستاذ نعيمة بعد أن شرح المكيّة بالتفصيل الوافي، يقول ببعض التصرف:

«وما دخل رشيد أيوب، واحتل كرسيه، وسند رأسه بكفه، حتى بدا مساعد السائح ومعه العدد السوري، وأخذ يقرأ ما بها من الشعر، فهب رشيد

أيوب بن كرسية، وبالرغم من سنيه الخمسين وثب وثبة واحدة، واختطف الجريدة من القارئ، فما وقعت عينه على العمود الذي يحمل أبياته حتى جمعد في مكانه وقد جحظت عيناه، وامتقع لونه، واستولت الدهشة على كل عضلاته، وكانت لحظة لا توصف، لكنها لحظة اشرقت بعدها أسرة رشيد أيوب، وعادت نظارته إلى عينه من فوق جبهته، ومشى الدم في عروق وجهه، والتفت إلى عبد المسيح مقهقهة وقال: أه يا ثعلبان، هذا ذيك! هذا احتيال لقد بلغت في فنك مبلغا هو العبقرية بعينها، والذيك عند المهجريين هو المقلب الكيدي!

ثم جاء جبران، فأخبره نعيمة بالحادث على أنه سرقة، لا احتيال مدبر، فجعل يضرب كفا بكف وقال مندهشا: عجباً يا أخى كيف ينتحل رشيد أيوب مثل هذه الآليات، وقد نظم في حياته ما هو أحسن منها بكثير، أيمكن أن يكون قد نظمها من قبل، ويبحث بها إلى جريدة ألف باء السورية فقال له نعيمة: مستحيل يا جبران، إذ لا علاقة بين رشيد وجريدة ألف باء! فقال جبران: أيسل توارد الخواطر إلى هذا الحد؟ فقال نعيمة مستحيل. وبعد أيام ظهرت الحقيقة، وأعترف ميخائيل نعيمة وعبد المسيح بالمكيدة معتذرين لرشيد أيوب.

٢١٧ - مطلب بصرى:

طرحت بعض المجلات الأدبية، على الشعراء مسابقة أنبية ذات جوائز مادية مغرية، وتقدم للمسابقة الشاعر المتواضع الأستاذ فرحات عبد الخالق، وأخذ يتربص النتيجة أملا في الفوز، وعلم بذلك صديقه الشاعر الأستاذ محمود غنيم وكان زميله بدار العلوم ثم في التدريس بإحدى المدارس الابتدائية حينئذ، فأعمل حيلته في خديعة الأستاذ فرحات، بأن أخضر ورقة تحمل اسم المجلة في أعلاها، وكانت لديه من قبل، وكتب بها خطابا هذا نصه:

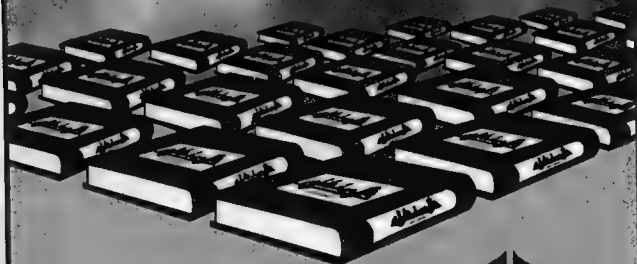
بعد التحية، فيسر المجلة أن تبشركم بالفوز في

لك مكروئيد في القوم أخفى
من بيب البغضاء في الأحشاء
أو مسير القضاء في ظلم الغيب
إلى من يريده بالتواء
أو من السر في ضمير محب
أبتة عسوة الإفشاء

٢١٨ - من شعر ابن الرومي:

المجموعة الكاملة
في ٧٢ مجلدا فاخرا

الأمة



المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المطبوعة

مركز قرطبي : جده رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٤٤٢١٤٢٤ الفاكس : ٤٤٢٨٨٥٢



مفتاحك لعالم الفكر والمعرفة

•• تمجيد تلك الخائب قاصر النظر الذي أثر أن يعرج على مشهور
يشككي له سبقه •• وعلى مقربة منه أرقى المصحات وانجها علاجاً ••
الخائب هنا يتمثل في أولئك الذين نزعوا الى سنّ قوانين وضعية
تحكم تصرفات مجتمعاتهم •• وحركات حياتهم بدلا عن السناتير
الشرعية التي جات بها الرسالات السماوية •• وجاء من أجلها
الرسول نهجاً للحياة •• وعقيدة للسلوك •• وروحاً للعمل وإنكسار
للأمل •• وهي التي لم تفاد صغيرة ولا كبيرة الا أحصتها ••
إنهم تماماً أشبه بذلك الخائب الخاسر في تفكيره الذي اختار سبيل
الضعوذة على يقين العقل •• فلم يبرأ له سبق •• ولم تسلم له شكوى ••
أيا كانت الوصفات •• وأيا جات الصفات لأنه حاد عن جادة الصواب
والحق •• والحق أحق أن يتبع ••

•• (التبلة) قنبلة تهدد حركة السعي • أي سعي بالتراجع والضمور ••
أخطر أسبابها ما يعمد إليه البعض من الآباء الأثرياء وقد أضلوا وأضرخوا أبنائهم
بصنوف من العطايا دون جهد منهم ببذل ولا سعي يشعرهم بأن العطاء حتى ولو جاء
منهم إنما يأتي على قدر العمل ••

إن اتكالية مفردة في ثلاثة حصص •• وتحجراً في ارادة في الطموح تتشا عن ذلك
يتحول معها الفرد الى حالة مرفوضة اجتماعياً •• بل ومائق مفروض بغيا أمام نواب
البناء •• والعطاء ••

ليس عيباً أبداً أن نفهم أبنائنا •• أن تلجم فيهم شهوة التزعة الى الكسل والتراخي
إمساكا للعصا من وسطها فلا نمنحهم إلا الضرورة عند الضرورة •• دافعين من خلال
التوازن المورس بطاقة شبابهم نحو معترك العمل حتى ولو كانوا في غنى عن أية
محصلة مادية بناء على ما يملك الآباء ••

المهم إيقاظ روح الرغبة الفاطة لديهم •• وطرد خرافة أن العمل المتواضع الشريف
بموقعه أو بمرتبه لا يتناسب ووضعهم الاجتماعي أو الأسري الأكبر شهرة ••

المصاميون هم الذين يشكون طريقهم •• ويحلقون ذواتهم من خلال السعي
الغريب •• ويخطون سطور حياتهم بالعرق والجهد الذاتي المتواصل دون الاعتماد على
محصلة الغير ••

أما العظاميون فهم (التبالة) الذين لا روح لديهم •• ولا ربح لهم •• إنهم أشبه
بالقذاعات أو الزبد الذي ما إن يطر على السطح حتى يخثي دون أن يمس به أحد ••
أو يمسى عليه أحد ••

(فلما الزبد فيذهب جفاء •• وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) ••

•• جاء السؤال على النحو التالي:

- إلى متى نظل نحن العرب والمسلمين لقمة سائغة •• هيئة لجنة في قم قوى



كلمات للحياة



بقلم:

سعد

البواردي

الاستكبار والاستعمار التي تحكم هذا العالم .. وتتحكم في مصائر شعوبه١٩٩

وجاء الجواب على النحو التالي:

- بعد خراب «البصرة» - يا حسره - أطيقت المأساة بكل ثقلها .. وأوشكت أن تسدل الستار على ما تبقى لنا من قيمة .. حتى مجرد انعقاد مؤتمر قمة عربي لم يعد في الامكان من أجل تدارك ما يمكن تداركه ..
الصومال تحترق - أفغانستان تحتضر - لبنان تحصد عناقيد الغضب - الباكستان تنفجر - الشيشان تنزف - البوسنة بعد الفزيف وتخوف وتسويف - ليبيا محاصره - أطفال الرافدين يموتون - السودان يتمرق - الجزائر على فوهة بركان - سوريا تطوق - كشمير تنهشها حراب الهندوس - نيجيريا فحكت عليها النيران - الكيان الفلسطيني الموعود مهزوز معزول - مصر لم تبرا بعد من جراح صدماتها وصداماتها المؤسفة .. لقد قلعت أظفارنا نحن العرب .. ولا أقول انيابنا إذ ليس لنا انياب .. جميعاً نتعرض للاهتزاز والابتزاز حتى تلك النول التي مدت لها جسوراً واهنة مع تل أبيب لن تبرا من عضه الافعى السامة .. انها ايضا هدف للتركيعة والتطويع .. والإذلال .. طال الزمن أو قصر ..
قال شاعرنا الحكيم:

تأبى العصي إذا اجتمعن تكسراً

وإذا انفردن تكسرت أحاداً

ولأن عصياناً لم تجتمع تكسرت واحدة بعد الأخرى ..

قال الحكيم أيضاً:

من خلقت لحية جارا له

فليسكب الماء على لميته

أكثر من لحية واحدة خلقت .. وأكثر من لحية سوف تلتحق بسابقتها إن لم نستيقظ .. (أحداث قديمة إلا أنها متجددة).

أربع مشهد تتكحل به عيناى في عالم مغموم بمشاكله .. مكلوم بأحباطاته .. إنه صورة ابتسامة عذبة بريئة على وجه طفل لم يرضع بعد لبان الخديعة .. والمكر ..

في كلمات ثلاث يمكن اختصار مأساة «قانا»

- المعركة اسرائيلية - السلاح والمكافأة امريكيان - الضحايا لبنانيون أبرياء ..

مقبرة المجرارة فى قانا شاهد واضح فاضح على جريمة العصر النازية الجديدة ..

بالعقل وحده نملك أن تكون لنا صفات ملائكة .. نون عقل يمسك بزمام العاطفة ويجمعها يتحول البشر الى ما يشبه الحيوانات المتصارعة داخل أسوار الغابة ..

حين لا نرضع الحب لبانا - ونسقيه لأطفالنا ولغيرنا فإن ندى الحقد والكراهية سوف يفتح صنابيرها ليحرقنا ويفرقنا معاً ..

أسعد الناس حياة أكثرهم خشية من الموت ..

اللهم إذا كانت قوتي مصدر ضعف لإرادتي .. وشك ليقيني .. وانهزامية لشجاعتي على مقاومة الباطل فانزعها مني لأنني غير جدير بتلك القوة ..

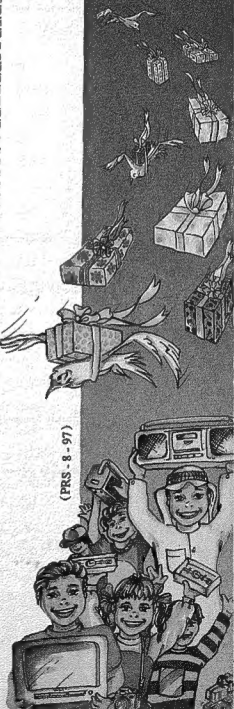


تهنئـة الأطفال الفائزين

يسر أرامكو السعودية ممثلة في إدارة العلاقات العامة أن تقدم تهنئتها الحارة إلى الأطفال الفائزين في مسابقتها السنوية الثامنة عشر لرسوم الأطفال. وتتقدم بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في المسابقة وذويهم ومدرسيهم وكل من شجعهم وحثهم على المشاركة في هذه المسابقة. وكان ما يربو على ستة آلاف لوحة قد تلقيناها من مختلف أنحاء المملكة. والشركة إذ تكرر شكرها وتهانيتها للفائزين. يسعدنا أن توجه الدعوة مرة أخرى إلى جميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعمل عنها قريباً أن شاء الله. ولهمنا يلي اسماء الأطفال الفائزين بجوائز المسابقة لهذا العام :

عمر	متوسطة سعيد بن المسيب
الظهوران	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
بنع البحر	مدرسة الملك خالد الابتدائية
الطائف	مدرسة فيس بن عاصم الشفي الابتدائية
جدة	مدارس دار الفكر
رجال ألع	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم
الظهوران	مدارس الظهران الأهلية
عمر	متوسطة الإمام أبي حنيفة
الدمام	التمهيدية الأهلية للبنين
الظهوران	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الرياض	مدارس التربية الإسلامية
الرياض	مدارس الرواد الأهلية
رجال ألع	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم
الرياض	مدارس الرواد الأهلية
الظهوران	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الظهوران	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الظهوران	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الرياض	مدارس الرياض للبنات
الخير	مدارس الخصوصية الأهلية الإسلامية
الظهوران	مدارس الظهران الأهلية
الرياض	مدارس الرياض للبنين
مكة المكرمة	معهد الأمل
الرياض	مدارس التربية الإسلامية
رجال ألع	مدرسة عبد الله بن مسعود الابتدائية
الرياض	متوسطة مدر العوض
الرياض	التفدية النبوية
سوهاج	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الظهوران	مدارس الظهران الأهلية
بنع الصائبة	مدارس البراعم الابتدائية
الظهوران	مدارس التربية الإسلامية
الظهوران	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
طريف	مدرسة عمر بن عبد العزيز
عمر	أسامة بن زيد الابتدائية
رجال ألع	متوسطة مدر العوض
الأساء	مدرسة عمر بن ياسر الابتدائية بالهفوف
الظهوران	مدارس الظهران الأهلية
الظهوران	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الظهوران	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
جدة	مدارس روضة جدة التمهيدية
سوهاج	مدارس دار الفكر
سوهاج	مدارس التهذيب الأهلية
الخير	مدارس التهذيب الأهلية
الخبين	مدارس الخصوصية الإسلامية الأهلية
بنع	مدرسة الجوين الابتدائية
مكة المكرمة	المدرسة الأولى الابتدائية
جدة	معهد الأمل
الرياض	روضة جدة
الرياض	مدارس الجامعة الأهلية
الرياض	مدارس الرياض للبنات
الرياض	مدارس التربية الإسلامية
الرياض	مدارس التربية الإسلامية
بنع الصائبة	مدرسة الإمام نافع لتحفيظ القرآن الكريم
الرياض	مدارس الرياض روضة
رجال ألع	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم
عمر	الطريق الوسطية
الرياض	مدارس الرياض للبنين
الرياض	مدارس الرياض للبنات
الخبين	مدرسة الزهور
عمر	إدارة التعليم بقرقر
الخير	الابتدائية الثانية
رجال ألع	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم
نبوك	مدرسة الأبرار الابتدائية السابعة
جدة	مدرسة عبد الله بن مسعود الابتدائية
الطائف	متوسطة الملك فهد
عمر	متوسطة عثمان بن عفان
الرياض	مدارس الرياض للبنين
عمر	ولمة للتعرفه الأهلية

أحمد الشيخ أحمد
أحمد جهيل مسلم باخشون
أحمد جراح العوي
أحمد منولي محمد الغنام
أحمد محمد يحيى الغامدي
أحمد هادي أحمد علي
أحمد وليد شحاتة
أسامة عبد الحميد الشناوي
أسامة عبد الوهاب الحواج
أنشرف خيري عابدين
أفتان مشاري سليمان بلخني
الحجاز نبيل حمد الشمصيني
لحسن يحيى التقي
إماني عبد الرحمن منيع الفهلي
أمل محمد مسفر الشهراني
أمل نبيل فياض
أنس سمير الديان
أية زهير عيود الكهم
أية صلاح محمد الفروشي
باسل تركي علي العواشي
بدر عبد الرحمن محمد الناصر
بسملة حسن علي القويهي
بشاري حمد موسى آل موسى
بندر أحمد التقي
بهاو بو غنيم
زكري عبد الله أحمد بنجاد
جابر هلال البار
جمال زكي السلطاني
جمال عبد الستار إبراهيم
جسام إبراهيم كتب عانة
حلا مان الطباع
حمدي خالد إسكندر
حمود فوجان الصافي
حميد شاعر عباس الربوي
خالد محمد يحيى
خالد تركي الحربي
خالد سعيد العبد الجبار
خالد مصلح عبد الجواد
خالد عبد الرحمن آل مهران
خالد عبد التائب الكوي
خلود محمد سالم باخشون
خليفة محمد آل هراج
خليل سلطان أحمد برون
داني صلاح عبد الجواد الفروشي
راشد حمد راشد الفريع
راني ياسر عثمان
رحمة إبراهيم الزهراني
ريان محمد حسن حجي
ريم زينة بومدار
ريم عبد العزيز الفكي
ريم فهد عبد العزيز المسحان
رنا إسماعيل محمد طلبة
سارة مصانع عساف العساف
سعيد محمد سعد الدين الفري
سلطان تركي عبد الله التركي
سلطان خالد أحمد
سلطان صميم العنزي
سلطان علي محمد الشراخ
سلطانية مبارك عبد الله الباراك
شرق أحمد محمد بكر
طارق إبراهيم عبد الفري
طارق محمد عبد الرحمن الغنام
طارق محمد عوف
طلال فهد أحمد عسوي
علاء سالم بن زقر
عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن
عبد البراق حسن فحطان الربوي
عبد العزيز خالد محمد الفحطاني
عبد العزيز عبد الرحيم شاهين



(PRS - 8 - 97)

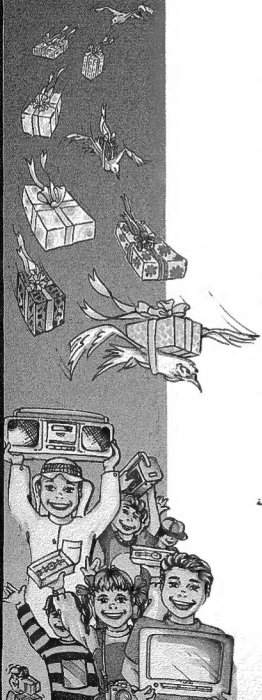
مسابقة رسوم الأطفال السنوية



الجمعة
الرياض
الرياض
الطهران
الطهران
الدمام
تبوك
الطهران
طريف
الجبيل الصناعية
رجال ألمع
الخبر
الدمام
الطهران
الدمام
الدمام
تبوك
الطهران
تبوك
الرياض
الدمام
الرياض
الرياض
الرياض
الطهران
الرياض
الأحواز
الطائف
رجال ألمع
طريف
الخبر
الرياض
رجال ألمع
رجال ألمع
الحريق
الدمام
رجال ألمع
بنيع البجر
الطهران
الطهران
طريف
الرياض
أبها
مكة المكرمة
رجال ألمع
بنيع البجر
الطهران
الطهران
الطائف
الرياض
أبها
مكة المكرمة
رجال ألمع
بنيع البجر
الطهران
الطهران
الخبر
بنيع البجر
تبوك
الطهران
الخبر
الطهران
رجال ألمع
الرياض
عمر

مدرسة الخالدية/الجمعة
مدارس الرياض للبنين
مدارس الرياض للبنين
أكاديمية رحمة
مدارس جامعة فهد للبتروول والمعادن
المؤنسية الأهلية للبنين
مدرسة الأبناء الإبتدائية السليمانية
مدارس الملك فهد للبتروول والمعادن
مدارس الرياض للبنين
مدرسة أحمد بن حنبل
مدرسة الخيرية الإبتدائية
مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم
مدارس الرياض للبنين
مركز سعد الصانع لتقوول النطق والسمع
المؤنسية الأهلية للبنين
مدارس جامعة فهد للبتروول والمعادن
مدرسة عمر بن ياسر الإبتدائية بالطهوف
المؤنسية الأهلية للبنين
مدرسة الأبناء الإبتدائية السليمانية
مدرسة الأبناء الإبتدائية السليمانية
مدارس الرواد الأهلية
مركز سمو الأمير سعود بن نايف لتأهيل الإناث
مدارس الرياض للبنات
مدارس الرياض للبنين
مدارس الرياض للبنين
مدارس جامعة فهد للبتروول والمعادن
مدارس التربية الإسلامية
مدارس التربية الإسلامية
مدارس الرياض للبنين
مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
مدارس جامعة فهد للبتروول والمعادن
مدارس الرواد الأهلية
المرسة الثالثة
للتوسطة العام الفراء/نبي سعد
أحمد بن حنبل الإبتدائية
مركز سعد الصانع لتقوول النطق والسمع
مدرسة عقيل بن أبي طالب
مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم
مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم
مدرسة الحريق الثامنة
المؤنسية الأهلية للبنين
مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم
مركز سعد الصانع لتقوول النطق والسمع
مدرسة الملك خالد الإبتدائية
مدارس الطهران الأهلية
مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم
مدرسة عمر بن ياسر الإبتدائية بالطهوف
مدارس الرياض للبنين
مدرسة فلسطين الإبتدائية
مدارس الرياض للبنين
مركز سعد الصانع لتقوول النطق والسمع
مدرسة الملك خالد الإبتدائية
مركز سعد الصانع لتقوول النطق والسمع
مدارس السعد الأهلية
مدرسة جامعة فهد للبتروول والمعادن
مدارس الرواد الأهلية
مدارس جامعة فهد للبتروول والمعادن
عمر بن العزير الإبتدائية
بواسطة والبهاضام ومدرسة سلاح الإشارة
مدارس الرياض / روضة
متنقل أبها الأهلية
معهد الأمل
توسطة مدر العوس
مدرسة الملك خالد الإبتدائية
مدرسة أروى بنت عبد المطلب
مدارس جامعة فهد للبتروول والمعادن
مدارس التربية الإسلامية للبنات
مدارس الرياض للبنات
مدارس التربية الإسلامية
مدارس الطهران الأهلية
مدارس الفيصلية الإسلامية الأهلية
مدرسة الملك خالد الإبتدائية
توسطة مدر العوس
مدرسة الأبناء الإبتدائية
مدارس جامعة فهد للبتروول والمعادن
مدارس الفيصلية الإسلامية الأهلية
مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم
مدارس الرياض للبنين
مدرسة الحسن بن هيثم الإبتدائية

عبد العزيز محمد الجويس
عبد الله أحمد محمد النملة
عبد الله خالد عبد الله للحم
عبد الله ظاهر مرزا
عبد الله عبد الله العنصر عبد الله التوجري
عبد الله عبد الله لحن آل عبد الحفي
عبد الله علي العاصمي
عبد الله فاروق محمد كوشن
عبد الله محجو عبد العزيز الباجوري
عبد الله حمود مصباح الرويلي
عبد الرحمن سعد العام
عبد الوهاب أحمد محمد معرف
عصاف صالح محمد العساف
غلام مصطفى الحني
عمار إبراهيم ناصر الشاوي
عمر أحمد محمد الزيات
عمر عبد الله الفلاح
عمر مهن مريوم
عيسى محمد أحمد عسيري
فارس عبد الله عثمان الفارس
فارس محمد فهد الشامي
فاطمة حسين الفحطاني
فجر سليمان عبد الله القراشي
فهد بن نايف بن عبد العزيز آل سعود
فهد محمد إبراهيم الحرفان
فهد عبد الطهوف الزبير
فهد خالد ناصر الشنبري
فهد خالد الحارث نايف
فهد خالد محمد الرشيد
فهد عثمان الدروع
فهد عثمان عبد الفلاح عود
لي جمال جود الجود
لؤلو إبراهيم عمر الكنان
ماجد أحمد هلال الدميني
ماجد علي محمد ججوي
محمد باقر جوهان الرويلي
محمد جمال الجيسي
محمد حسن احمد باقريل
محمد حسن النعشي
محمد حسن محمد الكعبي
محمد حسين الهزاع
محمد نبوي شها
محمد ربه محمد أحمد
محمد غزل الفعيم
محمد عبد العزيز الأصايري
محمد عبد العزيز التركي
محمد عبد الكرم فوري حوس
محمد عبد الله الفلاح
محمد عبد الله حمد الرشيد
محمد علي السماعيل
محمد فهد محمد بن مهن
مشارعل مقبل الشامي
مهدا برهان عبد قاسم
مها حسين الجودي
منصور سعد الهاجري
منيرة محمد عبد العزيز النافع
مري سليمان محمد السعيد
نايف سلمان
نايف سالم صالح الحارامي
نبيلة متولي محمد الجودي
جد خالد عبد الله العنصر
نداء عبد الرحيم صالح منصور
نوال محمد عبد الله للتشعري
هاني تركي إبراهيم الرويلي
هبة عبد الله عيسى
هبة محمد محمد محرم
هدى عبد الطهوف محمد بجري
هدى شيبة أحمد حسن
هيفاء عبد الرحمن سعود العجاعي
هيفاء عز الدين ساري علي
وائل محمد حسن الشايخ
ولاء عسيري عبد الطاهر العنصبي
وليد عبد العزيز كرم
وليد علي أحمد جيلان
وليد محمد مريخ الفحطاني
ياسر سعيد الفحطاني
ياسمين مازن خالد
يحيى أحمد التميمي
يزيد ناصر محمد الشامي
يزيد عبد الكرم السليم



الشخص المناسب، فإننا نولي أهمية قصوى
لاختيار موظفينا وتدريبهم على أفضل وجه
لكي يكونوا خبراء في إدارة الأموال بكل ما في
الكلمة من معنى.

إذا كن على ثقة أنك ستحصل دائماً
على النصيحة السليمة التي تأخذ في الاعتبار
خصوصيتك وسرية أعمالك، إن هدفنا في البنك
السعودي الأمريكي هو أن توفر لك الطمأنينة
والأمان لأموالك.

نحن نؤمن أن البنك هو أكثر من مجرد
مكان لتخزين أموالك.
يجب على البنك أيضاً أن يقدم لك النصائح
فيما يتعلق بإدارة هذه الأموال.

نحن في البنك السعودي الأمريكي نعتقد
أن أفضل طريقة للقيام بذلك هي معرفة ما إذا بدور
في زمن التعميل ما هي احتياجاته، خططه
وطموحاته. وبعد ذلك تقديم النصيحة المناسبة له.
وبما أن النصيحة المناسبة لا تأتي إلا من

Saudi American Bank



البنك السعودي الأمريكي

خدمات بنكية عالية المستوى

قبل أن نبدأ بإدارة أموالك
يهمنا جداً أن نبدأ بعرفة تطلعاتك.